مختارات من مؤلفات

يسري الجندي



- الهلالية
- المحاكمة
- رابعة العدوية



إهـــــــداء ٢٠١١
دار الكتب و الوثائق القومية
جمهورية مصر العربية

الجندى، يسرى.
مختارات من مؤلفات يسرى الجندى. ــ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
٢٦٤ص ؛ ٢٤ سم.
المحتويات: الهلالية - المحاكمة - رابعة العدوية
تدمك ٢ ٦٥٢ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الجندى، يسرى ـ المؤلفات الكاملة.
أ ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٣٦٦/ ٢٠١٠

I. S. B. N 978 - 977 - 421 -652 - 2

ديوى ٩٢٨,١

مختارات من مؤلفات

يسرى الجندى

- الهلاليـة
- المحاكمـة
- رابعة العدوية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٠

■ الكتاب : مختارات من مؤلفات
(الهلالية - المحاكمة - رابعة العدوية)
■ المؤلف : يسرى الجندى
■ الطبعة الأولى : ٢٠١٠م
■ طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
■ الإخراج الفنى : مادلين أيوب
■ الغلاف : صبرى عبد الواحد
■ خطوط: أوس السنوسى
■ تصحيح: أحمد حسن

إهــــداء

إلى والدى.. وائل وجاسر

الهلالية

مسرحية فى قسمين

القسم الأول

فى أربعة دواوين

ديوان جهـــنم

ديوان الغـراب

ديوان القحط

ديوان الريـادة

الديوان الأول

ديوان جهنم

المنظر:

- ثمة درجات تصعد من المنتصف واليمين واليسار لتلتقى عند ستارة بالخلف يلوح ضوء نيران لاهبة بأعلاها لوحة كتب عليها:
- باب جهنم.. مكان دافئ ومجهز
- عن يمين الستار باب مغلق ومعلق لا تؤدى إليه الدرجات. بأعلاه لافتة كُتب عليها:

لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله

[باب الجنة] . بيت مهجور

- ثمة مجموعة كبيرة من الأقنعة والعمائم والعباءات والأثمال وأدوات الحرب وغيرها معلقة على قوائم على امتداد خلفية المسرح وجوانبه
- على الدرجات انتشرت مجموعة شخصيات فى أزياء غير مألوفة. ظهورهم للمشاهدين
- بمقدمة المسرح ثلاثة قليلو الحكم يجلس كل منهم القرفصاء على مبعدة من الآخر، ويضع كل منهم قناعًا كبيرًا لوجه طفل..

قـــنـــاع ١: إذا زلزلت الأرض زلزالها.
وأخرجت الأرض أثقالها

قـــنـــاع ٢: الساعة

قـــنـــاع ٣: القيامة

الثـــلاثـة: الحساب

قـــنـــاع ١: (يهمس للمشاهدين مشيراً إلى باب الندامة) وهذا باب جهنم.

قـــنـــاع ٢: ويقال لها.. تشوى. تلوى. تكوى.

قـــنـــاع ٣: تعوى تعوى تعوى. وبألف لسان.

قـــنـــاع ١: لكنا وبشكل عام لا نعرف ما خلف الباب.

الثـــلاثـة: (معًا فى سرعة مشيرين) باب الندامة. باب الندامة. باب الندامة

قـــنـــاع ١: ش. (يهمس) وهذا باب السلامة موصد.

قـــنـــاع ٢: وخلو جامد ومقدم

قـــنـــاع ٣: آما الآخر... (يشير إلى باب الندامة جهنم)

الثـــلاثـة: (معًا) يساع م الحبايب ألف

قـــنـــاع ١: ش (يفتح دفتراً كبيراً وهميًا) ويهمس والآن.
جاء (يشير إلى المجموعة بالخلف) دورهم.

بـــديـــر: لما خلق الله الأرض..

قـــنـــاع ٢: لأ. بعدها بشويه

بـــديـــر: لما كان هلال بن عامر. الجد الأعلى وأصل قبائلنا.

قـــنـــاع ٣: قدام كمان.. له

بـــديـــر: يا سادتي. ذاك لب المسألة. (ياتى بفخامة وتأثر)

كنا بنجـد فى سـرور وفى هنا
بنعم وإحـسـان وعلى مـراح
وكـان بهـا عنب الدوالى مكعـبـا
والخـوخ والرومـان والتـفـاح
جنتنا أراضى نجـد بعـد عـزها
سـبع سنين كـامـلات شـحـاح

قـــنـــاع ١: مكسور الشعر

قـــنـــاع ٢: مكتوب كده فى السيرة.

قـــنـــاع ٣: الشعـــ.. بيـــ.. ية.

قـــنـــاع ١: (يضرب الأرض) مش ده الموضوع (يفرد الدفتر الوهمى) ادخل

بـــديـــر: تلك فذلكة وادخل بعدها
الهجرة كانت ثم الحرب..

الثـــلاثـة: (فى تعبير خاطف) كتير كتير كتير كتير كتير

بـــديـــر: (بقوة) مثل نجوم الليل نعم. فالحرب شريعة.
سبب وذريعة النفس فى كرب والناس فى حرب والكون منشطر على نفسه.

ق ١: بيه

ق ٢: أبوك السقا مات..

بـــديـــر: ومن واقع ما صار فى تلك الديار. من نجد إلى تونس فقد قَتلنا وقُتلنا أَسرنا وأُسرنا.. نَهبنا ونُهبنا.

ق ٣: القاضى بيلعب. صفر صفر.

بـــديـــر: وعندى. حفظكم الله. كشف بالأرقام. مالنا وما علينا (يخرج من وسط الريش براسه ورقة) أما ما علينا فتبدأ بالأبطال. والله شاهد وعلمه لا يطال..

قضى أبو زيد الهلالى.. بسيف الحتوف على ست ألوف

ق ٣: منهم يا جدع صلى. ألف ضربة شقت الفرسة مع الفارس.

ق ٢: هب هيلا يا ستار.

بـــديـــر: أما دياب بن غانم. وما علينا من المغانم. فقد قضى بسيفه البتار على تسعة ألوف ما بين عات وجبار.

المجـمـوعـة: (باعلى دون ان تلتفت) منهم ألفان من عشيرته.

ص امـــرأة: الكلب..

بـــديـــر: (متوسلا فى همس) بلاش غسيلنا الوسخ

صـــوت: اسكت

صـــوت: مدلس

صـــوت: غشاش

بـــديـــر: طار صوابكم. دعونى أكمل أنا القاضى بدير. عندى لكل شىء سبب... وبفضل الله أبرر كل جرائمكم. وأجمل كل مخازيكم. أملك من أسباب المنطق والقانون والشرع ما فيه النجاة لكم. لعنة الله عليكم.

(الثلاثة يلتفتون فجأة حول بدير متقدمين نحوه)

ق ٣: سيبك منهم..

ق ٢: كل..

ق ١: أكمل يا ببغاء..

ق ٢: الكلم الزائف والحجج البلهاء..

ق ٢: (كذب ريشه) انتف ريشه. حتى يسمع

ق ٣: (كذب ريشه) انتف ريشه.. حتى يهجع

(يخلعون اقنعة الأطفال مستديرين إلى المشاهدين بحدة. وقد ظهر قناع شيطانى مكان القناع الأول. يبدوان مع الحوار فى الدوران بعنف ووحشية حول القاضى بدير وهم يضربون الأرض بأقدامهم).

الثـــلاثـة: نتحدث نحن عن الدماء والدموع..

ق ١: الآمال الفارغة

ق ٢: القتل المتقابل

ق ٣: الحب المستحيل. والمجهض أبدا

ق ١: الكراهية المتبادلة.. دون توقف

ق ٢: الاستشهاد المجانى

ق ٣: الجبن فى قلب البطولة.

ق ١: الكذب والكذب التزييف

ق ٣: التسلط ذو الألف وجه

ق ٢: جوع القلب ومرض العقل..

ق ٣: الخيبة والمرارة..

ق ٢: الأصنام الورقية..

ق ١: السادية. الصوفية. الذرية. بريالية. فريودية. كل الأوراق المعروفة المنسية.

ق ١: رحلة آلاف الأعوام.

الثلاثة: فلنتكلم. لا كما تكلم الببغاء الملون. الليلة ليلة بنى هلال. أمام الباب المفتوح والباب الموصد (صمت).

أى الأبواب سنطرقها يا بنى آدم؟؟

(يستدير السلطان حسن بأعلى. فى زى طفولى وريش طاووس)

حسن: إن كان فى الأمر جريمة. فأنا المسئول. كل ما تم بأمرى ورضاى كنت السلطان.

ق ١: (يرتدى قناع الطفل ثانية ويطرق الأرض) بم بم بم.. السلطان العوراء

ق ٢: (يرتدى قناع الطفل) بكر خالص.

ق ١: طاووس رومانتيكى ريشه كرم الأخلاق.

حسن: (فى استشهاد) أفتديكم يا بنى هلال..

الجازية: (تلتفت فى زى طائر ذى أشواك) اسكت يا حسن.

(تهمس) ما أغباك حيًا وميتًا.

ق ٣: (يرتدى قناع طفل) الجازية.

ق ٢: زينة الممالك.. والليل الحالك

ق ١: الحجر الصوان.. والقلب المثقل بالأشجان.

الجـــازيـة: جهنم ما خلقت إلا لدياب.

الثـــلاثـة: الذئب .. الذئب

(يستدير دياب فى زى حيوانى. يدير نظره فى الجميع ببطء صامتاً)

الثـــلاثـة: دياب بن غانم..

ق ١: القدر الغاشم والأسطورة

ق ٢: أعظم القتلة. وأشهر السفاحين

ق ٣: دبح وما خلاش فيها حد..

عـليـــاء: كلهم يستحق الموت.. ونالوا ما يستحقون.

ق ١: عليا. أخت الذئب. وزوجة السبع الهلالى

عـليـــاء: (تشير إلى الجازية) وتلك الحية أولهم..

الجـــازيـة: غادر ولئيم مثلك..

بـــديـــر: غادر هو لكن والحق يقال

الجـــازيـة: خمسين خائن.

بـــديـــر: خائن هو لكن والحق يقال

الـــزنـاتـــى: (يستدير. مصفح) ليس فى الخيانة لكن. الخيانة مرة.

ق ١: الأسد الاعمى والصنم المعبود الهش..

ق ٢: الزناتى خليفة..

ق ١: (كاصداء) ليفه ليفه ليفه..

الـــزنـاتـــى: ليس دياب برغم ما فعل. بل ابنتى. خذوها أول بالنار.

(تسمع ضحكة انوثة.. ولكن سعدا تستدير بوجه شاجن حزين)

الثـــلاثـة: (فى رد فعل. لتاثر الضحكة) المرمر مر مر..آهّ. سعداً.. بنت الزناتى ناتى .. الساحرة..

عـليـــاء: (فى فحيح) ليست وحدها الفاجرة. (تدير راسها إلى الجازية)

الـزنـاتـى: معها العلام. الكلب. خذوه...

العـلام: (بدير مختفيًا داخل فراء غزير) أحمق...

الثـلاثـة: ألف ولام علام.. الثعلب. بوليتيكا. سياسة.

ق ١: نزل جنتلمان.

العـلام: (مالتشكيل) كان لابد. أن تنهار. الملكة. أن يأتيه. سيف دياب هذا ما قال الرمل. هذا ما قال الرمل.

ق ١: والظروف التاريخية. والسياسة الداخلية والخارجية.

ق ٢: وميزان المدفوعات وعواد السيارات.

ق ٣: والهالك والمستهلك.

الثـلاثـة: بانت بعض الأوراق..

ق ١: هيا. باقى الأوراق.

ديـاب: (يصيح) فلنقتصد. (صمت) أهم الأوراق جميعًا لم تظهر أبو زيد الهلالى سلامة. مَنْ يحمل كل الذنب. مَنْ يسأل عن كل الأشياء.

الجـازيـة: تكذب.

ديـاب: هو من يحمل الصدق والكذب.

حـسـن: هو الرجل والأمل كان..

الجـازيـة: وأنت الكذب والخسة..

ديـاب: هو منى وأنا منه..

الجـازيـة: عاش من أجل القبيلة وعشت له؟

ديـاب: صديقى اللدود والوجه الآخر لى

عـليـاء: قتله من أجلها.. هى من أهلكته..

الجـازيـة: بل من أجل مطامعه الرخيصة. غدر بمن نجاه..

ديـاب: يحتاج لغدرى كما أحتاج لشهامته (يضحك) وتحبينه، مع أنى أكثر حبًا لك..

الجـازيـة: لا أعرف إلا زوجى يا كلب..

بـديـر: أخزاكم الله أخزاكم الله.. فضيحة..

حســــن: مـاذا بكم. كفـاكم. كل ذنوبكم. كل خطاياكم. أقـول بأنـى أحـملهـا وحدى أخطو بها نحو النار. أتطهر عنكم.. كفوا عن تعذيبى إذًا.

ديـــــاب: بل كف أنت عن التمـويه. لا تمويه اليوم. لتظهـر كل الأوراق معـه فقط.. كل اللعبة. بعد نهايته سوف يقول ويتكلم.. فلتكن الكلمة له. منـذ الميلاد وحتى الموت... وتتخـرس باقـى الأصوات أقـبل يا صاحبى. يا هلالى من صحراء اللا نهاية أقبل...

(صمت.. نادهات مكبرة، ذات أصداء)

ص أبـو زيـد: (من الخارج) أغوص فى الرمال.

ديـــــاب: أقدم. فلا مفر..

ص أبـو زيـد: قدماى ثقيلتان..

ديـــــاب: أو تحتاج لطعنة أخرى إذًا (تصيح بحسم) أقبل (تتوهج النيران خلف الستار؛ حيث تجرى الأقنعة الثلاثة عندها مع تزايد توهجها حتى تملأ المسرح بضوئها الشديد. حيث يظهر ابو زيد بأعلى ويهبط فى بطء)..

الثـــلاثـة: وسع وسع وسع..

الورقة الرابحة الخسرانة.

أبو زيد وصل واللى حصل كله

مكتوب معاه.. فى حشاه...

أبـــو زيـــد: (فى الوسط والكل قد استدار ناحيته)

من الجحيم أتيت.. إلى الجحيم أعود..

غريب .. غريبة.. تغريبة.. غراب

الثـــلاثـة: (فى هلع) غراب.. غراب.. غراب

ق ٢: كانت البداية غراب.. نبش فى الأرض دل قابيل. إزاى بيدفن هابيل

ق ٣: نفس الغراب.. بدأت الحكاية أبى زيد الهلالى معاه.

الثـــلاثـة: فلنبدأ بالغراب.

(إظلام غير تدريجى)

الديوان الثانى

ديوان الغراب

(الثلاثة فى المقدمة بأقنعة الأطفال ولهم أجنحة خضراء

الشريفة تجلس بأعلى الدرجات أمام ستارة جهنم.

على الستارة ظلال تتلألأ ونخيل).

ق ١: خضره الشريفة حامل فى ابنها «أبو زيد»..

ق٢: خضره الشريفة حامل وخرجت للخلا
وفى الخلا.. طار فى السما حمامات.
وحدايات ونسور.. صقور
(ظلال طيور على الستارة بشكل مضخم. وتحركات عنيفة تطير
حولها ق ١، ٢ بشكل عدوانى)

الخضراء: غريبة وسط الكواسر
لا الأرض ولا الأيام أيامى..
والزوج يريد ولدًا من زوجته الحادية عشرة.
ويحيى لو جاء فدهمته الأقدام الوحشية.

ق ٣: وفجأة من كبد السما ظهر غراب
اسود كما الليل الغطيس
كاسر كما وحش الفلا

سريع كما نفاثة..

فو فو فو

(يندفع قناع ٣ ويشتبك مع ق ٢،١ وفى الوقت نفسه الذى تزاد ضراوة حركة ظلال وتسمع أصوات وحشية حيوانية وميكانيكية يتقدم الثلاثة ثانية الى المقدمة)

ق ١: خضرة الشريفة نظرته

ق ٢: الغراب الوحش هاجم

ق ٣: والحدايات والنسور اتفرقوا عنه

ق ١: قالت.. وفى سرها

كانت تخاف م الهلالية

الخضراء: آه لو يأتى ولدى

كالطير الأسود هذا القادر..

يحمى نفسه. ويفرقهم عنه. أو يجمعهم تحت جناحه. فأموت بقلب جريح

الثلاثة: (فى صيحة) أتوحـ.. حت

ق ١: يادى النصيب..

ق ٢: على الغراب النوحى..؟

ق ٣: على غراب البين يا خضرة..؟

ق ١: والبين هو الفراق.. فراق الموت..

ق ٢: كما تقول المعاجم والكتب..

الثلاثة: واللى اتكتب كما يلى..

(ظلال النخيل يتحرك بعنف مع إحساس المخاض لدى الخضراء، والثلاثة يضربون الأرض بأقدامهم حولها دن ورون)

ق ٢: أبو زيد.. فى الرحم الدافئ يتكون..

ق ٣: كى يخرج من دفء الرحم إلى دفء جهنم..

الثلاثة: يتكون يتكون.. يتكون

ق ١: من أحلام القردة

ق ٢: من أفئدة المردة..

(تتأوه الخضراء بشدة)

ق ١: من مية نار وزيت طيب..

ق ٢: من بذر خله وعين عفريت..

ق ٣: من وهم شاعر وحلم بنت بكرية..

الثـــــلاثـة: يتكون يتكون يتكون

(صرخة تتوقف الظلال . صمت)

الثـــــلاثـة: (فى بطء) أبو زيد. يخرج للعالم أسود..

الخـضـــراء: أسود!

ق ١: والخبـر الشـؤم ويسيـر على قـدم عـرجـاء إلى الأب الأمـيـر رزق الهلالى قاعد ينتظر الخبر...

(يضاء يسار حيث يظهر الأمير رزق جالسًا وتابعه القاضى بدير ويتقدم ١، ٢ واضعين أقنعة جديدة! ويجلسان بجواره)

بـــــديـــــر: بلغنى النبأ السعيد فجئت على عجل. وأن القلب والله العظيم لفى عيد وتغريد..

أى نعم (يهمسان لبعضهما) غرضه يفرسنا.

بـــــديـــــر: (يهمس لقناع) جاء مولد. منافس جديد على السيادة فيكم

ق ١: (بصوت غليظ هامس) خليها تغرق..

بـــــديـــــر: (لرزق) عطية اللى العاطى. زاد بها اغتباطى فأحمد الله يا أمير

رزق: الحمد لله..

بـــــديـــــر: ولقد رأيته فى المنام والله بدرًا..

رزق: لا نريد بدورًا يا قاضى.

ق ٢: (هامسًا بصوت غليظ) يعنى هيطلع السما ياخى؟

رزق: بل رجالا كالأسود.. سندًا لنا

بـــــديـــــر: (القناع ١) أرأيت. يريده سيفًا على الرقاب (الرزق) سيكون بإذن الله وفضله السلم فى الحرب. والقنديل فى المجلس.

ق ١، ٢ أى نعم..

بــــديـــــر: فالليث أبوه. وأمه بنت الأشراف

ق ١، ٢: أى والله. (يقبل ٣ فى زى جارية تزغرد، حاملا دمية كبيرة مغطاة)

بــــديـــــر: ما شاء الله ما شاء الله. اقبلى يا أمة الله

ق ٣: (بصوت حاد سريع) سم عليه يا سيدى. سم عليه المخمل من فضة والغلالة من حرير.. اسم الله اسم الله.. على ابن الأمير..

القـــــاضـى: (تاخذه) جعلت فداءك يابن الأمير.. (يمد يده ليرفع الغلالة)

ق ٣: لا ترفعها على وجه ابن الأمير. لا ترفعها عن وجه ابن الأمير (ق ٢ يمد يده ويرفعها بسرعة)

بــــديـــــر: (يرمى الدمية لقناع ٣ الذى يجرى به) أعوذ بالله من غضب الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رزق: ماذا يا قاضى.

بــــديـــــر: جاءتك مصيبة..

ق ٢: يالله. كالليل البهيم.

ق ١: قرد أسود. بالتمام..

رزق: غفرانك اللهم

بــــديـــــر: لغز فادح. الستر من عندك

رزق: أمر الله. لا مرد له.

ق ٣: بل هو ليس ابنك (يهمس) هاته على مشمه..

رزق: مجنون انت

ق ٢: ألهذا الوجه مثيل فى بنى هلال (يهمس) وقع فى حيص بيص وانتهت.

بــــديـــــر: لا والله.. وحاشا لله.. وأعوذ بالله

ق ٣: فليسأل من أين أتى؟ (يهمس لقناع ٢) غاوتهالست تعطف هع هع هع..

رزق: اسأل مَنْ؟

ق ٣: اسألها. تكلم يا قاضى..

ق ٢: أم تريد أن نكون أضحوكة بين القبائل (يهمس) ياخى دهده

بــــــديــــــر: يا أمير رزق اعلم رعاك الله. إن المرأة سر بعيد المرام. لا يصاد بالسهام.. ولا يضبط باللجام..

رزق: تتحدث عن أعفّ النساء يا بدير..

بــــــديــــــر: بنت الأشراف ولا شك.. غير أن لنا الظواهر ولله الجواهر.. وهو السميع العليم..

ق ٣: (يهمس لبدير) انقل ع اتالت وجامد. ولع..

بــــــديــــــر: ثم هناك كلام السوقة.. وإشاعات مخلوقة.. وعلاقات التجارة.. والسمعة والإمارة

رزق: لعنة الله على كل شىء ..

ق ٢: لا وقت أمامك. سرحها

رزق: لا. أموت لو فعلت

ق ٣ العار لنا جميعًا وليس وحدك..

رزق: لا أفعل

ق ٢: إذًا أقتله

رزق: أقتل ابنى.

الثـــــلاثـة: هو ليس ابنك؟

(بطلة اليسار)

الخـــضـــراء: (تصيح) ما أفظع هذا الظلم.

الثـــــلاثـة: (بالمقدمة فى اقنعة الأطفال) غراب البين. والبين هو الفراق..

ق ١: إزاى تعود خضرة لمكة.؟

ق ٢: للأهل شايله عار؟

ق ٢: يا للشنار

ق ٣: صرخت وما تعرف. الخلا والليل بهيم..

الخـــضـــراء: (تمشى امام الستارة) الظلمة فى الصحراء .. فزع مجنون لا يوصف. كالظلم على نشره.. من يدركنى..

ق ١: (يتقدم مرتديًا عباءة) لبيك يا بنت الأشراف (يهرول ق ٢، ٣ كتابعين له)

ق ٢: (بصوت حاد آلى) سيدى الفضل بن بيسم. سيدى الفضل بن بيسم

ق ٣: (بصوت حاد آلى) رأس قبيلتنا زحلان، رأس قبيلتنا زحلان

ق ١: (بمبالغة) أعرف كل القصة يا خضراء..

الولد بأرضى سأربيه.

أما بنو هلال. فقوم أنذال

سأسوى ثأرك ضمن حسابى معهم.

الثـــــلاثـة: راجل ولا كل الرجال

(يظلم من اليسار. بقعة ضوء حول دياب)

ديــــــــــاب: تلك البداية كانت مع القبيلة. يا حامى القبيلة

الإنكار المهين والظلم الفادح

ما بين أهواء ومطامع.. وسخف

(يظلم حوله. الثلاثة يتقدمون حتى المقدمة)

ق ٢: وفجأة. وفجأة. وفجأة.

ق ٣: اترجت الصحراء على اسم عيل معجزة جنى..

ق ٢: يقال له بركات . وأبوه الفضل يقال رأس قبيلتهم زحلان

الثـــــلاثـة: فى العاشرة تعلم كل علوم الأرض..

ق ١: علوم البيان واللسان

ق ٢: والطب والتنجيم.

ق ٣: والسحر والكيميا

ق ١: استاتيكا .. ديناميكا

ق ٢: بيولوجيا. تكنولوجيا

الثـــــلاثـة: فى سن الثانية عشرة. كان الولد ضرغام..

ق ٣: الضرب بالدبوس. ومسكته للقوس ولسانه فرقله.

(ق ١ يرتدى قناعًا لوجه صبى اسمر ويمسك بأسلحة قتال اكبر منه) يرتدى قناع ٣ قناعًا ذا أذن ضخمة وعباءة.

ق ١: لا يقرب أحد بئر بنى زحلان. إلا أرديته

ق ٢: هش هش.. افسح طريقًا يا ولد..

ق ١: (يهمس لقناع ٣) أرأيت رجلا يشبه العنزة؟

ق ٣: (لقناع ٢) الواد بيقول معزة؟

ق ٣: (لقناع ٢) قصده أنت يا بيه.

ق ٢: أتعرض بى يا ولد. من سيدك؟

ق ١: (يسحب ق ٢ من انفه الضخم) اسحب كبشك هذا وامض..

ق ٣: وأنا كبش أيضًا.. يادى الوقعة.

ق ٢: فليتأدب هذا العبد..

ق ١: (يقطع انفه بالسيف ويسلمه له) خذ أنفك هذا وامض.. أرسل مَنْ هو أكبر منك..

ق ٢: (يمسك انفه ويمثل الخزى) وا أنفاه..

ق ٣: ماذا أشهد.. ماذا أسمع..

ق ١: (يقطع اذن ق ٣ ويسلمها له) خذها واسمع عند الواحة.

ق ٣: (يمثل الخزى) وا أذناه..

ق ٢، ٣: (معًا) الغوث، الغوث..

الثلاثة: (يخلعون الأقنعة والملابس. يتقدمون اكثر) يأتى الغوث وتأتى النجدة.
يالثارات العرب..
(يقفز ق ٢ ممتشقًا سيفًا)
أنا الأمير عمران بن داغرا بتونس بالعبد صاغر

ق ٣: (يمتشق ق ١: سيفًا ويبارزه فيصرعه)
ويضربه فى لمح البصر..
راح الأمير عسران.. فى أبو نكله يا جدعان..

الثلاثة: الواد لقى معجزة. الواد بقى حكاية

ق ٢: وكانت الوقعة. لما البلالة. دخلت معاهم معركة وف ساحة الميدان طلب الأمير رزق الفتى بركات..

(ق ٢ يرتدى زى رزق. ق ١ يرتدى قناع بركات .. متوجهين)

ق ٢: أو يفعل هذا كله. طفل عبد..

ق ١: وفر سؤالك يا أمير..

السيف عندى. خير مَنْ يسأل. وخير مَنْ يضع الجواب..

ق ٣: (يتقاتلان) بمبالغة. يقع ق ٢ ويضع ق ١ السيف على رقبته)

ق ٣: (فى صوت امرأة) لا يا بركات. هذا أبوك.

(يحملقون لحظة ثم يخلعون الأقنعة والملابس ويهرولون إلى المقدمة)

الثــــلاثـة: كان الفتى أبو زيد. كان الفتى ابنه يا .. أقدار

موقف دراما.. تيكى

تيكى لم.. تيكى

(تضاء الدرجات وتضاء ستارة الجحيم، وتظهر مجموعة كما لو كانت فى الديوان والأول ابو زيد كما هو وجه للستارة)

الجــــازيـة: خطأ يتكرر فى كل الأجيال وأصلحناه..

بــــديـــر: إلا اده الله كانت. ثم الحقيقة بانت. لا تعترض يا شقى..

ديــــــاب: أرفض تلك اللعبة فى كل الأجيال عذاب مجانى على ما فعله القوم

حــــسـن: تبرر أفعالك انت..

الجــــازيـة: وصنوف الخمسة معنا..

ديــــــاب: لكنى لا أخدع نفسى مثلك. باقر العين أعلنها .. أحبك..

علـيـــــاء: أما أنت فكنت تحبينه. رجلى أنا (تقهقه فى هستيرية)

الجــــازيـة: كنت أجل فيه الرجولة والشرف (تقهقه علياء) أحببته حقًا..

أحببته رجلا.. أعدته الأقدار لنا من أجل المحنة. (يشير إلى دياب)

حتى لا نذل لمثله.

علـيـــــاء: (بشراسة) من قبل المحنة. وكفى خداعًا يا امرأة..

بــــديـــر: ارتفع صوت النساء.. وفضحنا فى الآخر..

ديــــــاب: أو تنكر دورهن يا قاضى؟ أتريدنى أذكرك بما فعلن بك؟

بـــديـــــر: (لحسن) والله لم تسكت عنى. ألقيت نفسك إلى جهنم...
ديـــــــاب: لا تتعجل.. جهنم تنتظرك
حـــــسن: كفى يا دياب..
ديـــــــاب: اكف بعد أن نكمل..
حـــــسن: لنستكمل
ديـــــــاب: دخلنا دائرة الحساب ولن نخرج منها.. (يشير إلى ابى زيد) وهو أول مَنْ يريد الحساب.. فهو لم يغفر. يريد أن يعرف كل «موقعه من الجحيم».
حـــــسن: (يدور) فلنتوقف. فلت ثانية. فلنختف.. فلنتناثر..
ديـــــــاب: ليس قبل أن نكمل مع الهلالى ما كان. حين عاد إليكم.
بـــديـــــر: فأتانا الجدب معه.. (تظلم الدرجات.. يتقدم الثلاثة)
الثـــلاثـة: (بالمقدمة) فلنتأهب.. فالديوان القادم
مأسوى قوى خالص.. وحزين
يقطع القلب ويستل دموع العين.

(إظلام كامل)

الديوان الثالث

ديوان القحط

الأقنعة الثلاثة بالمقدمة فى أثمال يمسكون بربابات كبيرة بلا أوتار جالسون القرفصاء..

الثـــــلاثة: (ينشدون معًا فى نشاز)

كنا بنجد فى سرور وفى هنا
تجينا فواكه زاهية وزهور
وبعدها اقحطت نجد وأرضها
سبع سنين كاملات شهور
ماجاها سحاب ولا غيث ولا مطر
وقد أظلمت من بعد عز ونور
«يضعون الربابات بجانبهم. يتهدون»
أظلمت..

(ق ١، ٢ يضعان قناعى عجائز. يقفان متكئين على الربابات كعصى ق ٣ كما هو جالس بقناع الطفل. يتقدم ق ١، ٢ يمينًا ويسارًا موقعين بالعصى)..

١، ٢: (معًا) القحط

تضاء الدرجات. انتثرت عليها لوحات «منزل القاضى بدير» ويجلس القاضى فى حجرة ثمار يلتهمها. منزل السلطان حسن، ويقف بجلباب على اللحم

يدور حول نفسه «منزل ابى زيد» ويقف محملقًا فيما حوله... «منزل دياب»

ظهر إليهم ثم ٣ لوحات أمير قبيلة بلا أشخاص)

ق ١، ٢: (يدوران حول المنازل وق ٣ جالس مكانه) القحط شديد. القحط شديد..

ق ١: الأشجار تموت والبهجة

ق ٢: الخضرة تتحول يابس والكلمات

ق ١: الماعز تنفق والبراءة تموت..

ق ١، ٢: (معًا) قحط شديد. قحط شديد قحط شديد..

(يتجهان إلى منزل القاضى)

ق ١: ما العمل يا قاضى..

ق ٢: ما العمل يا بدير...

بـــديـــر: (مخفيًا الثمرات) لو أنى أملك أعطيكم، دعونى فى خلوتى أدعو الله.، وأستغفره... ما بكم من عقوق أو فسوق..

ق ١،٢: القاضى يهلك حزنًا علينا

ق ٣: (مستديرًا نحو القاضى) يهلك من كتر الأكل. «هات واحدًا».

بـــديـــر: أعنى على الدعاء. بموفور الغذاء. استغفروه. استغفروه..

ق ١،٢: متجهين نحو منزل السلطان حسن قحط شديد. جدب شديد

ق ١: الأشجار تموت والبهجة

الخضرة تتحول يابسًا والكلمات

الماعز تنفق والبراءة.

ق ١، ٢: القحط شديد يا سلطان.

حـــســـن: (رافعًا كلتا يديه فى وجد) أفتديكم يا فقراء بنى هلال كل ما عندى أعطيكم ما بقى فى قلبى من دفء فخذوه. ثوبى وزادى ورقادى. ربى ماذا أصنع؟

ق ١، ٢: السلطان عاجز وحزين. والجدب الجدب شديد.

ق ٣: الله عليه العوض. فوق كلام

ق ١، ٢: (يتجهان نحو منزل ابى زيد) قحط شديد. جدب شديد.

ق ١: الأشجار تموت. والبهجة..
الخضرة تتحول يابسًا. والكلمات..
الماعز تنفق.، والبراءة..
ابــو زيــد: ما بالك يا نجد
قلبك الحانى يتشقق عطشًا
يتهاوى كل شىء ترابًا..
الجدب خسيس
من لى به وحشا أقتله
ق ١، ٢: أدركنا يا هلالى.. يا ملاذ الناس
فالقحط شديد.. الجدب شديد
أبــو زيــد: ق ١، ٢ يغيران الأقنعة ويرتديان عمائم وعباءات ويجلسان بمنازل الأمراء يلتهمان ثمارًا وشرابًا)
أبــو زيــد: (متجه إلى حسن) تدور يا حسن. ولا شىء
حــســن: قلبى يفيض بالألم.. والبيت خاو
ابــو زيــد: (تجاه بدير) اعنا برأيك يا قاضى.. لماذا أنت صامت
ق ٣: القاضى بقه ماهوش فاضى..
بــديــر: (يدير ظهره) اتركونى فى خلوتى أدعو.. واستغفروه.. استغفروه من أعمالكم سلط عليكم.
ديــاب: (يستدير) وما قولك فى أعمالك أنت يا قاضى..
بــديــر: لا تفسد على دعائى يا ولد.. اللهم غفرانك..
حــســن: الرأى يا دياب..
ديــاب: ونسيت أنى قتلت أخاك يا حسن..
حــســن: نحن فى شدة
ديــاب: نتآخى وقت الشدة. نتقاتل فى الرخاء
ابــو زيــد: الرأى نسأل يا دياب...
ديــاب: عندك العلم والحكمة والشجاعة. دعنى أنا. أشهد آخر مَنْ يسقط.

أبــو زيــد: أسألك الرأى فتهكم من محنتنا .. أغرب عن وجهى

ديـــاب: (يخطو) إنى راحل..

حـــسن: والقحط. عذابات الناس؟

ديـــاب: هذا شأن الناس. أعرف كيف أدبر أمرى..

بـــديـــر: (من مكانه) دعوه ... دعوه.. وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه هه

ق ٣: وبطنه فى قفاه. قال للقاضى. الحيطة بال عليها الكلب..

أبــو زيــد: (يدور حول دياب) قول لا يصدر من رجل أبدًا ..

ديـــاب: أرنى ما يفعل رجل فى هذى الساعة..

أبــو زيــد: سأفعل لابد

ق ١،٢: (من مكانهما بأفواه مختلفة فى زى الأمراء)

القحط شديد. القحط شديد

ديـــاب: أى الأشياء ستفعلها لتزيل القحط.؟

أو تعرف ما يجدى مع هذا القحط؟ أن يرتج الكون بكامله يتقوض

بـــديـــر: كافر..

ق ٣: (فى مواجهة القاضى يمد يده) هات واحدة أنت يا كافر.

ديـــاب: أو. أو أن يبدأ سلطانك هذا المترنح بالقاضى. هذا الراقد فوق غلال تكفى الآلاف. فيريحه من لسانه ومن غلاله..

حـــسن: ويحك. هذا خالك قاضينا

بـــديـــر: أمنونى. أمنونى. من هذا الولد الملعون (نرمى بقايا ثمرات لقناع ٣ الذى يرتمى عليها)

ديـــاب: ورقابًا أخرى يقطعها.. وعيونًا أخرى يفقأها

وقلوبًا عفنة..

وقبورًا عطنة

حـــسن: نتكلم نحن عن القحط وعن جوع الناس..

ديـــاب: وأنا لا أتكلم إلا عن هذا القحط

حـــــــسن: أنا لا أفهم. لو أفهم شيئًا مما تعنى أفعل.

ديـــــــاب: لا لن تفعل . لا لن تجرؤ...

حـــــــسن: ويحك

ديـــــــاب: لو تمد فقط يدًا لبعض دنانير بجرار مختبئة.. لو تمد فقط يدا لحفتين من غلالهم..

نزعوك على الفور. ورموك إلى الطير..

حـــــــسن: أغرب عنا..

ديـــــــاب: إنى راحل.. ولترحل مثلى يا هلالى..

أبـــو زيـــد: (يمسك به) أو تنطقها فى وجهى؟ أن أتركهم؟ أرحل.. وكأنى نبت شيطانى ملعون مثلك أتركهم أنت فلا.. يعنيك سواك وانعم بمرآهم هنا يتساقطون..

ديـــــــاب: عمن تتحدث أنت؟ عمن ألقوك وأمك للظلمات؟ من ركعوا حين السيف نطق.. فى كف صبى أسود..

يدعى بركات..

ها هم مَنْ تتحدث عنهم..

قبائلنا. وأبوك الطيب فيهم والأمراء. ما بين ضبع وذئب...

بـــديـــر: أتسب أباه...؟

ديـــــــاب: وأسبك أيضًا يا خالى الغالى..

بـــديـــر: جن الولد. القحط أهاج جنون الناس. رحماك.

ديـــــــاب: واسب أبى أيضًا. غانم الأحمر. لا يتخير عن أى منهم. قد كان يعيرنى بالقبيح فى وجه أمى ويعريه أمامى. حين أثور وأتمرد..

ق ٣: أمك بغضب يا ابن الكلب..

ديـــــــاب: والأحقاد تنوش تنوش. والأيام تدور بكم خبط عشواء.

أبـــو زيـــد: (يصرخ) كفاك لغوًا يا دياب. ما أنت إلا سوءة، قلب قمىء. ما أنت إلا صخرة قد سكنها الشيطان. تبرر شرك بالشر وتتباهى (صمت. يتمالك نفسه يستطرد فى هدوء) أتظن بأنك تتحدث عما

لا أدريه. بالقلب جراح منهم أكثر مما يعرفه مثلك. أعرف كل مساوئهم ومخازيهم وكذلك أذكر أحزانى معهم. حين أطل ورائى فأرى المنفية تحملنى منبوذًا دون جريرة. وسط مطامع وجهالات حين أطل ورائى كى أشهد نفسى طفلا دعوه إلى السيف صغيرًا.. وتذوق طعم الدم.. كى يعرف قبل أوانه.. أى مكان مجنون هذا العالم. فيدور يدور يسأل كل علوم الأرض صبيًا وفتيًا (صمت) ثم يجىء العلم وينقلنى أكثر يهتاج فؤادى بالأسرار. يتعرى القبح أمامى. يتحدانى. أن يقهرها أو أقهره.. ولهذا اخترت طريقًا غير محاسبة أبى والناس أن أدفع وجه القبح بعيدًا عنهم. أن أتحدى العالم هذا فى كل نقائصهم. أتحدى معه تلك الصحراء الشرسة. من صنعت منهم هذا الضبع وهذا الذئب. تلك الصحراء الصامتة المسحورة. تلقى أسئلة دون جواب. أما أن تهلك معها أو نتخذها. تعلو فوق الأحقاد وآلام الإرث الملعون..

ق ١، ٢: (يرفعون الأقنعة فى مكانهم) أما أن تهلك أو نتحداها تعلو فوق الأحقاد. وآلام الإرث الملعون (يضعون الأقنعة ثانية ويأكلون)

ق ٣: كلام كبير (يمد يده) لله...

ديـــــــاب: لن تتركنا الأحقاد. ماذا تتخيل؟ لا شىء هناك سواك. اللعبة داخلك فقط. الحرب بداخل كل منها لا تهدأ. ضد العالم. ضد الناس. ضد أخيه وأمه. إذ خلق الإنسان يحارب من أجل بقائه. وعدا ذلك أوهام نتبادلها وبها يخدع كل منا الآخر. دع عنك الأوهام فلست نبيًا.

أبــو زيـــد: لكن لى قلب رجل. لى مثل عقل رجل. لا يحتمل العالم مسخًا يا هذا أما أنت فملتصق بالأرض..

ديـــــــاب: محض خداع.. وفر تعبك وارحل..

حـــــسن: ارحل عنا أنت فلا خير وراءك..

ديــــاب: إنى راحل. ابق بها سلطانًا أنت. حتى تهلك بك (ثم لأبى زيد) أما أنت فلن تصنع شيئًا ببقائك معهم. سيزيد القحط بها حتى يهلكهم لا نجاة لهم بها..

ابــو زيــد: إن كنت سأعجز. آتيهم ببلاد أخرى تؤويهم..

حــســن: نترك نجد..

أبــو زيــد: إن كان هذا لا خيار. فعلت

حــســن: وكيف..؟

ديــــاب: من يقبلكم...

ابــو زيــد: لن نستجدى أو نسأل..

ديــــاب: بالسيف إذًا..

ابــو زيــد: بالسيف أو الحيلة..

حــســن: فكر. افعل. لا أبغى إلا أن نجد مكانًا يؤوى الناس حتى ينجاب القحط نعود

ديــــاب: حتى ينجاب القحط. تعودون. وإذًا لا معنى لكلامك يا أبا زيد تعودون وثانية يأتى القحط.

يذهب ويجىء. تنجو أنت اليوم. ولن ينجو أحفادك. يذهب ويجىء. يذهب ويجىء. دائرة مجنونة فى تلك الصحراء البشعة..

أبــو زيــد: إنى أتحداه إذًا. (يصرخ) أتحداه. أتحدى هذا الكون الفظ. سأجىء بأرض لا تعرف القحط سأجىء بأرض خضراء أبدًا. تذوى معها كل الآثام تدفن فيها كل نقائصنا و آلام الإرث الملعون. ينمو فيها الأطفال صحاح.. سأجىء بها وأسويها ناصعة بيضاء بغير؟

ق ٣: المسألة كبرت.. لله..

ديــــاب: من يملكها

أبــو زيــد: كل الناس.. تكون الأرض والوطن الطهور..

ديــــاب: الأتراك تحلك يا حكيم؟

أبــو زيــد: احلم بما لابد أن يحدث. وما أريده يكون..

دياب: حذار يا أبا زيد..

أبو زيد: مما تحذرنى وأنت أعمى..

دياب: (صمت) ستعرف حين يأتى الوقت..

أبو زيد: إنى راحل..

حسن: وحدك. خذ معك رجالا..

دياب: (يضحك) لو فعل فلن يرجع..

حسن: خذ أبنائى. مرفت ويحيى ويونس..

أبو زيد: فليأتوا. مازالوا أطهارًا..

(إظلام فيما عدا بقصة بدير)

بدير: خذنى. خذنى، للأرض الخضراء. إنى أهلك جوعًا.. إنى أخشى هذا الشيطان دياب. (يهم فيتعثر وتتبعثر الثمار) خذنى أنفعك بفضل الله أو تهلك يا أسود.

(إظلام كامل)

الديوان الرابع

ديوان الريادة

ستارة الجحيم وقد تحولت ظلال اللهب إلى ظلال
مبان ومآذن عن بعد..
أبو زيد ومرعى ويحيى ويونس على جياد متناثرون
على الدرجات بالخلف فى حركة مسير..
الأقنعة الثلاثة بالمقدمة

الثلاثة: آدى الولاد يحيى ويونس ومرعى ذو الوجه الصبيح
ق ١: أيضًا وذو العقل الفصيح.
ق ٢: مع عمهم أبو زيد..
ق ٣: سيد الفوارس وسبع البيد
الثلاثة: خرجوا إلى الدنيا الفسيحة
ق ١: مرعى وكان شاعرًا مع عمه
يحيى ويونس فى شروقها ليل (يضحك يحيى ويونس فى بلاهة)
ق ٢: وأبو زيد كمان عند اللزوم. ساحر طبيب فلكى وصاحب ألف حيلة..
ق ٣: اسمع وصلى ع النبى
ق ١: صلح الأوتار
الثلاثة: ساروا وجدوا فى المسير. طاروا وسابقوا الطير. قطعوا البرارى والآجام اللى فى سنة فى أيام... يواصلون الليل بالنهار.. حتى

وصلوا إلى تلك الديار. يار.. يار... يار.. يار

مـــــــرعى: تلوح مملكة

أبـــو زيـــد: فلنتمهل (تبطئ حركة الجياد) هذى بلاد التركمان. (ملتفت إليهم) كل فى دوره.. بعين يقظة وآذان لاقطة.

(يحيى ويونس يضحكون فى بلاهة)

أبـــو زيـــد: سنواجه تلك الناس هنا.. تمدحه يا مرعى وتضحكانه. وإن كان مريضًا أطببه. وإن أراد الغيب خاطبت الأفلاك. أى شىء كان. لكن.

أبـــو زيـــد: لكن. لن يشغلنا شىء عن حفظ كل شىء ولنتذكر من يموتون هناك من القحط (تظلم الستارة والدرجات حيث يضاء الوسط والمقدمة قناع ١ يرتدى تاجًا ويحمل صولجانًا وعلى جانبيه ق ٢، ٣ فى زى آخر، وأمامهم مجموعة من الناس يقعى بلا حركة فى سكون الأشياء).

ق ١: الغطريف الغضبان. حاكم التركمان . ومن ليس له ثان. اللى مش عاجبه الكلام ده يقول..

ق ٢، ٣: هو ده معقول.

ق ٢: (المجموعة) مين مش عاجبه (القناع ١) سامع الهتافات.

ق ١: (يشد ملابسه) عايز تأكيد. عايز إثبات.

ق ٢، ٣: تؤمر يا سبع. أؤمر...

ق ١: (يدور) السما تتطوى ع الأرض. بالطول والعرض..

ق ٢: يحصل..

ق ٣: نستعين (بالتكنولوجيا)

ق ١: (يرمى بالتاج) وعايز أعّرف أيه بكره. وحتى آخر الزمان.

ق ٣: نشوف لسيادتك الفنجان

ق ٢: (يدور حول المجموعة الساكنة). ممنوع النوم ولمدة شهر.. كله يضرب لى سلام..

ق ٣: (المجموعة) ويوجه باسم بليغ

ق ٢: واللى يتكلم هتبقى خيانة

ق ٣: السجون عدد اللمون...

ق ٢: (يعلن) وصل الفرمان.

ق ١: (يصرخ) وعايز أضرب حد

ق ٣: هاتوا الشعرا..

ق ٢: بالباب شعراء حجازية..

ق ١: مقاطيع. هاتوهم من قفاهم

(إظلام وتضاء الستارة والدرجات)

(أبو زيد والفتيان على أجياد فى حركة المسير).

مــــــرعى: يا روع نفس. كلب مـســعـور وبـلاد بلا نـاس رياض الجنة وآلاف الشحاذين.

والطل موتى بلا أكفان

(يونس ويحيى يضحكان فى بلاهة)

مــــــرعى: (يصيح بهما) كفى. انتهى التمثيل..

يحيى ويونس: (معًا) حتى لا ننسى. فنضيع (يضحكان فى بلاهة)

أبــــو زيــــد: رويدك يا مرعى. لم نشهد كل شىء. مجرد مملكة.

مــــــرعى: وكيف مدحنا هذا الكلب. انت أبو زيد.

البطل والمثال... تمدح حشرة.

أبــــو زيــــد: هذا قدرى. من أجل المستقبل (يهمس) يالها من مملكة.

مــــــرعى: أترى فى الأرض مكانًا أفضل

(يضحك يحيى ويونس فى بلاهة)

أبــــو زيــــد: (يصيح) فلنواصل (تسرع حركة الجياد)

الـثــــلاثـة: أقنعة يار يار يار يار يار

مــــــرعى: لاحت مملكة أخرى..

أبــــو زيــــد: تلك مملكة دلبيس. ملكها بدريس

مــــــرعى: ماذا تخبئ لنا؟

(تظلم الستار والدرجات)

(تضاء المقدمة والوسط)

(الأقنعة الثلاثة وحولهم مجموعة من الناس ظهورهم للمشاهدين)

ق ١: (يلبس تاجًا ويغطى صدره)

(بأوراق ملونة. ٣،٢ يدوران حوله في حركة موقعه كأنما يهتفان)

ق ١: حبايبى، روح قلبى قلبى. شعبى
أنتم أنا وأنا أنتم.. وبأمركم عايش

ق ٢، ٣: (فى هتاف) بدريس هو دلبيس. دلبيس هو بدريس. مدريس هو دلبيس.

ق ١: أيه تؤمروا شعبى..

ق ٢، ٣: اللعب والشمس طالعة مع نسمة الحرية

ق ١: نلعب سوا؟

ق ٢، ٣: نلعب

ق ١: الاستغماية. اللعبة دى عالمية. وعشانكو حبيتها. كله يتغمى حبايبى

ق ٢، ٣: (...) كله يتغمى

(المجموعة فإذا بهم جميعًا معصوبو الأعين)

(يبدأ ق ٢، ٣ فى الدوران بهم فى حركة تتزايد سرعتها بقسوة بالغة)

ق ١: دوروا حبايبى دوروا الله عليكم قصادى وانتو دوروا
والعبوا دوروا ـ أنا ع المصالح والمصير ساهر
(ثم تبدأ تشير فى فحيح موجهًا ق ٢، ٣)
الواد تاخده من سكات وتحوله سمكة. والواد ده شكله مريب خد مخه قم وشفه والحارة دى اربطها فى الهلب لتشرخ بعيد. واطلعوا.. بالسور ألفين متر كمان (خلال ذلك يكون ق ٢، ٣ قد تقاذفا أفراد المجموعة حتى أخفوهم جميعًا ثم يستديران على ق ١ متقدمين معًا تجاه المشاهدين)

الثلاثة: ملوك ملوك ملوك. الهند والسند والأعجام. وأبو زيد وفتيانه يدورون شوفوا الملوك (تقفز ق ١ على درجة وتقف كفراشة)، معلقة

بخيوط حيث تقف على درجة أعلى ق ٢، ٣ ممسكان بالخيوط الوهمية» آدى ملك تانى.. عروسه

(يتحرك مع تحريكهم له)

ق ٢، ٣: بيجى كده بيجى تيجى كده بيجى.. تضغط كده يزمر تلعب كده يحمر عينيه

ق ١، ٣: وآدى ملك الكوتشينة

(ق ٢ فى زى ولد الكوتشينة)

ق ٢: واحد اتنين. أربعة سبعة. كلها كلها أعداد لكن مفيش زى الولد... يقش عند اللزوم يكش عند اللزوم والباقى عدد

(ق ٢ تقفز على درجة مرتفعة يفتح حقيبة وهمية)

ق ١: وآدى ملك شربه الدود الحديد

ق ٣: عيسى نبى موسى نبى محمد نبى.. وكل مملكة لها نبى تصلى عليه ايدى كده تطلع حمار. ايدى كده تطلع خضار. ايدى كده تطلع سلام. ايدى كده تطلع محبة واحترام. ايدى كده تطلع عنين اللى ما يصلى . ع. يكن يسمع من سكات

الثلاثة: ملوك ملوك ملوك ـ الهند والسند والأعجام.

أبو زيد وفتيانه يدورون والعالم يكشف عن وشه الستار.. ليهم

(يضاء حول أبى زيد والفتيان على الجياد)

مرعى: عالم آيل للسقوط

أبو زيد: ليست نجد فحسب،، القحط يجتاح العالم يا مرعى

مرعى: أى عزاء عن هذا الكذب وهذا القهر وهذا البؤس..

أبو زيد: ما سوف نصنعه غدًا..

(يظهر دياب فى بقعة يسارًا يقهقه
يرد عليه يحيى ويونس بالضحك الأبله
قهقه دياب... يضحك يحيى ويونس
ويبكيان فى وقت واحد ببلاهة
يائسة.. يختفى دياب)

مـــــــرعـى: (ملتفتاً لهما) ماذا دهاكما.. انتهى التمثيل (يضحكان ويبكيان)

أبـــو زيـــد: يونس.. يحيى

(يضحكان ويبكيان)

مـــــــرعـى: (يصرخ فى هلع) كفى

أبـــو زيـــد: (هامسا فى حزم) تلفا. من وطأة العفن

مـــــــرعـى: ويلى فقدناهما

أبـــو زيـــد: فلنواصل

مـــــــرعـى: لم أعد أحتمل. أعود للقحط أرحم. دعنى أعود بأخوى

أبـــو زيـــد: اقتربنا من الهدف.. انظر

(تضاء ستارة الجحيم وتبدو فى ظلال تونس)

مـــــــرعـى: إنه جحيم آخر. دعنى أعود بحطام أخوى.

أبـــو زيـــد: إنها الجنة

مـــــــرعـى: وأى جنة تحاط بكل هذا الحديد؟

أبـــو زيـــد: أسوار. أسوار، من الحديد نعم

مـــــــرعـى: وميض حديد متوهج. وميض حديد بارد لابد أن خلفها عذاب

أبـــو زيـــد: تلك هى الجنة. مملكة الزناتى، سأحررها من أسوارها.

ويبدأ يحيى ويونس. ويختفى القحط عنا ويبر العالم مما فيه.

(يظلم حولهم وترفع ستارة حيث نجد ستارة بشرية كل منهم يمسك بصدره صورة للزناتى. الأقنعة الثلاثة بالمقدمة)

الثـــــلاثـة: (يشيرون إلى الستارة البشرية) مملكة الزناتى خليفة.

الثـــــلاثـة: تونس الخضرة

ق ١: كل شىء فيها زناتى...

ق ٢: مختومة بختم الزناتى...

ق ٣: حتى الزبيب البناتى..

الثـــــلاثـة: كله. زناتى. كله يهاتى..

الســـتـــارة: الزناتى..

واحـــــــد: (من الستارة البشرية) التاريخ هنا زناتى

ق ١: والطبوغرافيا ومشروب الصباح

واحـــــــد: العلم هنا زناتى

ق ٢: حتى البطيخ وأصوله فيها زناتى

واحـــــــد: الفن هنا زناتى

ق ٣: مسا وصباح

واحـــــــد: الزرع هنا زناتى

واحـــــــد: التجارة

واحـــــــد: العمارة

واحـــــــد: النجارة

الثـــــلاثة: الحب والأحلام وهمسات الفلك كل شىء كان فى الزمان أو فى المكان كله زناتى.. كله يهاتى (الستارة وهى تنفرج) الزناتى

(تفتح الستارة البشرية وتقف على الجانبين بالصدر ساكنة يظهر بالصدر الزناتى على عرشه مستنداً برأسه على يده مفكراً إلى أسفل يجلس العلام محدقًا فى بلورة مساراً إلى أسفل يجلس سعدا يحدق فى بلوره)

الـــزنـــاتـــى: (ينظر حوله فى بطء ثم يحدث نفسه) وحدى صقيع لا حدود له لكن. من أجلهم أتحمل حتى لا يضيعوا. حتى لا تضيع تلك القلعة المتينة

رجـــــــل: (واحد من الستارة البشرية) مولاى.. أغراب ألقينا القبض عليهم بحديقة قصرك منذ قليل..

الـــزنـــاتـــى: أغراب.. (يستمر حوار صامت بين الزناتى والرجل تتقدم سعدا والعلام إلى الأمام)

ســـــعـــــدا: (للعلام) أرأيت ما رأيت أنا.. ما قال الرجل والبلورة.

العـــــلام: نعم..

ســـــعـــــدا: لقد جاءوا

العـــــلام: كان لابد أن يأتى أحد

ســـــعـــــدا: يستكشفون ثم تأتى الجيوش

العــــــلام: لا يحتاج الأمر إلى جيوش يكفى رجل واحد

ســـعـــدا: قال الرجل. دياب

العــــــلام: من حضر الآن أبو زيد

ســـعـــدا: معه من كنت أنتظر. فارس مملكتى . قال الرجل أُعرف اسمه. مرعى. أعطيتنى البلورة وجهه جمال الروح والجسد كم انتظرت. والقلب والجسد سجين فى مملكة أبى..

الــزنــاتــى: (يصيح) ادخلوا تلك الكلاب الأربعة..

(يدخل أبو زيد ومرعى ويحيى ويونس فى اغلال)

(ينتصب الزناتى فى غضب) من مع سعدا تجاه مرعى وتتجمد أمامه

(تسير فى وجوههم بحدة) وجوه جياع وشر مختف لم جئتم مملكتى؟

ســـعـــدا: (مقتربة من مرعى الذى يحدق فيها بدوره) مرعى.. مملكتى.

(يجمد المشهد وتقفز الأقنعة الثلاثة إلى المقدمة بحراب)

الثــــلاثـة: أهين يا فارس الهلالية وقع

أبو زيد فى ايد الزناتى والولاد. وقعوا

لا الشعر ينفع ويا الزناتى. ولا إليها ليل

لكن. ولكن دى. يتغير فى لعبة الأقدار

أقدار ممالك وأقدار اللى ما لهم دار..

الــزنــاتــى: تلك المملكة.. بكل الدقة والأحكام خططتها بيدى وبكفى قام الحجر على الحجر.. وبنار قلبى أحطها بالحديد المصهور..،.. والعالم حولها غابة والغد لا يبين وجهه والموت. لا أعرف فى أى منعطف ينتظر. ثم ألا يمكن أن يكون هناك خطأ ما.. (ينادى) يا علام

العــــــلام: (من مكانه) مولاى.

(يتقدم فى بطء ويركع)

الــزنــاتــى: أيمكن أن يكون هناك خطأ ولا أدرى به؟

العــــــلام: فيم يا مولاى

الـــزنـــاتـــى: فى كل ما صنعته؟

العــــــــــلام: وكيف يأتى الخطأ من الصواب.

الـــزنـــاتـــى: أكل ما صنعته صواب؟

العــــــــــلام: ما حولك يشهد

الـــزنـــاتـــى: ولكن. من المحتمل. أن يكون هناك فى مملكتى من يحمل أفكارًا لا أعرفها تشير إلى شىء. شىء ما..

العــــــــــلام: كل أنهارنا تأتى من البحر وتصب فيه

الـــزنـــاتـــى: (تقف) آه. تلك المملكة. معشوقتى.

امرأتى. أخشى عليها من شىء مجهول . آه. ليس لى ولد (تكون سعدا قد تراجعت عن البلورة واتجهت ناحيته)

ســــعــــــدا: أو تكرهنى يا أبتى. لأنى لم أكن ولدًا

الـــزنـــاتـــى: سعدا. أتحدث عن مصير مملكتى..

ســــعــــــدا: حقًا. ذلك لا أفهمه فمملكتى أنا مختلفة.

الـــزنـــاتـــى: كفى عن هذا اللغو. أفسدك التدليل..

ارم الودع وشوشه.. والودع دوار

(يجرون ويتحرك المشهد)

الـــزنـــاتـــى: وإذًا لا كلام ؟ (يشير إلى ابى زيد) كبيرهم يلتزم الصمت وبالعينين دهاء (يشير إلى مرعى) والآخر يحتضن هواء القاعة مذهولا. (يضحك يحيى ويونس فى بلاهة) والآخرون غارقون فى البله.. (يعلن) ارفعوا تلك القمامة عن مكانى. وليقتلوا

ســــعــــــدا: (تمسك بيد مرعى دون وعى) لا يا أبى لا يقتلون (تترك يده)

الـــزنـــاتـــى: البنت جنت يا علام. تهدم قولى

عـــــــــــلام: لا يا مولاى. سعدا لا تتحدث إلا بلسان الرمل

ســــعــــــدا: نعم. أن يقتلوا (تهمس فى وجه مرعى فقد انتهت كل الحياة).

الـــزنـــاتـــى: ماذا تقول

ســــعــــــدا: (تتجه إلى ابيها) لن نعرف السر الذى جاءوا لأجله. أن يقتلوا.

علام: الرمل قال

سعدا: الرمل قال.. أن يذهب أكبرهم هذا يأتى بالفدية للباقين.
وبها ينكسر الصمت. ونتبين (صمت)

الزناتى: فكوا قيود كبيرهم.. والآخرين إلا ظلام سجن حتى يعود.

سعدا: فى سجن قصرك يا أبى آمن (تهمس لمرعى) ستكون فى عينى بعمق القلب.

(يفك أبو زيد قيوده ويتقدم للأمام حيث تخفت الإضاءة تدريجيًا حول منطقة الزناتى وترتفع على الدرجات حيث تبدو مجموعة الهلالية متأثرين فى جمود ... حسن والقاضى والجازية وعلياء ودياب)..

أبو زيد: (وحده قبل أن يدخل منطقتهم) سآجىء إليكم بالفدية. فدية أحلامى المطوية. الغزو يكون (فى نصف استدارة نحو منطقة الزناتى) سأجىء إليكم يا مرعى بعزاء قاطع. فأقوض كل الشر هنالك فى طرقات الأرض. مما أضناك وأشقاك. أتلف أخويك. حتى آتيها. تلك الجنة. وأحررها من كل الأسوار. تشرق فى كفى الشمس على دنيا أخرى..

(يصل إلى المجموعة وتتحرك الأقنعة الثلاثة تدور حول المجموعة دون توقف بعصى وتتخلل الحوار بعبارة: القحط. القحط. القحط يزيد)

حسن: (يكاد يلطم خديه) وأبنائى يا هلالى. جئت تقول الغزو وتركت أبنائى هناك أنى لهالك

أبو زيد: أبناؤك فى مأمن. هم مسجونون. لكن بحماية سعدا.

الجازية: ولم؟

أبو زيد: كان ولعًا بالغيب وتنظره، ما تركتهم هباء فالغزو قد أعددت له وأعرف الحليف والعدو وأعرف ما أريد..
فلتختاروا الآن. أما الهلاك هنا.

بدير: أو تلك المغامرة الخاسرة البائرة. عدت بالخيبة وفقد أولاد السلطان لم تذكر حتى أن تحضر لى بعض التفاح
ثم تقول الغزو. لغو مستفز. والجوع يهلكنى ويهلككم

الجـــــازيـة: والله يا قاضى ما عرفنا فيه لاغبًا ولا مخادعًا. فلنطمئن لما يقول.

حــــــسـن: (يدور وسطهم) إذًا. فلاشىء. غير أن. أقبل. هكذا؟ ما أصنع إذًا يكون. ما قال يكون.

بــــديـــــر: وتضرب بكلامى عرض الحائط. أنا القاضى بدير ذو الحكمة والتدبير (يخرج مهرولا) فلتهلكوا خلفه. ويل لكم دونى..

الجـــــازيـة: بل ويل لنا دون أبى زيد. كلنا خلفه يا حسن الرجل والملجأ به نفوذ

عـلـيــــــاء: وبكم يشقى. يشقى فلا يلقى سوى النكران. هكذا دومًا.

الجـــــازيـة: تكرهين أن يدركنا زوجك فى المحن. لم ؟ والله لقد تركت الزوج والولد بمكة من أجلكم.
وسوف أذهب حتى آخر الأرض معه

عـلـيــــــاء: قول مريب من امرأة ليست زوجته

أبـــو زيــــد: اسكتى يا علياء رأسك ملتصق بالأرض كرأس أخيك دياب (يستدير إلى دياب) أليس كذلك؟ أن أسألك الآن لتأتى معنا. سوف تساوم.
(صمت الجميع يرمقون دياب منظر من الحراب)

ديــــــــاب: ياهلالى كل شىء بثمن. لك أيضًا ثمن ترجوه

أبـــو زيــــد: أى ثمن. لا يحتمل عذاب الناس مساومتك

ديــــــــاب: لا يا هلالى كل شىء بثمن. لك أيضًا ثمن ترجوه أن تسعد أنت بحلمك يتحقق. تعطى للعالم وجهًا آخر.. وتسويه وتغير من خلقتهم فيه. لكنى أصغر شأنًا من هذا. أنا أطلب ثمنًا محسوسًا ما أختار لنفسى من القصور والضياع والسطوة

حــــــسـن: تتحدث عن الغنائم وتلك المرأة تركت الزوج والولد من أجلنا.

ديــــــــاب: ومن أدراك يا سلطان إنها جاءت لهذا..

عـلـيــــــاء: آه يا أخى دياب. تتحدث عن هواجسى. تلك المرأة تبغى زوجى..

الجـــــازيـة: أى بداية حقيرة.. فلنرحل دونه

عـلـيــــــاء: لا تأمر وتطاع (لأبى زيد) لن أرحل معك أنا إلا أن جاء أخى.

ديــــــــاب: لا عليك ياعلياء. فالقوم يحتاجوننى ولا مفر إذ ستواجه كل وحوش الأرض المسعورة هذا ما قال أليس كذلك يا جازية.

حســـــن: لا نحتاج إليه أنا السلطان أقول

أبـــو زيـــد: بل دعه ليأتى يا سلطان فلا أخشاه

ديـــــــاب: (فى مواجهة ابى زيد) لست وحدى من عليك أن تخشاه يا هلالى بل الجميع فرسانًا كانوا أو امرأة حتى من يزن الحق. القاضى. حتى هذا السلطان المتغنى بعذاباته من أجل الناس.. فلتجدر يا هلالى. إنى أشهد مقتله عظمى يقتل فيها الأخ أخاه. ولن أكون أنا القتيل.

أبـــو زيـــد: جئت تعلمنى ثانية لست أجهل أى شىء وسوف أقهر كل شىء لن تولد الجنة إلا من قلب الجحيم.

فلتأت كل صنوف الشر المتربصة بكل مكان. أنى أقهرها أفتح لكم الجنة وأسويها. لن يغلق باب الجنة دونى شىء. (لحسن) مرهم يعدوا للرحيل

ديـــــــاب: إنى آتى كى أشهد إن كانت الجنة أم الجحيم يا هلالى.

ومن منا سيحصل على الثمن الذى أراد.. لكن فلتعلم .. لن يحصل كلانا على ما يريد فى وقت واحد.. واحد فقط سيحصل على الثمن والآخر لابد أن يموت بلا ثمن. . فمن منا سيقتل الآخر يا هلالى..

(يجمدون تقفز الأقنعة الثلاثة إلى المقدمة)

الثـــلاثـة: مَنْ. سيقتل مَنْ؟

بـــديـــر: (يقفز داخلا امامهم مخاطبًا المشاهدين) استخرت الله وقررت سآتى معكم حى لا تضيعوا بدونى. والأمر لله

من قبل ومن بعد وفروا لى جملا بهودج

الثـــلاثـة: (يطلون من خلفه، وحديقة غناء وجارية بيضاء)

وعلام بغى

وبحيرة من الزئبق

بـــديـــر: وثلث المغانم لى حق وعدل

الثـــلاثـة: فلتبدأ التغريبة

(إظلام)

القسم الثانى

الهلاليـــة

ديوان التغريبة والحرب

ديوان الفتح

ديوان القتل المتقابل

الديوان الأول

ديوان التغريبة والحرب

ثلاثة جياد بالمقدمة وصوت طبول بالخارج
تدخل الأقنعة الثلاثة فى ملابس امراة لهم بطون كبيرة
كل يحمل طبلة على بطنه يدورون حول الجياد وهم
يدقون الطبول بعنف وسرعة ثم يتوقفون فجأة مع
صيحة واحدة.

الأقنعة الثلاثة: الحرب

(تضاء الستارة بالخلف تدريجيًا خلال ما يلى مع استمرار دقات على الطبول)

ق ١: فن الفنون
ق ٢: عقل وجنون
ق ٣: فر وكر وإقبال وإدبار
ق ١: من أول الطوبة فى أيد قابيل
ق ٢: لحد طوبة ذرية فى أيد هابيل
الثلاثة: ويسألون عن السبب
ق ٣: ياللعجب
الثلاثة: ما أكثر الأسباب
ق ١: أو أنه واحد

ق ٢: (فى تداخل) أسباب. سبب. أسباب.. سبب (يتماسكان)

ق ٣: (يفضهما) صلوا على طه مافيهاش خلاف. دى المصارين من جوه البطن بتتخانق والحرب شريعة.

الثــــلاثـة: (مقلدين بدير) سبب وذريعة..

النفس فى كرب. والناس فى حرب. والكون منشطر على نفسه

(يرمقون الطبول مرة واحدة ويضعون الأقنعة الشيطانية متقدمين حتى اقصى المقدمة)

الثــــلاثـة: (بضجيج ومرارة وسرعة) وبعد مقدار من الزمن فإن قوى نظامنا الشمسى ستتدهور

ق ١: ومجد الشمس سيخبو

ق ٢: وتقف الأرض قاتمة جامدة. فلا تحتمل ذاك الجنس الغبى.

ق ٣: الذى أزعج وحدتها خلال لحظة عابرة

ق ١: فى عصر الكون اللا نهائى.

الثــــلاثـة: ولابد للإنسان أن يوارى فى الحفرة وتمحى كل أفكاره.

ق ٢: والوعى والقلق الذى قطع السكون السائد فوق الكون.

ق ١: فى هذه الزاوية المظلمة.

الثــــلاثـة: سيسكن

ق ٣: ولن تعرف المادة ذاتها بعد ذلك

الثــــلاثـة: لن يكون الإنسان ولا الحيوان ولا النبات (يستبدلون الأقنعة بمبات. بمبات. بمبات

(يمتطون الجياد ويمسكون برماح ذات اعلام) وآدى عندك الانتصارات

(تضاء الدرجات حيث ابو زيد وحسن ودياب وبدير على جياد مسير او قتال. الجازية وعلياء على جملين تكمل الظلال على الستارة التعبير عن الرحلة ينشدون متحركين بالجياد حركة موازية لحركة المجموعة)

رحلنا من نجـد العـريضـة بنجـعنا

وأبو زيد قـيـدوم الرحـال يقـود

وجبنا على عين الكسيح بنجمعنا

وجونا الأعاجم حاشدين حشود

ملكنا خر بندى وسائر فروعها

ندهنا سلامة للعدو ردود

وجزنا على حلب الحصينة مع الرها

ومن حمص عدينا وفود وفود

وشبيب أمير القوم وابن أمرهم

كسرناه على الزرقا بنى موسود

وقاطبة مع قاطبة رعينا قلاعهم

واللت والرملى بها موجود

نزلنا على مصر العزيزة بجيشنا

وسلطانها ولى وراح مقصود

وإسكندرية والصعيد جميعهم

سددوا علينا للمخاض سدود

أبو زيد كيف النيل فى القحط والغلا

إن أسى فى أرض مجدبة بيجود

وجبنا على قلعة بريبر

وبلاد برير حربها مشهود

(ترع الحركة بالجياد بهوس)

وبلاد برير حربها مشهود

(تسرع الحركة بالجياد بهوس)

وبلاد ضرورة حربها مشهود

وبلاد لعاجم حربها مشهود

وبلاد قبرص حربها مشهود

مشينا مشينا مشينا

اتهــدت الدنيــا فــوقنا وتحــتــينا

اقلــب كـــعـــور دعـــور اقلـــب

أبـــو زيـــد: (يقف بجواده صائحًا) أوقفوا تلك الكتائب .. كل فى مكانه

(تتوقف حركة الجميع. حيث تظهر يسار الستارة أسوار تونس يستدير أبو زيد نحو المجموعة بفرسه)

أبـــو زيـــد: يا سلطان القــبــائل يا رجــالهــا

انـظـروا خـلـفـى.. مـن أجـل تـلـك

الــبــقـــعـــة الخـــضـــراء هناك

تلك الجنة التى لم تتحرر بعد تحملنا

ما كان العناء والدماء .. وتلال جماجم دون حصر. والموت يحصد منا من شاء. والمخاوف والقلق. تغفو وتستيقظ. وعذابات أناس لا يعرفهم... فلننتظر قليلا فيما كان قبل أن نواجه الهدف الأخير.

حـــســـن: (يتقدم مستديرًا إلى المجموعة بدوره) فيم الحديث الحزين الآن؟

حدثهم عن المجد و اسأل يا هلالى، قهرنا ملوك الأرض فهل فيها مثل قبائلنا؟ قدتكم بقلب ثابت فهل فيها من سلطان مثلى

رجالى وبنى لست أفاخر لكنى بكم مبتهج وسعيد لم يبق إلا تلك الأسوار.. ويعود إلى مرعى ويحيى ويونس.. ونودع زمن القحط إلى الأبد. ساعات ثم نفتحها

الثـــلاثـة: (يرفعون الأعلام) هيه..

بـــديـــر: قل إنها فتحت. فما أراه فى المنام يتحقق بالتمام والحمد لله من قبل ومن بعد والشكر لى. بمشورتى كان النصر لكم والغنم. وفكروا فيما أستحق من الأجر العظيم

الثـــلاثـة: (يتقافزون) ولنا الفضل

ق ١: وانفتح لنا طاقة القدر.. افتح حجرك

ق ٢: أنا الجنوب الشمالى وأنت الشمال الجنوبى وأنت الشنوب الجمالى

الثـــلاثـة: فرق فرق من دلوقت

علـيــــــاء: والله أنه لعار أن يتباهى هذا وذاك ويطلب ولا يذكر قبل الجميع الهلالى ودياب

الجـــــازيـة: ليس هذا ما يريد الهلالى يا علياء

أبـــو زيـــد: ولا ما أريد سماعه من سلطان القبائل

حــــــسن: ماذا ؟ علمنى إذًا يا هلالى ما أقول؟

بــــديـــــر: قول مهول..

الثـــلاثـة: الهلالى شطح نطح

أبـــو زيـــد: لا يعلو فضلك أو فضلى أو فضل دياب.. على أى فرد من عامة القوم فينا يا سلطان. أمام هدف من أجل الجميع.

ق ١: إنى أحتج

ق ٢: نحن أمراء القبائل. من كنا نقود

ق ٣: أتسوى بيننا وبين الناس..

ق ١: أبو نكلة على أبو قرشين

ق ٢: لما أنا أمير وأنت أمير. مين يسوق الحمير

ق ٣: واللى مالوش كبير.. يشترى له كبير

علـيــــــاء: لصوص وكلاب

الثـــلاثـة: (يرمون الأعلام) أتهزئنا.. مع السلطان؟

حــــــسن: حقًا وخبرونى. تهدم خيبتى بين القبائل علنًا. فلم؟ لم يا هلالى الآن.

بــــديـــــر: الله أعلم بالسرائر...

الثـــلاثـة: ومحدش عارف ناوى على أيه.

الجـــــازيـة: رويدكم يا امرأة. رويدك يا أخى. أو جرؤ أحد أن يتشكك لحظة فى نوايا الهلالى. الحق ما قال. فوالله هذا كلام لا نفع فيه. وضره أشد.

أبـــو زيـــد: وتتحدث عن مجد ليس بمجد

حــــــسن: ليس بمجد؟

ق ٢: قلاع تتهدم أثر قلاع..

ق ٣: جبنا عاليها واطيها. وما هوش مجد؟

أبـــو زيـــد: قهرنا طواغيت الأرض نعم. لكنا تركناها خرابًا وزدنا البائسين بها بؤسًا.. لم نتفق على النهب أو القتل بلا سبب

بـــديـــر: للحرب ضرورات يعلمها كل محارب. ولا اتفاق ما بين مضروب وضارب

أبـــو زيـــد: ما أعلنا الحرب ولكنا جئنا نطلب أرضًا من ويلات القحط.. تولد فيها ثانية نقتل من الآثام ولا نوغل فيها..

بـــديـــر: أو ليس يسمى ذلك غزوًا يا سادة...؟

أبـــو زيـــد: ما حاربنا غير طغاة الأرض اعترضونا فلم التنكيل بمن لا ذنب لهم والنهب؟

بـــديـــر: ذلك قانون حق. من يهزم يغنم.

ديـــــاب: أنت على صواب يا قاضى وهو على خطأ. ولكن الذى نهب هو من لم يفعل شيئًا. وهنا السؤال اللامع. ماذا فعل السلطان ليطنطن بكل هذا الكلام مع الغنائم.

عـلـيـــاء: وإنى أيضا يا أخى أسأل

ديـــــاب: (التبرير) وماذا فعلت أنت حتى كبرت بطنك وتدلت مما نهبت. وماذا فعل هذا الأمير. وهذا الحقير. وهذا الرعديد.

عـلـيـــاء: أما زوجى وأخى فيهلكان من دون ثمن.

الثـــلاثـة: أنا نحتج أمامك يا سلطان.

ق ١: أنا طالب رد شرف

ق ٢: كفاية حرقة أعصابى

ق ٣: والسهد والتفكير

ق ١: والرسم والتدبير

ديـــــاب: حثالة. ضباع تقتات على صيد الأسود ثم تمشى كالأسود.

أبـــو زيـــد: كفى يا دياب. ذهبت بنا إلى طريق أخطر. والزمى الصمت يا علياء..

ديـــــــاب: بسيفى وسيفك وسيوف الناس. نهبوا ما أرادوا. وإنى لم أكن أنظر إلى فتات ولكن حين يخبئ الوقت لأخذ ما أريد فحذار. حذار أن يواجهنى أحد منكم حذار.

الجـــازيـة: ماذا تعنى يا دياب.

ديـــــــاب: أعنى ما أقول يا جميلة لا أخفيه

الجـــازيـة: والله إنى لأكره الغد من أجلك. ويل لنا منك

ديـــــــاب: لن تكرهى الغد طالما فيه الهلالى

عليـــــاء: هو ذاك. هو ذاك. (تضرب الهواء) علىَّ أن أرحل

الجـــازيـة: ويل لنا منك ومنه

حـــســـن: بل وياله منى أن تطاول

أبــو زيـــد: كفوا. ويل لكم جميعًا لو ظللتم هكذا. تغرقون كل شىء فى أوحال مخازيكم.. ولكن لا. لن يتكرر ذلك. لن يحدث إلا ما أراه صوابًا بعد الآن..

حـــســـن: أنا من يقرر الصواب والخطأ

أبــو زيـــد: ألزم الصواب إذًا. واعمل له

بـــديـــر: بدأت تتحدث كأنك السلطان يا أبا زيد

ق ١: وتطاولت بما لا يزيد..

ق ٢: ثم يأتى دياب بالتهديد

ق ١: بلاء شديد

الثـــلاثـة: (معًا فى صيحة واحدة) إيه؟

أبــو زيـــد: كفى لغوا وأفيقوا ليست تلك الأسوار أمامكم ككل الأسوار التى تهاوت فحولها المردة وجن سليمان وكل ما تعلمته أمامها قليل. ليس الزناتى ككل من قابلتم من الملوك والطغاة. فبداخله شياطين الجحيم. وبجوفه سبع أرواح تتوالد. لن يكون انتزاع تلك الجنة لهوًا أو عبثًا. دعوا الغرور الأبله جانبًا وضعة النفس والأحقاد ووالله لا أرحم من يبدد كل غنائنا عبثًا. وأما أردته سيكون..

ولسوف أصحح كل ما ارتكبتم من جرم أو خطايا (صمت. يلهث)
وإن نسيت كل شيء مما بنفسي مانسيتك يا مرعى تنتظر جوابا
عن قبح لم تحتمله. وتحمل أخوين أتلفهما عفن العالم ولسوف
أحمل إليك الجواب والعزاء. برغم أهلك وأبيك

حســـــن: أتضيعني يا هلالي بالكلام

أبــو زيـــد: يا سلطان. اسمع لما قلت تسلم وإلا فنرجع

الجـــازيه: اسمى للهلالى يا حسن. وإلا هلكنا

أبــو زيـــد: أشعلوا النيران ودقوا الطبول

(ترتفع الطبول)

ديـــــــاب: «يتحرك وحده بجواده على دقات الطبول» مر بما شئت يا هلالى
وليخضع السلطان والجميع.ليسمع لك من شاء
لكنى لن أسمع إلا لدياب. ما أريده سيكون لى

أبــو زيـــد: (يصيح به) يا دياب. أحتم أن تلجئنى للسيف أمامك؟

ديـــــــاب: ليس الآن. فما يملك أحد أن يقتلنى إلا هلك يا هلالى الآن. اما فيما بعد فيختلف الأمر. احذرنى فيما بعد..

(إظلام. ترتفع الستار حيث يظهر تدريجيًا بعمل المسرح ظهر عرش الزناتى، الذى يجلس عليه ولا يظهر منه إلا التاج على رأسه أمام ذلك يحيى ويونس يمسكان ببعضهما فى فزع طفولى مع بسمة ثابتة بلهاء.، أمامهما سعدا تجاه البلورة ومرعى يجلس بجانبها فى إعياء وجمود.. الأقنعة الثلاثة بمقدمة المسرح بعباءات ملففة وطراطير وأمامهم مبخرة).

الثـــلاثـة: «بأكفهم حول المبخرة» أقسمت عليك أيها السم السموم.
إن كنت فى الدم تخرج إلى اللحم
وإن كنت فى اللحم تخرج إلى العضم
وإن كنت فى العضم تخرج الى الجلد
وإن كنت فى اللحم تخرج إلى العضم
وإن كنت فى الشعر تخرج إلى الهواء

بحق من هو على العرش استوى
اخرج. اخرج. اخرج.. (صمت)
لكن ما فيش فايدة ويا خسارة
السم فى روح الفتى غلب الجسارة
(يخرجون بالمبخرة)

ســــعــــدا: مـرعى. لم لا تحـدثنى كنت أراك فـى البلورة وضـىء الروح. مـتـرع القلب بالفرح. لكن منـذ أتيتنى وأنت سـقيم. مع أن ومـيض الحب ارتعش بعينيك للحظة. لكن وكطير يلفظ أنفاسه..

مــــــرعى: (ببطء محملقاً فى الفراغ) كان قلبى مفتوح الأبواب لحبك يا سعدا. لكن، (صمت)

ســــعــــدا: واى لكن تلك يا حبيبتى. ترميك بعيدًا عنى.
أهلك وسيأتون . تونس وسيملكونها. وأنا أصير لك. (تنظر فى البلورة) بل ها هم. انظر يا مرعى قد أتوا فهد أسود ونمر أرقط. وخلفهما جيوش من الجراد. أتوا. إنهم بالخارج يحوطون بأسوارنا
(يضحك يحيى ويونس فى بلاهة)

مــــــرعى: (يلتفت إليهما) يحيى. هل جاءوا كما جئنا. منهم من تلف القلب بصدره ومنهم من سقط مثلكما فى ظلام مميت؟

ســــعــــدا: صدقنى يا منية القلب. كما كذبت عليك جاءوا..

مــــــرعى: هل قضوا على الشر كله والكذب وضيعة الإنسان. أم جاءوا بها جميعًا. ها هنا معهم. (تقف صارخة) ماذا جاءوا يصنعون؟

ســــعــــدا: جاءوا يحررونك وأنا. وتكون لى يا منيتى. وحدى

مــــــرعى: ما جدوى أن أكون لك. وكلانا لعالم سقيم

ســــعــــدا: دعك من العالم ليس فيه سوى البغض والحماقة والدم
دنيا أبى والممالك والوحوش. انظر لى وحدى كما أنظر لك أنت عالمى. وأنا عالمك. وكل شىء بعدها خاسر.

مــــــرعى: ماذا تقول البلورة..

ســــعــــدا: سيملكون تونس. وأملك نفسى معك.

مــــــرعـى: حطمى هذه البلورة.

ســــعــــدا: كيف؟! تتحدث عن دنيانا المقبلة علينا (يضحك يحيى ويونس)

مــــــرعـى: ليس سوى حطام أخوى. وعالم من الحطام

ســــعــــدا: لكنى لا أرى سواك.

مــــــرعـى: وأهلك يذبحون فى شوارعها. ألا ترين وإياك يندك على عرشه فى دمه ألا ترين؟ والكابوس القادم فى ركاب أهلى يا سعدا..

(يبكى ويضحك كل من يحيى ويونس)

ســــعــــدا: ذاك قدر العالم التعس المريض الوحش. فلنخلعه عنك لذا بقلبك يا حبيبى

مــــــرعـى: أين قلبى. سقط منى فى الظلام. فى رحلتى نحوك..

ســــعــــدا: (تحتضنه بهوس) لا حبيبى لاعدمت القلب. هاك قلبى. نور عينى. الروح عد إلىَّ كما رأيتك فى سطور الغيب عد. لا تلتفت حولك. فهذا العالم المسحور يصعق من يحدق فيه. يصعق من يحدق فيه.

مــــــرعـى: (يدور فى وجد) كيف أنسى كل هذا. ثم أخوى والغد الآتى كليل دون آخر (ينفجر يحيى ويونس فى بكاء طفلى رهيب)

مــــــرعـى: آه أخوى اغفر لى. للهلالى.. هل يجد على هذا الدرب المظلم. شمسًا تنتظره.

ســــعــــدا: مرعى..

مــــــرعـى: أخوى. حطامى

ســــعــــدا: (ترفع البلورة) فلأحطمها إذًا (إظلام حولهم)

الـثــــلاثــة: دش دش. والسموم جوه الفتى لسه مخرجتش (يستدير الزناتى بعرشه تجاه المشاهدين) وترتفع ثانية أصوات الطبول..

الــزنـــاتـــى: يا علام..

(يظهر العلام أمامه)

أسمعت تلك الفكاهة (يقهقه) رعاع الأرض جاءوا يبتغون عرضى. يريدون امرأتى مملكتى أن أسلمها إليهم فى ثوبها الحرير (ينتفض واقفاً ويمسك بالعلام) هو الأسود. ذهب ليأتى بالفدية فأتى بجياعه هل كذب الرمل على سعدا أم كانت تخدعنى؟

العـــــلام: لا يا مولاى. لم تخدعك ولم يخدعها الرمل. قد جاء بهم وسوف يكونون الفدية.

الـــزنـــاتـــى: الرمل حكم. لم تكذب سعدا . لم يخدعها الرمل إذاً.

العـــــلام: وأنا أعددت الجيش وتأمر يا مولاى.

الـــزنـــاتـــى: لا يا علام فهذا خزى. جيش الزناتى لا يخرج أبدًا لحثالات. لا يخرج جيشى إلا لملوك الأرض جميعًا فى جيش واحد

العـــــلام: وإذاً ما قال الرمل صحيح

الـــزنـــاتـــى: ماذا أنبأك الرمل؟

العـــــلام: وحدك. سيفك وحده. يهلك أكثرهم. يرتدون. والرعب والفوضى تشب بهم

الـــزنـــاتـــى: ما قال الرمل يكون. وليكن الأسود أولهم. ما اسم الملعون؟

العـــــلام: يدعى الهلالى سلامة. أبو زيد المدبر للأمور..

الـــزنـــاتـــى: ماذا عنهم بعد اليوم ولا سلم. ومن يليه ليذبح

العـــــلام: أطلب أيضا يا مولاى دياب. لو تقهره انهار الركن الثانى.

الـــزنـــاتـــى: لكن الناس بمملكتى يا علام. هل أدركهم خوف من هذا؟

العـــــلام: أعينهم نحوك يا مولاى. لا خوف بداخلهم أبدًا ما دمت هنا.

الـــزنـــاتـــى: (يصمت منفعلا ثم يزار) إنى هنا يا بنى.

وما بنيت لا يهدم معجزتى أبدًا لا ينالها رعاع أو ملوك. أى جنون معشوقتى. لن يشهد وجهك الأخاذ أحدًا فى غاربه الرعاع واللصوص.. أنا وحدى من يحميك.

(إظلام وبضاء حول الثلاثة بالمقدمة)

الثـــــلاثـة: مين اللى وشوش الدكر. ومين رمى الودع، والرمل بيلعب مع مين؟

يا خبر بفلوس. والمسائل لولبية. هنا.

(ثم يشيرون حيث يضاء حول حسن والجارية وبدير) وهناك..

(يذهبون) إليهم من الوقت الذى يظهر ابو زيد بأعلى الدرجات بيتحرك مشرفاً على ما أسفله مصدراً أوامره فى كل اتجاه).

أبــو زيــد: الزموا تلك الشعاب هنا.

أشعلوا نارا بقمة التل البعيد هناك

أطلقوا فى السهل كل جيادكم. تصهل

(يهمس) هل يؤثر فيك ذلك يا زناتى دون دم؟

(يتوقف نظره متعلقاً بالأفق)

أبــو زيــد: آه يا نجمات الليل: كم خاطبتك وأجبت لكن.

ما بالك خرساء الليلة. وشديدة البعد عنى. أكثر مما كنت أظن.

آه يا قلبى الواجف فجأة. ما بالك والهدف قريب. ماذا تخفى عنى والنجمات (ينتفض) سحقًا للضعف وهمسات الريبة (يتحرك مصدرا أوامره فى كل اتجاه بقوة) النار فى قمم التلال لا تنطفئ...

أنتم هنا. أنت هناك)

أعدوا الأفيال فقد تخرج بغتة..

الرايات الأعلى. لا تخفض أبدا...

دقوا الطبول بلا توقف..

(ترتفع أصوات المجموعة ويستمر ابو زيد فى حركته بأعلى)

حــســن: (ملوحا بعنف) سأرحل. أى سلطان مهان.

يأمرنى الهلالى بأطيع كعبد؟؟

بــديــر: خطب عظيم. كرب عميم. حذرت ولم أسمع

ق ١: أنا ماشى وواخد ناسى

ق ٢: وانا هنفذ منها براسى

بــديــر: واسب أنا من هذا. ويهددنى ذاك. والآلام ببطنى...

لعنة الله على الجميع . خذونى معكم.

الجـــــازيـة: تجعل من نفسك أضحوكة يا أخى والله

حـــــسن: كفى دفاعًا عنه، هو أم أخوك؟

الجـــــازيـة: أدافع عن الهلالى نعم وأقولها ثانية. تهلك بدونه. أوليته أمر النجاة فلم يخذلنا والآن ينقلب حالك؟ أليس برج رأسه كل شىء. الخطر والنجاة المهالك والمسالك. ويقلبه خوف لا شك فيه على الجميع.

حـــــسن: وما شأنى أنا إذًا حين يأمر

الجـــــازيـة: أنت السلطان. أوريته أمرًا فدعه يكمل

بـــــديـــــر: وماذا يمنعه أن يطمع فى السلطان

ق ٣: يظهر ويبان

ق ١: ومالهش أمان

ق ٢: ويعرينا. ويخلى أبو نكله على أبو قرشين

الجـــــازيـة: والله لقد عميتم ليس الخطر عنده. بل دياب هدد بصوت واضح وشر مبيت

حـــــسن: (يدور) أترين هذا؟ هكذا؟ آه (يدور) حقًا.

هو دياب، هو دياب

الجـــــازيـة: وعلى أبواب تونس نحن الآن. ولو تقدمكم بقومه بنى زغبة. ما أفلت شىء من يده ومن شره. مره بأن يرجع.

ق ١: (توقيع) الهلالى مش هيقبل المصيبة تزيد وتتقل.

حـــــسن: أنا السلطان وما أقول يكون

بـــــديـــــر: لا لا لا لا. اسمع للقاضى. قد جاء الوقت لتسمع لى. تعرف قدرى

ق ٢، ٣: (بتوقيع) القاضى مخه هيشتغل. ويقول تفانين

بـــــديـــــر: أول شىء دعه ليبقى لكن سنقول. إن الزناتى قد انتوى.. أن يدهم خلف الجيش على غرة.

بـــــديـــــر: يأخذ كل الأنعام وعدتنا وحوائجنا..

الثـــــلاثـة: اجا اجا..

بـــــديـــــر: وإذًا لا يحميها غير المغوار. دياب. وبنى زغبة

الثــــلاثـة: شغل معلم. شغل معلم

الجـــــازيـة: هذا التواء قبيح. بل عين الضعف. مره أن يرجع وحسب

حـــــــسن: لا. هو أن أطاع أكون قد أخضعته..

بـــــديـــــر: نادوه يا امرأة. وبنبرة استجداء

الثــــلاثـة: (فى استغاثة) أيها المهاب. فارسنا دياب. لغيرك لا نلجأ. وبك نستجير.

ديـــــــــاب: (يظهر فى بقعة مجاورة دون ان يتقدم) اسمع اسمى يتردد وأشم رائحة الخسة..

الثــــلاثـة: أنقذ أموالنا والأنعام

ديـــــــــاب: أتمنى أن تأكلها النار وتأكلكم..

بـــــديـــــر: أستغفر الله واعلم جازاك الله أن الزناتى ينوى أن يبدأ بالأنعام وبالأموال من خلف الجيش فيفت فى عضد الجميع..

حـــــــسن: واخترتك أن تذهب وبنى زغبة تحميها..

ديـــــــــاب: لم لا تذهب أنت. لا صنعة لك.

حـــــــسن: (يسير للآخرين صارخًا) لا صنعة لى؟

بـــــديـــــر: (يضحك كدمية مداعبًا حسن) هى محض فكاهة (ثم لدياب) هو السلطان يقود الناس وتعرف..

ديـــــــــاب: هو السلطان (ينحنى) إذًا الهلالى يا قاضى..

بـــــديـــــر: هو كتابنا المفتوح إلى النصر.

ديـــــــــاب: إذًا فأنت وقومك الغوايد المغاوير

بـــــديـــــر: كنت أتمنى ولكن أحلامى المبشرة ومشوراتى المبهرة..

الجـــــازيـة: (فى غضب) هو ليس بهذه البلاهة كفوا (يقهقه دياب)

ديـــــــــاب: (محدقًا فى الجازية) إذًا فلم تكن مشورتك؟

الجـــــازيـة: لا طلبت أن ترحل . ولترحل

ديـــــــــاب: قوية فى حبك وفى كرهك، ولذا أحبك (صمت)

أيها الأقزام. سأحمى الخراف والعيال ولكن حين يأتيكم الهلاك لا تنادوا دياب..

(يستمرون فى حوار صامت تظهر علياء
بأعلى عند أبى زيد)

علياء: دعنى أرحل

أبو زيد: ماذا دهاك يا علياء

علياء: تلك المرأة. تتآمر ضد أخى معهم. تتقافز أنت على التلال... وهم هناك يطعنوننا

أبو زيد: أن تأمر؟

علياء: نحو دياب وقومى خلف الجيش

أبو زيد: كيف. أقبل دياب؟

علياء: قبل؟ حتى يأتوه بليل ثم يستديرون إليك.. ها هم من جئت لتنقذهم من الهلاك..

أبو زيد: يا دياب. عد للمقدمة

دياب: (من مكانه) ما كان يأمر السلطان. وقد اطلعت (يقهقه) وسأنعم منفذاً الآن بدور المتفرج. خذهم واقتحم الأسوار.

(إظلام)

الديوان الثانى

ديوان الفتح

.. ترتفع الطبول بعنف وتندفع الأقنعة الثلاثة كل بيده نفير يسار وسط.
وعين أقصى المقدمة وينفخون النفير ثم يتبادلون الأماكن وينفخون.

ق ١: (الطبول تتزايد) انفتح باب

ق ٢: باب من السور المنيع

ق ٣: والسور له ألف باب

ق ١: وعيون سحرية مخيفة

ق ٢: وأشعة تقتل من بعيد

الثلاثة: لكن الزناتى خرج وحده
خرج..
(تضاء الستارة ويظهر ظل هائل للزناتى مضخم يملأ المسرح)
يا رعارع الأرض. جرؤتم. فحق عليكم العقاب ..
مملكتى
حصين مرصود. من يقترب منه يحترق. أو يتحول لوحًا
من ملح.. أو سيخًا تشهد معه معجزتى كل الأجيال
إلىَّ بأسودكم.. ابدأ بها.. اذروه على التلال

(يدخل الثلاثة الأقنعة يحمل كل منهم شعلة تظهر على ضوئها ملامح المجموعة فى الظلام)

الثـــلاثـة: (يمرون فى أماكنهم)

شق قلب الليل خرج. مارد وبألف ايد

ق ١: مين يخرج له

ق ٢: مين يخرج واحد كفته معاه.

ص حـــسن: لا تخرج الآن يا هلالى وتترك الجيوش

ص الجـازية: قد يكون الأمر خدعة

(الثلاثة يثبتون الشعلات بالمقدمة ويستديرون إلى الداخل واضعين خوذات تلمع حاملين رماحًا..)

الـزنـاتـى: أطلب رجلكم الأسود

ق ١: أكبر من أن يأتيك

ق ٢: وأنا آتيك..

ق ٣: واخلى فوقك تحتيك

(يجرون ويظهر ظل رجل آخر على جواد أمام الزناتى.. يتبارزان يسقط رأس الرجل يتتابع الرجال وتتساقط الرءوس مع كورال رجالى ونسائى هلع يهبط باليسار قطاع من سور معلق عليه رءوس القتلى..)

الثـــلاثـة: **(يدخلون فى لهاث)** شهور شهور شهور

الدم نهور

ورءوس فوارسنا تنهر فوق السور

مارد بألف ايد

لا يتهد ولا يترد

ثمانين فارس يا ولداه

ثمانين فارس يا كبداه. **(يجرون فى اماكنهم)**

ص الهلالى: اصمدوا يا فرسان نجد

الجـــازيـة: **(تظهر وهى تجرى أمام السور بالمقدمة)**

ماذا نصنع يا هلالى. لهفى على أهلى من رجل يخرج وحده فليس من جنس البشر. إلىّ يا بنات نجد نصنع شيئا. إلى يا بنات
(تختفى مهرولة)

حسن: (يظهر وهو يجرى أمام السور بالمقدمة) ماذا يحدث. ما كانت كل انتصاراتى إذاً.. هلكنا ضيعنا الهلالى (يختفى مهرولا)

بدير: (يظهر وهو يجرى أمام باب السور بالمقدمة)
جاءت منيتى يا حسرتى مضيت كالحكار خلف الهلالى فيا ويلى
(يختفى مهرولا)

علياء: (تقف أمام السور فى غضب) هذا ما صنعت أيديكم
لن يدرككم دياب. ولا تخرج إليه يا هلالى. (تخرج)

الثلاثة: أدركنا يا هلالى ما عاد سواك.. اخرج للزناتى
(بقعة ضوء حول ابى زيد مندفعًا على منتصف الدرجات نحو الزناتى والعلام يسد عليه الطريق بغير سلاح)

العلام: عد ولا تخرج إليه

أبو زيد: ومنْ تكون؟

العلام: العلام. وزير الزناتى ونائبه

أبو زيد: (يدفعه من طريق) تنح فقد أقتلك الآن

العلام: لن تقتلنى . لن تقتله. لن يقتله غير دياب.
هذا ما قال الرمل..

أبو زيد: دياب (يهمس) ويحك يا حسن. أى سخرية صنعت.. تدمرون ما أبنيه

ص الثلاثة: أدركنا يا هلالى. لم يبق سواك..

أبو زيد: ماذا يدفعك إلى هذا؟

العلام: العقل. نفعى ونفعكم

أبو زيد: قد يهزمنا فتهلك

العلام: حتمًا يموت. ملكه قد كان حلمًا آن أن نصحو فيه.. أن يقتل وبسيف دياب

أبــــو زيــــد: لا. لا أصــدق من يخون. لا أعـامل. لا أعامل من يخـون . تفـتـح يا هذا بعيدًا

العـــــلام: من يعمل للمستقبل لا يخون. كل منا من أجل المستقبل يعمل.

ص الثـلاثة: أدركنا يا هلالى. الأرض تهتز. أحلامك تتصدع

أدركنا من هول الشيطان. أخرج إليه

(يندفع الهلالى بقوة فيمسك به العلام متشبثًا)

العـــــلام: (فى قوة) عد ولا تخرج أقول ليس غير دياب..

(إظلام حولهما ويضاء حول دياب بالمقدمة يجلس لا مباليًا.. يتقدم الثلاثة فى زى نساء أسود.. يحملون ملابس مخضبة بالدماء يدورون حول دياب فى نواح موقع)

ق ١: داركم وسيعة وبابها عالٍ. يا ميت ندامة صبحت بلا صحارى..

(ينوحون)

ق ٢: أريد أبوى فى بردته نعسان. والرأى منه والمشورة كمان..

(ينوحون)

ق ٣: خدنا معاك على طرف نبوتك. واحنا صغار ما نقدر نفوتك

(ينوحون)

ق ١: أبكى على شأنك أبكى على كسمك وهندامك..

(يجيئون ويهيلون التراب على رءوسهم)

ديـــــــــاب: ناح الرجال والنساء هاك فعلك يا حسن. تلك أحلام الهلالى..

الثـــــلاثة: ارحم نساءك يا دياب. هلك الرجال.. والصبح قهر. والليل فى قهر

ديـــــــــاب: يأتى السلطان ويجثو. يأتى الهلالى معه. ولى تونس

(تدخل الجازية مهوشة الشعر)

الجـــــازية: الآن نشمت يا دياب. ما انجبتك يا امراة

عريت جسدى للبواب ليفتح لى. كى انقذهم وانت تشمت

ديـــــــاب: (يقف) ويل لهم سوف أدمرها. لكن.. فليأت ـ السلطان ويكتب لى تونس أملكها

الجـــــازيـة: لا لا يكون..

صــــــــوت: لك ما تريد. أنقذنا يا دياب..

(إظلام وترفع الستار حيث الزناتى على فرسه)

الــزنــاتــى: لم يعد أحد هناك. وفر أسودكم سلامة يا رعاع..

(تصيح) إلىَّ بالأفيال نسحق من بقى..

(يدخل دياب على فرسه)

ديـــــــــاب: جاءك الرجل الأخير..

(يتبارزان فى الوقت الذى يظهر الثلاثة وهم يدورون حولهما بالمشاعل)

الــزنــاتــى: ومَنْ تكون يا أخير؟

ديـــــــــاب: أنا ابن غانم يا زناتى: قاتلك.

الــزنــاتــى: بل جئت تتفق مثلهم: من أجل شرف القوم ياأحمق

ديـــــــــاب: لا يازناتى. فلست أعرف ما الشرف

لا أعرف للعالم هذا معنى أو قيمة. لا شىء أبقى عليه.. لا شىء يعنينى.

الــزنــاتــى وما ترانى بك أصنع ياوجه الضباع..

ديـــــــــاب: لا يقتل ملك إلا مثلى يازناتى؟

الــزنــاتــى: (قهقهة) ومن أكون ياترى؟

ديـــــــــاب: رجل تعلق فى الفراغ يسبح ويدور به وحده..

الــزنــاتــى: شهدت أرضًا من صخر وحديد. تحمل مملكتى وأنا يزول الكون وتبقى مملكتى

ديـــــــــاب: مملكة من الأشباح

الــزنــاتــى: أشباحى لاتعرف الضياع

ديـــــــــاب: إذ لا تعرف غير الموت

الــزنــاتــى: (قهقهة) وكيف تبنى الأبراج والمدائن والمجد؟

ديـــــــــاب: تبنى. ماينهدم بلحظة

الــزنــاتــى: لا تهدم مملكة. يحكمها النظام والقوة ياالقيط

ديــــــــاب: أوهام لا تخص سـواك. ولذا لا يقـتل مـثلك إلا رجل تخـشـاه الأوهام. دياب

الــزنــاتــى: (غاضبًا فجاة) سأعلقك من لسانك ياكلب

ديــــــــاب: احذر.. السيف يهتز فى يدك

(شبه إظلام حيث يندفع الثلاثة إلى أقصى المقدمة.. ويهتز السور كأنما على وشك الانهيار..

ويهتز كل ما على المسرح كأنه زلزال..)

الثـــــلاثـة: (باندفاع سريع مع صوت السيوف والصيحات. وبتعبير متصاعد)

اشتد به الغيظ والحمق. واحمر منه الحدق التطموا ملاطمة السباع وضاق عليهما الاتساع

الثـــــلاثـة: وفجأة.. وبعد أيام طوال من القتال والنزال دياب سحب دبوسه من يمين فخذه ومال وانقض عليه كأنه رئبال أو قطعة من صمم الجبال رمى الزناتى بالدبوس على رأسه. طارت جميع أضراسه.

دار من الألم والتفت تانى

الرمح كان جواده..

(صرخة وحشية.. تهدم السور)

الثـــــلاثـة: مات الزناتى

السور اتهد

كل شىء انهار

(كورال سريع مع إظلام شامل)

(إضاءة حول الثلاثة بالمقدمة بأقنعة كئيبة)

ق١: ليس الحدث الهائل أن قتل الزناتى

ق٢: لكن الهول بعينه أن قاتله دياب

ق٣: قطع من الليل تأتى هائلة

ق ١: كابوس يأتى من الجهات الأربع

ق ٢: أى تحد ياهلالى لكل كلماتك العظام

الثـــــلاثـة: أى تحد يابنى آدم فى هذا الملكوت اللغز

(يضاء حول دياب فى عمق المسرح يجلس على عرش الزناتى ويلبس تاجه وعلى جانبيه رمحه وسيفه مغروسان. ويشرب بشره ويقهقه)

(يقرب منه ويجلس يحيى ويونس ممسكين ببعضهما فى فزع وأمامه يقف مرعى عاقداً ذراعيه فى وجوم)

(يخلع الثلاثة الأقنعة ويضعون اقنعة مختلفة ولوحات بنى زغبة على صدورهم)

الثـــــلاثـة: (مشيرين نحوه فى إعلان) وآدى عندك شوف.. الملك دياب

ق ١: على تخت الزناتى والتاج على رأسه

ق ٢: وكل واحد بعدها يعرف خلاصه. انظر وصلى على النبى

ق ٣: تاج الزمان مرصع بالمرجان

ق ١: مرجان أحمر. وياقوت أصفر. در وجوهر

الثـــــلاثـة: (وهم يتقافزون تجاهه) ماشاء الله الحارس الله. ماشاء الله الحارس الله. ماشاء الله يستر الله. ياحفيظ.

ديـــــــــاب: (يرفع كاسه) يابنى زغبة. أبى وأعمامى. أهلى. قبيلتى. اليوم أنتم السادة فى تونس ليس حبًا فيكم. فما أحبكم. ولكن كرهًا فى بنى هلال. إلىَّ واجلسوا عند أقدامى ياأحبائى كالكلاب وليقف أسفلكم عند الأسوار (يدفع برمحه لقناع ١)

وليرفع رمحى فوق باب تونس

لايدخلها أحد من بنى هلال إلا من تحت الرمح من يرفض يمنع أو يقتل

ق ٢: كلام أخونا ملك تونس وابن حتتنا دياب. واجب التنفيذ.

(خرج وقناع ٣)

ديـــــــــاب: أما مشاريعى فبعض النيران هنا وهناك لتضىء أكثر من حولى.

بعض الدماء. ترقبها أكثر. نار ودم

تجعلها أكثر نبضًا. خضراء هى. لكن يابسة الرجال..

مـــــــرعـى: (بجمود) باتت ملكك فلم النار والدم؟

ديــــــــاب: هدية للجازية يامرعى. لقاء صيحتها تلعننى. وتستغيث بى..
والآن فانظر (يدور حول العرش مقهقها)
ما أردت لكنهم أرادوا.. ماطلبت لكنهم طلبوا.
مـا حلمت بكل هذا لكن الهـلالى صـاحب الأحـلام. أى لعـبـة مضحكة..
الشيطان هو السيد رغم أنفه.. اضحكوا (يضحك) يامرعى.. لم لاتضحك.. هم أحكم منك..

مـــــــرعـى: (ثابت النظرة) لا ضحك ولا بكاء أصبحت شيئًا من الأشياء
أنا.. وأنت ملك

ديــــــــاب: ياللفتى الهش الجميل.. خدعتك كلمات الهلالى يافتى.. ثم رأيت العالم فتهاويت وأخواك؟ لا. أظنك أخطر من ذلك..
(صمت يستدير مرعى إلى دياب محملقاً فيه بتامل)

مـــــــرعـى: لم أكن أحتاج أن أمضى بعيدًا. كان يكفى أن أحدق فيك
(يتجه إلى اخويه ممسكاً بهما) لكنا كنا نلهوا مع الخراف والأحلام

ديــــــــاب: حقًا (يقهقه) إذًا فحدق كثيرًا يافتى. فلسوف تبرأ من هزالك ذات يوم. تحـمل سـيـفك فى وجـهى. أنـا لا أخـشى إلاك. (فى غلظة مفاجئة) اذهب لأبيك والجان..

(تدخل سعدا)

ســـعـــدا: مرعى. لاتذهب دونى

مـــــــرعـى: سعدا

ســـعـــدا: خذنى حيث تذهب

مـــــــرعـى: لا فرق. كل الأماكن لا مكان كل الزمان لحظة ثقيلة

ســـعـــدا: أنا حيث تكون. بغيرك أهلك.

ديــــــــاب: أتلك سعدا. من باعت مملكة أبيها لقاء حبها.
أقدرك. فيك بضعة منى

سـعـدا: مـا بعت ولا اشـتـريت. لـم أعـرف مملكة ولا أبا خلقت مـن أجله.. دعنى أذهب معه..

ديـاب: هل تأخذها يامرعى

مـرعـى: أو لاتخشين من قلب ميت

ديـاب: إذًا تكونين لى

سـعـدا: لا تتركنى يامرعى..

(إظلام حولهم وتضاء بالمقدمة ليدخل ٣،٢ حاملين بدير على محفة وقناع ١ مازال ممسكا بالرمح يعلن)

ق ١: وسع وسع وسع. سيدنا القاضى بدير. جى بيهنى ملكنا دياب

بـديـر: (للمشاهدين) جعلنى الله فداءه. ورزقنى الله لقاءه ولننس مـا كان.. فـهـذا زمـان غـيـر الـزمـان لا تعطلونى. لأردد مـا سـوف أقـول من الشعر أمامه (يردد كالمستذكر وهمًا يحدقان به)

بـديـر: يامن يراه ملوك الأرض فوقهم كمـا يرون على أبراجـهـا الشـهـبـا لا تكذبن فخير القول أصدقه. لا تكذبن.

(يختفون وقضاء حول حسن والجازية وعلياء وأبى زيد)

أبـو زيـد: أدخل من تحت رمحه ياحسن. فهذا ما صنعت يداك

حـسـن: أنا أدخل من تحت رمحه؟ سلطان القبائل أجمعين وأدفن حيًا على يد دياب؟ يصبح الملك هنالك وأنا على الأبواب؟

أبـو زيـد: سل نفسك ولا تسلنى. تبكى وتصيح أفتدكم آل نجد ثم تدفعك الحماقة كى تفتح كل أبواب الدمار أمامهم..

حـسـن: قلت بألا يأتى منذ البدء. أمرت بهذا..

أبـو زيـد: وتحملت أنا مرة. وإذًا ما كنت تفعل مثل هذا دون رأى

الجـازيـة: خطأ مميت. ندفع ثمنًا غاليًا له. ودفعت أنا ثمنا أفدح

عـلـيـاء: كفاك حقدًا يا امرأة. هذا حق آخى. تآمـرت عليه وسلطانك ولم ينـقـذكم سـواه. قـال تونس فـقـلت ياسلطـان نعم والـرعب يـهـز فرائصك..

حـــــــسن: اسكت امرأتك ياهلالى.. ماذا يحدث؟
أخت عدوى تقف أمامى تتشفى والهلالى يستمع..

عـليـــــاء: مـاذا تريد أن تقـتلنى. أن تدفـعـه كى يتـقـاتل ودياب.. مـاذا جئت ليصنع يازوجى مع هؤلاء لن تسلم من تآمرهم عليك أيضا

أبـــو زيـــد: لست بأفـضل منهم ياعليـاء. آلاقى فـيك مـا ألاقـى فى الجـمـيع. أخـاك، أو السلطان أو الأمـراء أو لايكفـينى مـا ألقى يا مـن أنت زوجى.. تشـهـدين النار تتـصـاعد من رأسـى كل مسـاء حـين أنام. وتؤججها كل لحظة أى امرأة أنت أى اسم فيك. أنت ياأخت دياب..

عـليـــــاء: هاقلتها قد قلت. أخت دياب. لست بأفضل منهم. تحقـد مثل الكل عليه وتكرهنى..

أبـــو زيـــد: اذهبى عنى..

عـليـــــاء: حقًا فأنت تريدها اذهب إليها (تشير إلى الجازية) تلك التى عرضت مفاتنها على البواب

أبـــو زيـــد: (يلطمها) يادنية. من أجل مَنْ؟ كما عرضت أحلامى لحمقى..
(يشير إلى السلطان) هى أنبل منه ومنك ومنهم بغيرها لا عزاء عما تأثمون

عـليـــــاء: أنعم بها كنت ترجوها إذًا (للجازية) إنى أرحل نحو مضاربنا أعود.. أتركه لك. حتى يأتيكم دياب..

أبـــو زيـــد: والآن ياسلطان اسكت امرأتى وتفتح جرحًا آخر..
لكن ماذا أصنع بالناس جئت بهم تونس لتكون لهم حياة
فإذا من يفتحها شيطان لايعرف غير الموت وإذا بأمانيهم فى الغد وأحـلامى. تلطخ بمخازيكم. ماذا تريدون؟ أن أبغض كل أحـلامى وأحطمها بيدى قبل أيديكم.
(صوت ضحك يحيى ويونس ثم يدخلان يحبوان وخلفهما مرعى)

حـــــــسن: يحيى.. يونس
(يندفع نحوهم فينكمش يحيى ويونس وينحيه مرعى برفق) مـاذا ألم بأخويك يامرعى..

الجــــازيـة: هو ما بنا من بلاء..

حـــــسـن: ويلى للهفى عليكم. على نفسى.

مـــــرعـى: لاتبك يا أخى ولا تنوح فهنالك ما يزيل الهم.

في شوارع دماء تجرى وفى الحدائق حرائق. والرعب على كل باب فى المدينة

الجــــازيـة: ولك أن فاتحها دياب والأهوال وراءه..

مـــــرعـى: إذًا فإنى ما كذبت جئتم بالشر فى ركابكم وفاء بها دياب يا هلالى والسلطان ينوح

أبـــو زيــــد: (بنفس الغضب ولكن بتحد مفاجئ) لكنى أبدًا لن أنوح يامرعى ولن أتراجع بسبب دياب أو بك أو جميعهم. ولتسمح لى

مـــــرعـى: (مبتعداً عنه فى غرابة) لا تلمسنى

إنى أجرب.. ولهذا أبعدت فتاتى عنى حتى لا تمرض..

حـــــسـن: سعدا سطا عليها مثل تونس أخذها منك إنى لقاتله

مـــــرعـى: تركتها أنا كخسيس وما أنا بخسيس. لكنى معتل. لا أملك أن أحلم لا أملك قلبًا فى صدرى كل ما أملكه قطعة من الظلام تدور فى داخلى أما أنت ياهلالى مازلت..

صحيحًا. ومازلت تأمل.. تملك أن تحلم. أليس كذلك..

قضيت على الشرور. والتعاسة. فى طريقك مهدت الأرض وجئت إلى الجنة

الجــــازيـة: آه. ما أرحم القحط. (تجرى يسارا وتتصلب فى الم)

حـــــسـن: (يبتعد يمينا ويجلس منكمشا) هذا الكلب هذا الكلب

يحـيى ويونس: (يرددان فجاة بخفوت محدقين فى ابنهما) كلب كلب كلب كلب

مـــــرعـى: بل هذا الكون الشر فيه غالب

أبـــو زيــــد: (يمسك بمرعى ويهزه) لا يامرعى.. لا يقهرنى أبدًا سخرية عظمى حقًا أن فاتحها ومالكها دياب لكن لحين لم يكسرنى ذلك ويهدم ما أبنيه. كل الأمر أن الهدف يلوح الآن بعيدًا أكثر مما كنت أظن. لكنى نحوه

مـــــــرعـى: (يدفعه عنه) هدف بين النارين. القحط. هناك والدماء هنا

يحيى ويونس: (يرددان) دماء دماء دماء

أبـــو زيـــد: مخاض محتوم

مـــــــرعـى: أو ما سمعت عن السر الخطير إذًا.. أتعرفه؟ إن كنت لا تعرف فيعرفه دياب.. تلك الصحراء الممتدة؟ دون نهاية فى أرض نجد هناك.. تلك الوحشية من تلقى أسئلة دون جواب. أو تدرى ما قالته ويعرفه دياب. وبه كان الأقوى (صمت) إن العالم هذا دون اسم.. كل الأشياء بلا أسماء..

إذ لا معنى فيه لشىء والأشياء به تتساوى. وإذًا فالقتل مباح لا يحتاج تبريرًا.. الظلم مباح لا يحتاج إلى التبرير.

أبـــو زيـــد: أعرف وما عذابى إلا هذا يامرعى.. أن ينفجر فى صحراء اللامعنى زهرة أن أنبت من جدب العالم شىء مورق. ذلك شىء لا يصنعه العقل فحسب.. بل يتفجر فى القلب صدى لعذابات النفس وأوجاع الناس.. يتفجر فى القلب يواجه غلواء الشر الجامح دون لجام يقهره. وهذا ما أفعل

مـــــــرعـى: أو تقبره بالدم إذًا.

حــــــســن: (ينتصب فى صيحة) نعم ليس يصحح هذا غير الدم.. سوف أقتله

يحيى ويونس: (يقفزان فجأة فى حالة هوس وحشى وينشبان أظافرهما فى الهواء)

الدم الدم الدم

مـــــــرعـى: آه.. لن يصحو إلا بروح دياب. كل بداخله دياب..

حــــــســن: فليقتل.. فليقتل كل بنى زغبة

أبـــو زيـــد: (يمسك يحيى ويونس)

يكفى ماكان من الآثام..

مـــــــرعـى: باب مفتوح لن تغلقه..

الجـــــازيـة: (تأتى من مكانها يسارًا فى هياج) لم جئت إذًا. وتركت الزوج والولد. آه

ياجازية (تمسك عينيها بيديها) ماعدت أرى أو أدرك قط أجئت حبًا
فى أهلى؟
أهتف بالحمى ودمى.. وكيف ياطوفان الكره. أم ما قالته
المرأة وأخوها. خاطئة تجرى خلف حبيب. أم جئت أبغى ملكًا لى.
ما عدت أرى. فكل شىء مختلط مادام فيها دياب..

(تجرى خارجة مادام فيها دياب)

ابــو زيــد: لا ياجازية لم تختلط الأشياء وتمسخ. لمجرد أن دياب هناك. أملى أن أقتله الآن لكنى أفسد ما أفعل (يصيح)
يادياب..

(يضاء حول دياب بأعلى تقاومه سعدا ممزقة الثياب تدفعه بعيداً عنها وتجرى حيث يلتفت إلى ابى زيد صاعداً شاهراً سيفه. ق ١ يمسك بالرمح.. ابو زيد يضرب الرمح المرفوع فيكسره ويواجه دياب.. اصبحت المنطقتان منطقة إضاءة واحدة)

ديـــاب: كسرت الرمح ياهلالى..

ابــو زيــد: وأملك أن أنزعك الآن وأرميك بعيدًا مثل الكلب..

حــســن: اقتله ياهلالى الآن أو تضيع..

يحــيى ويونس: (يهرولان فى وحشية تجاه دياب) اقتله اقتله اقتله
(ينفجران فى الضحك الأبله بمجرد مواجهته ويتشقلبان)

ديـــاب: وبنى زغبة أهلى فوق الأسوار كذلك؟

ابــو زيــد: أملك أن أفنيهم عن آخرهم

حــســن: فليقتلوا. سيقتلون

ديـــاب: (يجلس على العرش) لكنك لن تفعل شيئًا من هذا ياهلالى (يشرب)

ابــو زيــد: نعم أنى لن أفعل. لن يدفعنى أحد منكم أن أهدم وبنفسى ما أبنيه ـ سأفعل ماجئنا لأحد. وكما أردته وسأرغمك عليه وهم.. وبدون قتال..

حــســن: إذًا أقتله أنا (يندفع بسيفه تجاه دياب فيمسك به أبو زيد)

أبــــو زيــــد: كفاك ما صنعت. ألجم الشر بنفسك والحمق لبعض الوقت.
أمهلونى بعض الوقت. ما خذلتكم فلا تخذلونى أكثر من هذا
سأفتح باقى الغرب ثم أعود لتحسم هذا كله

ديـــــــاب: أنا فى انتظار

أبــــو زيــــد: وكفا رمادًا هنا ودم..

ديـــــــاب: قد أكتفى. حتى تعود..

أبــــو زيــــد: ولا قتال معه (يسير إلى حسن)

ديـــــــاب: من جانبى أعد..

أبــــو زيــــد: وسعدا لن نقربها حتى يبدأ مرعى
أنى أتركك على العرش الآن حتى أفتح باقى الغرب وأرجع..

مـــــرعـى: دون دماء..

أبــــو زيــــد: سأصلح يامرعى ماكان.. وأعيدك تتفجر حبًا وحياة

يحـيى ويونس: (يضعفان) خذنا للملوك. خذنا للملوك. (يضحكان)

أبــــو زيــــد: (وهو يخرج) ويخرجان من الظلام..

(يتقلص الضوء فى الوقت الذى يظهر العلام فى بقعة ساطعة
يحدق بهم ثم يضحك)

(إظلام شامل)

الديوان الثالث

ديوان القتل المتقابل

الثلاثة بالمقدمة بأيديهم عصى يخبطون بها. وحبال يستعملونها كرعاة بقر.

الثـــلاثة: (لاعبين) حادى بادى حادى بادى سيدى محمد البغدادى. حادى بادى حادى بادى حادى بادى حادى بادى

(يتوقفون عن اللعب)

الدور على مين؟

(ترتفع إضاءة ملونة خافتة بالمسرح كله. ويظهر ظل أبى زيد على فرسه مسافرًا)

(يتجمع الثلاثة ليبدءوا فى صنع قفص سجن من الحبال والعصى التى معهم)

ق١: خرج الهلالى عشان ما يكمل الفتوحات

ق٢: ساب التعالب والديابة فى الدره

ق٣: راقدين لبعض

الثلاثة: وحادى بادى القاضى قال

(يظهر القاضى بأعلى يسارًا. والثلاثة منهمكون فى العمل)

بـــــديـــــر: ألا لعنة الله على الظالمين. أتيته منتصرًا. ولحقه مؤازرًا بالشرع وبالسنة. أنا القاضى ولى الكلمة.. فيبصق فى عمامتى الكلب دياب؟

ق٢: (يرفع راسه ثم يتابع العمل) وحادى بادى سلطان الجبايل جالى

(يظهر حسن باعلى يمينًا)

حـــــســـــن: وأنا على أبوابها كالكلب. والهيئة تدهسها الأقدام

حـــــســـــن: والأمراء بمجلس حكمى منهم مَنْ يتغامز.. منهم من يرفع صوتًا ويطالب بنصيبه.. وأنا أخرس.. أنتظر مجيئك أنت لا. لا ياهلالى.. لا ..

بـــــديـــــر: حتى الحدائق ما دخلتها. لم يمنحنى حتى تلك الجازية السمراء وتلال التفاح أمامه. لم أتذوق واحدة منها. نذل وغبى. كنت سأمنحه الشرعية.

ق٣: حادى بادى قال الأمراء..

(يتركون القفص ويتقدمون منتفخين)

ق ١: أما فلان الفلانى.. أمير بنى حزم.. أعلنها فى حزم أنا ماتكلش أونطه. يأكل البلح واحنا النوى لأه..

ق ٢: وأنا فلان الفلانى. أمير بنى خفاف. أعلنها بالتخفاف تشوفلكوا حل ياهقلبها وتخرب. عليه وع السامعين

ق ٣: وأنا فلان الفلانى أمير بنى مطروه. أعلنها مثل الطور. أنا كنت هناك آخر عظمة. لا قحط ولا دياولو هزنى آجى هنا على ملا وشى وأخد مقلب.. لأه

الثـــــلاثـة: نطلع م المولد بلا حمص. لأه، حسن راح يستنى أبو زيد نهجم وناكلهم هم

بـــــديـــــر: لا يا امرأة. بنى زغبة ملكهم بعض ضياع وحدائق ولذا قفزوا فوق الأسوار بغير نعاس (يهمس) أنتم ما عاد لكم فى الحرب ولا فى النسوة يا امرأة. مثل المذكور.

حســـــن: إذًا يخرج إلىَّ. أخبره ياقاضى ليخرج.

بــــديـــــر: لن يجرؤ ياسلطان (يهمس) أعنى يحتقرك
ياسلطان (يعلن) لكن هناك الحيلة والحيلة مع هذا اللقيط حلال

الثـــــلاثـة: (يحملون القفص) يعنى القفص. آدى القفص.. لسه المسجون معه سجان.

(يضاء حول دياب مخمورا بأعلى ويقهقه)

ديـــــــاب: وإذًا فالأقزام أقروا (يضحك مترنحًا) لاتخلو خمر النصر معتقة.. إلا. بمشاهدة الآخر يلعق خمر الذل. إنى أقبل دعوتهم مائدة السلطان. إن جاءونى بالبيعة توا لى فى قومى..

(يتحرك حسن وبدير وقناع ١ فى إيقاع بطىء نحو دياب)

ق ٢، ٣: (يحملون القفص) ولحد عنده راحوا ممتثلين

ق ٢: الصلح خير قالها بدير

ق٣: والدم عمره مايبقى ميه.. قالها أمير

ق٢: ودياب معاهم قام. سكران بقصره وذلهم

(يهبط حسن وبدير وق ١ مع دياب نحو القفص) للوليمة والمبايعة (يتقدمان من دياب) للوليمة والمبايعة (يضعان القفص فوقه)

ق١: والقفص.

الثـــــلاثـة: الديب وقع

ديـــــــاب: (يصرخ داخل القفص) ياحسن. سندفع عمرك

حســـــن: (يشهر سيفه) أبيدوا من يرفع رأسه من بنى زغبة. ادخلوها

بــــديـــــر: جهاد مشروع..

ديـــــــاب: قاوموهم يابنى زغبة.

(ترتفع الطبول وتشتعل الستارة باللهب، وخليط من الظلال لقتال عنيف متداخل مع صوت ارتطام الأسلحة، وصهيل الجياد وصرخات الموت والنساء)

الجـــــازيـة: (تدخل بالمقدمة فى شبه الظلمة)

آه. هذا الجنون. برأسى أم مشتعل بالأرض والسماء؟ من يجيب؟ أين أنت ياهلالى حتى لاتجيب (تخرج مقهقهة باكية ويظهر مرعى فى الوسط يدور محدقاً فيما يجرى)

مــــــــرعـى: قطعة الظلام بداخلى. تتحول قطعة نار. آه. أوقف هذا يا أبى

ص حــسـن: احمل سيفك أو فابتعد

الـعـــــلام: (يظهر بأعلى) اقترينا من الهدف. استعدوا يارجال

(يختفى وتظهر سعدا تجرى نحو مرعى. تتزايد الأصوات وتستمر مع حوارهم التالى)

ســـعـــــدا: مرعى. سجن دياب وأطلقنى أبوك.

مــــــــرعـى: (يشير إلى ماحوله) أترين. ها هم من قتلوا أباك وأهلك. يتناهشون هل أنت سعيدة. أم مازال العالم لايعنيك.

ســـعـــــدا: لا يامرعى. ماعدت أولى وجهى عنه. إنى آتيك وسط النار بعد مالفظتنى آتيك ولا أخشى تلك النار وذاك الموت. ماكنت رأيت هذا ولا نال منى.. ولاأقصاك هذا العالم المسحور عنى. لكن تحت الشرفات وأنت تولى تتركنى. سمعت صيحات صيحتى خلفك. كصيحة تلك المرأة.. كاستغاثة هذا الطفل وبسالة هذا الشاب يقاتل صائحا دون أمه رأيت صراخى فى كل الناس. وعذابى يتدفق خارج قوقعتى. وبعدها.. شاهدت دماء أبى على ثياب قاتله.. أدركت أنه أبى مع أنه طاغية وكان علىَّ أن أقاومه قبل أن أتخلى عنه. وأننى مذنبة ولن يطهرنى سوى العالم وأنا معك نقول لا.. لا أن أدهس وأنا غارقة فى هم الفرار داخلى.

مــــــــرعـى: وما الهدف. لم المقاومة. هذا هو الحصاد

- ليس سوى انتظار الموت

ســـعـــــدا: لا. لن أتركك تردد هذا بعد. لن أتركك أمامى المنبوذ وأمضى مثلما فعلت بى. بل أنى أنتزعك كى تمضى وتقاوم. هأنذا وسط كل النار والموت المحيط أتحدى العالم. أحلم بالسعادة..

(يصيبها سهمه)

مـــــرعـى: (يتلقاها بين يديه) سعدا

ســـعــــدا: (تكمل) جاءت أم لم تجئ.. آه. لا تخذلنى يامرعى. قم من هذا اللحد. الاستسلام بغيض.

عدنى أن تنصت لفؤادك وعيون الناس تفعل شيئًا وتقاوم (تهمس)

أموت أنا

أموت فامنحنى طفلا فى الخلود يكون له عينيك؛ ياحبيبى لابد..

أن يحظى القلب. بشىء

مـــــرعـى: (يحتضنها) سعدا. (يدور حاملا إياها) آه.. أحس برائحة لحمى تأكله النار. أحس بطعم دمى فى فمى وسعدا تموت (يجرى خارجا بها فى الوقت الذى يدخل الثلاثة فى سرعة)

الثــــلاثـة: سبعة أعوام..

والحرب مازالت تدور

السيوف تتلاطم فى سعار

والهلع يتدفق أنهارا من العيون

زاد الجنون..

(يتقدمون حتى أقصى المقدمة ويخلعون الأقنعة ويصيحون بوجوههم الآدمية.. ثلاثة من السباب بوجوه آسية)

الثــــلاثـة: ونحن ضعاف الناس.. عامة الناس من بنى هلال

عامة الناس من بنى زغبة. عامة الناس بتونس

الثــــلاثـة: عامة الناس كل الناس..

ماذا نفعل فى تلك اللعبة

(يجلسون على حافة المسرح فى استسلام وخلفهم تبدأ فى الظهور وجوه حيوانات على عصى تتحرك فى الظلام وتتكاثر مع اصداء الحرب)

رحلة العمر نقطعها فى ضباب..

بأحلام صغيرة ورغبات مشروعة من صنع الله..

لانعرف ما صداها برأس هذا الأمير وهذا الكبير إلا أن القحط
يأتى فجأة فنجوع
أو تأتى الحرب فندفع إليها
وهانحن أولئك نتقافز وسط الروع
نتحول بالهلع لحيوانات
لاتعرف من أين يجىء الموت. من خلف أو أمام ومن سيكون
بجانبنا لو جاء
ولم سنترك البنت والولد؟ لنفس القحط ونفس النار
سؤال... لم يواجهه الهلالى بعد. إلا لسؤال
هاهو يأتى..

(يشيرون خلفهم حيث يظهر أبو زيد فى بقعة زرقاء بنفسجية ـ اسطع من الضوء العام.. تتحرك معه البقعة؛ حيث يتحرك فى غضب وسط الوحدة الحيوانية وأصداء الحرب. يتحرك بإيقاع بطىء شبيه بإيقاع الحلم.. وباقى المشهد على نفس النحو).

والسيوف تتلاطم فى سعار..
والهلع يندفع أنهارًا من العيون..

أبو زيد: ماذا أشهد. توقفوا. ماذا صنعت ياحسن؟

حسن: (يظهر كالحيوان الهائج) ما يصنعه السلطان ورجل. أدبت الكلب. سيظل بظلمات السجن أمامى حتى الموت. وسأفنى كل بنى زغبة.

(يظهر دياب فى القفص كحيوان حبيس. يزأر)

دياب: ياهلالى أخرجنى.

أبو زيد: (يتحرك وسط وجوه الحيوانات) أوقفوا ذلك. ويلكم عدت بقلب فرح. فتحت بلاد الغرب الباقية بغير دماء. آمنت الناس فأمنوا مدوا أيديهم لى. فتحوا القلوب لكلماتى.. آه ياهلالى. حلمك بدأ يتحقق. فإذا النار بثوبك توقظك. توقفوا. أوثقوا تلك القردة. ألجموا تلك الوحوش الكريهة.

ديـــــــاب: ياهلالى. أطلقنى من هذا الفعل الخسيس

أبـــو زيـــد: أطلق دياب وكف عن هذا ياحسن..

حـــــــسن: كفى كلامًا ياهلالى. سيفى أصدق منك

(يظهر الغلام بأعلى فى لباس الحرب وبيده راية)

أبـــو زيـــد: أرنى مايفعل سيفك هذا الآن.، انظر هناك على التلال

العـــــلام: استقروا يا رجال العلام. أزفت الساعة

أبـــو زيـــد: جيش مهول. يحوطنا من كل جانب. يقوده العلام. قد كان ينتظر تعرف أنا نأكل بعضنا آخر من يتقى بأكله. أصلح ما أفسده سريعًا ياحسن. وإلا سوف نباد

(يزيح الأقنعة بعنف) توقفوا جميعًا.

(يندفع ناحية القفص ليخرج دياب)

حـــــــسن: لا تخرجه..

أبـــو زيـــد: (يطلق دياب) أخرج يادياب.

العـــــلام: ياهلالى. أديت دورك لى كما رسمت - فعد بهم. أو القتال

أبـــو زيـــد: أو ذاك هو المستقبل ياعلام.. تآمر وخديعة. لتكون طاغية آخر

العـــــلام: مملكة العلام فى الغيب. منذ الأزل. وسوف تكون

أبـــو زيـــد: لملموا أسلابكم يا آل نجد الائتلاف الائتلاف.. إليه نخرج هذا الضبع..

ديـــــــاب: ليس قبل هذا ياهلالى..

(دياب يطعن حسن)

حـــــــسن: ذاك فعلك ياهلالى لا دياب. قتلتنى

أبـــو زيـــد: (مرتاعًا) ماذا فعلت ياادياب

ديـــــــاب: سحقت حشرة

العـــــلام: عد بهم أو القتال (ترتفع الطبول)

ديـــــــاب: (يواجه ابا زيد) أجبنى قبل أن تجيبه. واحد منا يقود. وإلا لا نجاة..

أبـــو زيـــد: ويحك. نتقاتل ثانية والموت للجميع هناك. وهذا الوغد

ديـــــــــاب: (يرفع سيفه فى وجه ابى زيد) لا نجاة بغير هذا. نتقاتل من يبق منا يقود. وغير هذا مستحيل.

العـــــــلام: (يعلن) السهام بالأمام والفرسان بالخلف

أبـــو زيـــد: (لدياب) بل ماتقول المستحيل. لن نتقاتل بعد الآن.. برغم فعلك. بل سنقاتل صفًا هذا الطاغوت القادم. هذا الشر المتخفى أفدح من شرورك.

ديـــــــــاب: لا فرق بعد فأنت فعلت الشر بفكرتك الكبرى أصلا.. ارفع سلاحك

العـــــــلام: (يعلن) أعدوا المجانيق

أبـــو زيـــد: أعرف ما كان ياذياب. وماكان بوسعى أن أمنع تلك الآثام وأعرف ما كان بوسعى أن أمنع

أبـــو زيـــد: نهب أو قتل ظالم أو تدمير.. ما كان بوسعى أن أمنعك الآن عنه. أو أمنعه عن تآمره عليك وقتل أهلك. بل. ماكان بوسعى أن أمنع سيفى وسط الحرب. يطيش كأعمى يقتل شيخًا أو هاربًا. ماكان بوسعى أن أمنع ويلا لعموم الناس منا. وأنا لاأعرفهم ماكان بوسعى أن أسعى إلا بالسيف. لكنى الآن

ديـــــــــاب: الآن كفى. سيفك أو أحلامك. ارفع سيفك

أبـــو زيـــد: (يصرخ) لا قلت. مهدت لحلمى الآن لكى يتحقق فى الغرب هناك..

ديـــــــــاب: يتحدث أيضًا عن حلم لم تشهده. أخففت الأحلام لا يقود الجميع إلا قاتل. فلتقتلنى أنت أخرج الوحش القديم بداخلك. بركات المتهور بأمه. المنبوذ الطفل الشيطانى النافر. بركات صبى الصحراء الدموى. المنتقم من الكال الناقم.. أو.. فاهرب من بركات. تشبث بالأحلام. فأقتلك أنا..

الجـــــازية: (تدخل مرتمية على جثة حسن) حسن

العـــــــلام: (ينادى) تقدموا

أبـــو زيـــد: لنتقاتل ياذياب. العلام يتقدم

ديـــــــــاب: مملكة دياب القاتل أو مملكة الهلالى القاتل أو مملكة العلام الطاغوت. قاتلنى ياهلالى فلا مفر.

الجـــــازيـة: (ترفع راسها وتشير فى وحشية) اقتله يا هلالي .

أبــــو زيـــد: لا .. أعلنتها ولن أتراجع..

ديـــــــاب: قاتل يا هلالى واقتلني

الجـــــازيـة: اقتله وإلا لعنتك ياهلالى فى قبرك..

أبــــو زيـــد: (يحاول ان ينحى دياب من امامه) تنح أنت.. دعنى أقاتله.

ديـــــــاب: أظن فلا خيار

(يطعن دياب أبا زيد. تصرخ الجازية مندفعة ـ تخفت الإضاءة فيما عدا حول أبى زيد والجازية ـ تدور المعركة فى الضوء الخافت بإيقاع حلمى بطئ.. ودياب فى مواجهة العلام)

الجـــــازيـة: لم ياهلالى. لم. ياملاذنا ولعنتنا؟

أبــــو زيـــد: ياإلهى. هل كانت أحلامى ملعونة. أم أنى كاذب

أم أن هناك خطأ ما..

أم أن الشر هو الغالب.. يامرعى

(يدخل مرعى ويمسك به بيد ويتلقى سيفه باليد الأخرى)

اغفر لى. وأبحث عن جواب.

أموت ولا أدرى

هل كان دياب على صواب

وكنت أنا على خطأ

أتظل الدائرة تدور بهذا للشر

إلى يوم الساعة

(يموت. يقف مرعى ممسكًا بالسيف وخلفه الحرب دائرة يسقط العلام بسيف دياب.. يدور بسيفه فى الوسط بسرعة رهيبة.. مرعى يغرس سيف أبى زيد فى الأرض ويدور محدقًا فيه)

الجـــــازيـة: (يصيح فى هوس) يابنى هلال.. القحط يتبعنا هنا. قحط الفناء الساحق الماحق.. القحط جاء وراءكم فى ثوب دياب.. أعدوا الرقاب جميعًا.. وما من مجير لم يبق إلا امرأة.

(تندفع نحو دياب بسيف ملقى فيتلقاها فى حضنه متفاديًا يدها ويطعنها)

مـــــرعـى: يادياب (منتزع السيف المغروس ويندفع نحو دياب الذى يواجهه مأخوذًا يطعنه)

ديـــــاب: (وهو يتهاوى ببطء شديد ومقاومة)
أنت إذًا. كنت أخشاك وأنتظرك لا أعرف لم؟
لكن لا. ليس هنالك جديد. لا شىء هناك فى تلك اللحظة لا أعرف غير أنى كنت متعبًا. وانتهت الضوضاء (يموت، تنحصر الإضاءة حول مرعى الذى يهبط بالسيف إلى المقدمة)

مـــــرعـى: والآن. لم يبق إلاى. حصاد الرحلة دون جواب
(يستدير إلى الداخل)
أنتم يامن هناك..
(تظهر المجموعة كما كانت فى المشهد الأول من المسرحية) متّم جميعًا قتلى وقاتلين فى تلك الملحمة المجنونة ولا جواب. ما فيكم من منتصر. والكل خاسر. كذلك أيضًا. ليس فيكم من برىء حتى أنت ياهلالى..
أغرقت أحلامك فى طوفان الدم وأطماع السادة والأمراء وكانت الأحلام بلا جناح..

(يستدير إلى الصالة)

وأنا كذلك. غير برىء
ليس لأنى قد حملت السيف كى أوقف طوفان الدم بل لأنى تلفعت بأكفانى حيًا ـ ياسعدا..
نفضت يدى. وأنا مازلت بها حيًا

مـــــرعـى: لكنى الآن أقوم.. وأتقدم. نافضًا أكفانى. وأولى وجهى عن هذا الركام. مواجهًا العالم هذا الذى قد يكون بدون اسم. لكن ماذا تصنع غير أن نمنحه اسمًا ليس من الأحلام دون أجنحة.. ليس من الدماء والجماجم..

إذ تختلط الأشياء وتسقط فى كابوس اليأس. بل مما نملك أن نحيا وندافع عنه. حلمًا وحقيقة ياقبة السماء فوقنا. ولاهية ياتلك الأرض المسحورة أبدًا فى صمت..

هنالك ماندافع عنه

(يدخل الثلاثة بلا اقنعة)

هاهم لم يبق سواى وهم من تاهوا عنك بأرض الغربة ومتاهات الشر.

قطرات بلا أجنحة ياهلالى. برغم القبس. القبس القدسى بقلبك يناضل وسط طيات الظلام.

(ينضم إلى الثلاثة)

إلى أن نبدأ من جديد

إلهى. لاتجعلنى لعنة على أحد منهم برغم عالم لايعرف البراءة الكاملة.

(إظلام)

النهاية

• المحاكمة

القسم الأول

- المسرح مستويان. القمر يضيئه بالعمق.

- بالمستوى العلوى القرية، بالمستوى السفلى مقابر دنشواى، تظهر أربعة قبور متقاربة دون نظام. صخر ونباتات..

- نقيق ضفادع وعواء كلب ينقطع.

- يختفى القمر خلف غمامة فيغرق المسرح فى الظلمة.

- ويسمع على الفور أرغول ودقات دفوف خافتة وغناء عن بعد.. يخفت ذلك تمامًا ليدخل من اليسار الراوى يحمل مصباحًا يتحرك بين القبور ثم يهبط إلى الوسط من المقدمة.

الـــــــراوى : الاسم فى محاضر التحقيق.

صــــــوت : **(قوى كأنه لحاجب محكمة)** المتهم حسن على محفوظ.

(يظهر شبح رجل بأقصى الخلف من المستوى العلوى)

الـــــــراوى : **(مشيراً إلى القبر الأول من اليمين)** ودى تربته.. كان أولهم.. عجوز بسبعين سنة.. ورجله كانت ثابتة لما طلع للموت..

(تعلو دقات الدفوف)

الـــــــراوى : **(مشيرا إلى القبر الثانى)** والثانى كان.. وحيدًا وصاحب ناى.. والاسم فى محاضر التحقيق.

الصـــــوت : **(يعلن)** المتهم يوسف حسن سليم.

(تعلو دقات الدفوف ويظهر بالخلف شبح رجل آخر)

الـــــــراوى : (مشيراً إلى القبر الثالث) وده تالتهم.. شيال حمول.

الصـــــوت : (يعلن) المتهم السيد عيسى سالم.

(تعلو دقات الدفوف ويظهر بالخلف شبح رجل ثالث).

الـــــــراوى : والرابع كان زهران.

الصـــــوت : (يعلن) المتهم محمد درويش زهران..

(تعلو الدقات ويظهر بالخلف شبح رجل رابع)

الـــــــراوى : الوحيد اللى الناس فاكرينه.. وعنه تتغنى غناوى.. الغناوى تقول بطل.. وهمه قالوا فى محاضر التحقيق حرامى.. هوه بطل ولا حرامى (يتحرك للخلف) اللى قصادنا الوقت هيه الترب.. وياها سبعين سنة فاتت ..

(يتابع الحركة فى الوقت الذى يبدأ فيه الرجال بالخلف فى الهبوط ببطء شديد نحو المستوى السفلى كل منهم بيده عصا قوية يدق بها مع خطواته).

الـــــــراوى : آدى الترب.. وهناك قصادها البلد.. الناس وأجران الحمام والأرض.. وبيوتها والجامع (صمت. يتحرك إلى اعلى)
نفس الأرض ونفس الناس.. وكأن العالم ما اتهزش ليها فى يوم.. تزرع وتربى حمام .. تطلع ع السوق.. تصحى وتنام م المغرب.. وتقوم فى الفجر.. والساقية تدور زى العادة.. طيبة وعصبية وضيق.. وحكاوى متكررة بين المخاليق.. ويقولوا آخرتها.. أهى عيشة ولقمة وموتة.. لكن أبدا.. مش هيه.. دى غميقة ولها أسرار.. الملكوت والأرض.. وعفيه فى عشق النور والشمس وريحة الطين الحى.. وعنيدة قصاد الموت.. دايما تعانده من زمان.. وبكل لون.. وماتعرفش إزاى .. على قد الأحياء فيها ماهماش أحياء.. تلقى الأموات فيها ماهماش أموات.. علشان كده.. يوم الحادثة مافتش.. ولاحدش منهم مات.. لساهم فيها ساكنين.. فى لون خضار بيطلوا .. وفى عيون الولاد.. وفى سر بيحضنه لبكره نسيم الليل.

(ترتفع الدفوف.. يكون الأربعة قد وصلوا إلى المقابر كل يمسك عصاته منتصبًا.. والراوى أصبح بأعلى)

الـــــــراوى : والبعض بيحكى أن معادهم ده..

(ثلاث دقات قوية)

فى كل عام يتجمعوا دايما فى نفس اليوم (صمت) بعد ما الليل يحضن ع الجميع.. وتنام هناك دنشواى.. من حضن تلج الموت بيصحوا.. على أدان غير الأدان.. أدان دافى غريب مجهول (يبدأ فى الانسحاب إلى يمين المستوى الأعلى) ما يعرف السر إلا الزرع .. وغناوى الجدود .. ومن عرف طعم الشهادة.

(يكون قد اختفى. تتحرك الغمامة من فوق القمر.. فيسقط الضوء عليهم. يجلس كل منهم فوق قبره وهو يلتحف برداء واسع أبيض يضمه على جسمه بيد ويمسك عصاته باليد الأخرى. ينظرون إلى بعضهم فى ائتناس.. ضوء القمر يميل إلى الزرقة)

محفوظ : (اكبرهم. يضرب بعصاه الأرض فى هدوء) سلامات ياولاد..

يوسف : سلامات يابو محفوظ..

الجميع : (معًا) سلامات..

(صمت. يدق محفوظ الأرض وحده بعصاته فى تتابع)

محفوظ : اتلميتوا..

يوسف : من تانى وف نفس الميعاد..

الجميع : نفس الميعاد..

سيد : كتير بقالنا الوقت..

يوسف : سنين دارت..

محفوظ : بتلف وييجى اليوم ونتجمع.

زهران : وهيه ممددة ونايمه.

محفوظ : بعد الشقا نايمه كما العادة دنشواى..

سيد : والحمام نايم.

الجـــمـــيـع : (معًا. فى حنين) الحمام..

مـحـفـوظ : الحمام وصوت يوسف (ليوسف) صوتك يا يوسف كان عفى..

يـــوســـف : (بتنغيم بطىء وتوقيع بعصاه)

«ماتطنش الطنادى يا دبان»

«دنا كان أبويا زينة الجدعان»

«كان ليه قصر حيطانه م البنور»

«لكن السنين دايما تلف تدور .. تدور»

(موسيقى)

(يضحك) ولا كـان لى أب ولا حـيطان بنور.. مـقطوع من شـجـرة وضـايع.. كل اللى حيلتى الحب.. والحب يابا قـيمتـه ايه.. وارجع وأقول.. كان كفايه رغم ده.. نظرة عنيها السود..

صـــــوت : (فتاة يصدر من اعلى) يوسف يا طيب.. ليه الزمان وياك كده؟

يـــوســـف : تسألنى كانت .. ليه الزمان وياك كده. ماستنتش الرد يا نرجس.. المحكمة وفرت الرد علينا والموت..

المجـمـوعـة : (معًا) المحكمة والموت (صمت).

ســـيـــد : لكن يا يوسف.. لساك حاسس بده الحب اللى سقمك وقتها.

مـحـفـوظ : الحب يا سيد.. مـا انت عارف وكلنا عـارفين.. ايه بنحسـه الوقت قصاد الدنيا اللى فارقنا هنا. مـافضلش غير الشفقـة على اللى فى سـاقيتهـا دايرين.. مسـاكين.. مخاليق الدنيـا دى مسـاكين.. الواحـد دلوقت يبص لدنيـاهـم ويتـعـجب.. شـقـا وكـدر .. ودواير بتلف تلف.. وياها يلف ويتكرر.. الكبـر وظلم المتـجبـر.. والنغمـة الكدابة واللؤم.. والضعف المر.. والنهب أشكال.. وكـلاب أشكال.. وتلف نلف.. أخـرتهـا فى لحظة نقـول توتة.. فـرغت خـلاص الحدوتة.. ونموت .. ايه يفضل بعدها غير الشفقـة ع اللى هناك لسه؟؟

زهـــــران : (بحسم) لأ.. أنا حاسس شىء تانى بالنسبة لهم يابو محفوظ.

محفوظ : حاسس ايه تانى يا زهران..

زهران : مش عارف بالضبط..

سيد : ما خلاص انقطع الحبل..

زهران : امال ليه احنا بنتجمع دايما نفس اليوم.

محفوظ : لأجل ما نتذكر ياولاد.. يمكن.

زهران : لأ يابو محفوظ.. لازم فيه شىء تانى بيجمعنا فى نفس اليوم..

محفوظ : ايه هو بس يا زهران؟ (صمت)

سيد : نفتكر أحسن زى العادة.

(صمت. يدقون بعصيهم الأرض معًا فى رتابة وكل منهم يحملق أمامه.. تتصاعد تدريجيا أصوات متداخلة.. طلقات نارية.. وميض نار تشتعل.. صيحات رجال.. صهيل جياد واصوات سياط.. عويل نساء.. ينتهى ذلك حيث يصدر الأربعة آهة طويلة)

المجموعة : (معًا) كان يوم تقيل وغريب..

يوسف : والغريب أكتر (صمت قصير) إزاى عينيه جابتها يابو محفوظ وأنا ع المشنقة يومها.. من وسط ميات الوشوش مغطية السطوح (يرتفع عويل خافت مكتوم ذو إيقاع منغم) إزاى عينيه جابتها.. كل النسا بتنوح وهيه وحدها ساكتة.. مدهوشة يا زهران وأنا مدهوش.. سألت عينيه العينين السود المدهوشتين.. الموت قريب بالشكل ده ورخيص !!

محفوظ : اللحظة كانت غريبة قوى ياولاد..

سيد : والموت بالشكل ده أغرب.

محفوظ : (يتذكر بدوره) ما كان فى الجو يومها غير العويل وصويت النسا والرعب (يعلو اكثر العويل المنغم) يومها اختفى وغاب الحمام.. والسما من غير حمام فى دنشواى زى أرض زرعها محروق.. كل الحمام اختفى .. إلا هوه.. دكر الحمام أبو نقطة سودا.. كان صاحبى ووليفى.. وأنا طالع على سلم المشنقة لقيته بيرفرف على

راسى.. طلعت وأنا نظرى عليه.. طالع على المشنقة ونظرى كله عليه.. رفرف وطار.. وأنا نظرى عليه.. بعد بعد.. وأنا نظرى عليه.. صلبت حيلى وأنا واقف ع المشنقة لأجل مايغبش عن نظرى .. وتهت عن كل شىء.. إلا جناحاته البعيدة وفجأة شدوا الطبلية من تحت رجليه (يهبط بالخلف بقوة ظل المشنقة.. يدقون الأرض معًا بعصيهم بنفس القوة ويطرقون).

المجموعة : (معا) شهقة (صمت).

سيد : (يرفع راسه) لكن .. كنت جاسر يابو محفوظ.

يوسف : خليتنا نمسك حيلنا بعدك.. الرعب م الموت كان طير صوابى قبلها.

محفوظ : أبدا منيش جاسر.. كنت تايه بس ويا الطير اللى بيسلم يا سيد.. كان طير وفى.. أبدا منيش جاسر..

زهران : (غاضبًا) ليه تعاند كل مرة فى دى..

محفوظ : أنا كنت فعلا مش خايف م الموت.. وليه أخاف .. سبعين سنة م الشقا.. ايه انتظر بعدها.. ماكانش عندى غير أمل واحد وراح.. راح فى نفس اليوم.. قبل الحادثة ما تحصل.

(يختفى القمر ثانية خلف غمامة ويظلم المسرح)

محفوظ : (فى الظلمة) كان يوم ثقيل من أوله.

المجموعة : (فى الظلمة) كان يوم تقيل..

موسيقى

محفوظ : (فى الظلمة) يومها صحيت فى الفجرية على خبط شديد ع الباب وكأنى فى حلم.

(طرقات شديدة بأعلى)

صحيت عشان أسمع نكتة.. جى يقولها لى كلب..

صوت : (باعلى) افتح يابو محفوظ.

ص محفوظ: مسروع كده ليه..

الصـــوت : أنا فهمى افتح..

ص محفوظ: مين فهمى؟

الصـــوت : وكيل العمدة يا راجل..

(يضاء بالمستوى الأعلى حول محفوظ ووكيل العمدة)

فـــهـــمى : هيه فين؟

مـحـفـوظ : ايه هيه؟

فـــهـــمى : ماهيش فى الدورة بتاعتك فتشناها.. انطق فين هيه؟

مـحـفـوظ : (نافد الصبر) ايه هيه يا فهمى؟

فـــهـــمى : البقرة وبطل لؤم.

مـحـفـوظ : البقرة (صمت) ما انت عارف أنها اتسرقت منى يا غبى امبارح.

فـــهـــمى : وانت عارف هيه فين دلوقت برضه..

مـحـفـوظ : عجايب يا خلق.. جى بتصحينى الفجرية وتسألنى عن بقرة اتسرقت منى.

فـــهـــمى : مكر مانيش عايز قلت.. انت سرقتها تانى.

مـحـفـوظ : (يحدق فيه ثم يمسك به فى شدة) يبقى مفيش غير حاجة واحدة.. انت اللى كنت واخدها برجالتك..

فـــهـــمى : (يدفع يده بعنف) شيل ايدك.. لاقطعها اتجننت.. عجوز ناقص ومحتاج الأدب فعلا..

مـحـفـوظ : وخدتوها يا فهمى عشان أتأدب..

فـــهـــمى : وهترجعها..

مـحـفـوظ : انت اللى هترجعها مش أنا..

فـــهـــمى : بتقول ايه يا حسن (صمت) اسمع يا راجل.. خلصنى وأسيبهالك من غير قلبة مخ.

مـحـفـوظ : ويعنى ايه أخلصك..

فـــهـــمى : يعنى ما تعملش راسك براس الباشا سلطان.. لو زودت هيمسح بيك الأرض.

مـحـفـوظ : بدك أسيب الشبر ونص عشانه اشترى حدا أرضى..

فـــهـــمى : راح يديك غيرهم.. فى أنهى داهية هتختارها.. ريحنى بقى أنا قرفت..

مـحـفـوظ : وتقرف ليه انت وتتضايق.. وكيل العمدة ولا وكيل الباشا..؟

فـــهـــمى : حسن يابو محفوظ..

مـحـفـوظ : ريح نفسك يا فهمى.. بعد السن ده مش ممكن أكون حرمه.. خلفت رجاله ومش عارفه تعيش.. كتير قيراطين أسيبهم لعيالهم (بحسم) مش راح أفوت الأرض..

فـــهـــمى : (يدفعه) طب بقى خلينا فى موضوع البقرة.. قدامى.. هاتها ومن غير ما تلاوع..

مـحـفـوظ : (يدفعه بدوره) بجح وضلالى وكلب..

فـــهـــمى : يانهارك أسود.

مـحـفـوظ : (يصيح) قوموا يا خلق وشوفوا.. زمن أغبر معووج وخسيس ما يعدله والله غير الفاس (**يمد يده إلى فأس بجواره**) اخرج م الدار.. أخرج قبل الفاس ما يطولك.

(إظلام.. يعلو الأرغول ودقات الدفوف.. غناء .. يضاء المستوى السفلى ثانية بظهور القمر من خلف غمامة..)

(موسيقى)

مـحـفـوظ : كان يوم تقيل من أوله..

المجـمـوعـة : (معًا) كان يوم تقيل..

مـحـفـوظ : قلت هياخدوها هياخدوها ومفيش فايدة.. ايه تعمل يابو محفوظ.. الموت ساعتها هان عليه يا زهران.. ماعاد لى شىء أخاف عليه.. علشان كده.. كنت قصاد الموت ثابت..

يـــوســـف : لكن عارف كانت فين البقرة يابو محفوظ؟

مـحـفـوظ : بعدها جه الطوفان .. أسأل على ايه..

زهـــــران : كانت عندى البقرة يابو محفوظ..

محـفـوظ : عندك .. !؟

زهـــــران : أيوه (صمت) قالوا بقرة حسن أبو محفوظ اتسرقت.. على طول فسرت الملعوب.. كانوا عاينتها فى دروة فهمى لحد ما تقبل.. رحت فى نفس الليلة وناوى ع الشر يا اما أرجعهالك (صمت) ما قابلتش حد.. وسحبت البقرة لدارى .. على بال الصبح ما ييجى وأرجعهالك يابو محفوظ لكن حصل اللى حصل يومها مع الخواجات (يضحك فى سخرية) وفى التحقيق قالوا.. ومسكنا معاه بقرة مسروقة لما قبضنا عليه..

يـــوســـف : لكن تعرف يا زهران.. وانت ساحبها من دروة فهمى ليلتها أنا شفتك.. كنت ليلتها أنا قاعد فى الوسعاية لوحدى.. فت ساعتها مولد سيدى شبل وركنت أفكر..

المجـمـوعـة : (معًا فى حنين) مولد سيدى شبل.

يـــوســـف : أيوه.. مولد سيدى شبل..

(تتصاعد تدريجيًا أصوات متداخلة للمولد يعلو عليها بشكل ملحوظ ابتهال حزين..)

يـــوســـف : ليلتها المولد كان زحمة.. زحمة شديدة.. الواحد مش ماشى لكن مزقوق ماهو عارف وخداه على فين الزحمة ولا عارف أخرتها.. ولا قادر يختار يروح فيها.. مزقوق مزقوق.. والمولد داير شغال.. وأنا ماشى الزحمة بتدفعنى.. زى حياتى وعيشتى الغبرة.. مزقوق فى الزحمة ولا حد دارى بى ولا طايل شط.. ويهل الليل اتلقح ويا الناى.. وفى وسط الزحمة. وفى وسط الزحمة يابو محفوظ.. لقيتها قصادى.. اتسمرت قصادها.

(تظهر نرجس بأعلى فى بقعة ضوء)

نـــرجـــس : يوسف.. ازيك.. عامل ايه؟

يـــوســـف : (من مكانه) تايه.. تايه يا نرجس فى المولد

نـــرجـــس : مسيرك تلقى البر..

يــوســف : إزاى .. امتى.. أنا متبعطر ألفين حتة.. نفسى ألملم قلبى المتطور منى.. نفسى ألملم وشى المتقطع بين الناس..

نــرجــس : ربنا موجود..

يــوســف : ينجدنى يا نرجس أنا غرقان.. لو قشة أمسك فيها.. لو حوض أزرعه ع الترعة.. لو عش وبقرة.. لو معجزة تشلنى لأجل أوصل ليك..

نــرجــس : ربنا موجود..

يــوســف : نرجس نادى معايا.. نادى معايا سيدى شبل (تختفى).

نــرجــس : سيدى شبل..

يــوســف : (يدور مناديًا) يا سيدى شبل.. اتشفع لى يا سيدى شبل.. ياسيدى شبل .

(يجلس) وصوتى راح وسط المولد.. والزحمة خدتها بعيد وياه.. ورجعت الوسعاية وش الفجر.. وشوية لقيت خالها.. مدنى.. راجع م المولد هو كمان.

(يضاء بأعلى حول مدنى)

مــدنـى: مين اللى هناك ده؟ (يحملق) هوه انت..

يــوســف : أيوه أنا يابا مدنى.

مــدنـى : وبتعمل ايه عندك ياوله.

يــوســف : قاعد أفكر فى الدنيا..

مــدنـى : لأ يا شيخ.. الواد له مخ وبيفكر (يقهقه) بتفكر فى البهايم ولا فى الأطيان.. ولا بقى فى مشاكل العمدية ياخى.. امال لو ماكنتش بطولك ومبرطع.. قرش من هنا.. وهدمه من هناك..

يــوســف : ايه بس يابا مدنى .. هو حرام أفكر.. المولد لف دماغى.. قلت أقعد هنا مع نفسى شوية.. كفرت..

مــدنـى : كدهه.. بقى حضرتك جى م المولد..

يــوســف : ما انت جاى برضه من هناك.. (يضحك) شفتك أنا ويا الغازية يا عم..

مــــــــدنـى : غازية فى عين أبوك قليل الأدب (فى استفزاز اكثر) وكنت بتهبب ايه هناك.. اللى يروح المولد يكون معاه قرش ينفع بيه أصحاب المولد.. مش يتلقح على قفا غيره..

يـــوســـف : أهيه.. وهوه أنا كنت مديت ايدى ليك ولا لغيرك.. أما عجايب يابا مدنى.

مــــــــدنـى : طب قوم من هنا روح اتلقح فى الخص بتاعك.

يـــوســـف : وليه بقى.. طب أنا مبسوط كده.. ومش عايز أروح الخص بتاعى دلوقت..

مــــــــدنـى : إنما أنا ما بنبسطش لما بشوفك.. قوم فز قدامى ياللا..

يـــوســـف : ليه بقى كفا الله الشر.. زعلتك فى حاجة.

مــــــــدنـى : (فجاة) اسمع ياوله انت.. وبقولها على بلاطة أهه.. إن شفتك تانى بتكلم نرجس بنت أختى هقطع عيشك م البلد كلتها.. فاهم..

يـــوســـف : نرجس .. لاهو آنى لا سمح الله.

مــــــــدنـى : فكرك أنها سايبه.

يـــوســـف : عارف أنها مش سايبه.. وعارف أنى ماحلتيش البلا.. وعايش بالزق.. وأحسن لى أشوف لى غرقه.. بس أنا مش هاسكت على كده.. أنا هنزل ع البندر واشتغل..

مــــــــدنـى : تشتغل ايه بقى؟ زمار بزمارتك دى .. ولا قرداتى..

يـــوســـف : ماتتمألس ياعم مدنى.. أنا مش هرجع الا وأنا محوش.. أشترى قيراطين وجاموسة.. وساعتها هروح لخالتى أم نرجس وأكلمها..

مــــــــدنـى : وتكلمها؟.. تكلمها فى ايه بقى.. تكونش بتفكر..

يـــوســـف : ليه لأ يابا مدنى.. هو انى مش راجل..

مــــــــدنـى : لأ.. راجل ونص .. سيد الرجالة كمان.. إنما جى على نفسك ليه كده.. واحنا قد المقام.. ماعندك بنت العمدة.. ولا بنت سلطان باشا ويبقى يوم المنى عند الباشا .. ولا أخطف رجلك لمصر

وأخطب بنت الخديو (يصيح) الدنيا جرى فيها ايه ياولاد.. العالم اتهبلت.. حتة عيل صايع من غير أهل ولا متوى يخطب نرجس بنت أختى .. يناسب عيلة «أبو غانم».. ده انت شحات ياوله.. ده انت بتقول لله يامحسنين يا وله.. ليله سودا.. طب ما عيلة أبو غانم تشوفلها تربة تتويها بقى.. قسما بالله العظيم لو تفتح بقك بكلمة فى الحكاية دى قدام حد.. لنكون دافنينك فى سابع أرض..

يوسف : هيه جريمة.. هشتغل ويبقى لى أرض وأعيشها..

مدنى : اتلهى على عينيك واكتم..

يوسف : أنا مغلطش فيك للوقت.. ثم إن كلامى ما يمسش نرجس فى حاجة.. أنا بطلب الحلال.. الحلال ياعم مدنى.. مابطلبش حرام ولا بجرى ورا الغوازى..

مدنى : (يرفع يده) اخرس يا كلب.

موسيقى

(إظلام حول مدنى مع صوت الصفعة)

يوسف : (بعد صمت قصير) حاجة تضحك.. ايه خلانى أقول له غوازى وغازية (صمت) الكف نزل على خلقتى ولع نار جوايه.. وفضلت ليلتها يازهران زى الدبيحة أنزف.. مديت ايدى على الناى يمكن يغنى ويخفف الوجع.. الناى خرس مانطقش أبدا فى ايدى.. وشوية ياسيد فات زهران.. ساحب بقرة أبو محفوظ.. منظره قدامى وأنا غرقان فى الغم نشلنى.. ما أعرفش إزاى .. حسيت أنى قصاد أبو زيد.. أو أن قصادى دياب.. حسيت أن أبويا قام م التربة عفر وجه ينجدنى.. كان ودى أندهله.. خدنى معاك.. خدنى أناكف فى الظلمة وفى الدنيا السودا..

زهران : (بسخرية) كنت عايز تبقى حرامى يا يوسف زيى..

سيد : مين قال إنك كنت حرامى..

زهـــــــران : الباشا ووراه العمدة.. والمحكمة قالت..

ســـيــــد : لكن الناس عمرها ما قالتها. راجل كنت وحقانى ما تمدت ايدك أبدا على مكسور.. ياما كانت ليك وقفات وويايا ومع غيرى..

يـــوســـف : ساعتها فهمت أكثر زهران.. حسيت لحظتها أنى قصاد راجل.. ممكن ياخد بيدى.. مابيشفش الغلب ويسكت.. مابيفقش ينوح.. عارف الدنيا وبيكيلها جامد بالمكيال نفسه..

مـحـفـوظ : لكن ايه الفايدة؟.. كان بيناكف زمن أعوج.. عوجه صعب تقيل.. كان بعبع بيخوفهم آه.. لما الواحد منهم يعمل عملة.. كان من جواته يقول .. زهران راح يعمل ايه وويايا.. فهمى لما سرق البقرة كان بيسأل زهران راح يعمل ايه.. يمكن كان عارف أن البقرة لما اتاخدت تانى منه.. زهران هوه اللى واخدها يرجعهالى.. مع ذلك جه يسألنى آنى ومش هوه.. بيخوفهم آه.. بيلطش فيهم ما يهموش ويخش بصدره فى أى قضية حق.. يسرق علشانها أو يقتل.. لكن إيه الفايدة.. اللعبة أكبر.. فهمى بيحميه الباشا.. والباشا له ضهر فى مصر.. والضهر بيحميه الخواجات.. لفة كبيرة ومتشبكة جامد.. وفى لحظة لقينا نفسنا جوه الشبكة.. وفى لحظة رحنا بلاش.. قالوا يموتوا فمتنا.. (صمت) إيه بقى معنى أن فى وسطنا راجل زيك يا زهران.. إيه معنى أنك بتخوفهم لحظة..

زهـــــــران : (بجدية شديدة) بالضبط كلامك يابو محفوظ.. وبفكر فيه.. كان إيه فايدة عندى قصاد الدنيا.. (صمت يحدق بعيداً).. كانت دايما تسألنى..

(تظهر امه بأعلى)

أمـــــــــه : يامحمد.. يا محمد ليه فايت راحة القلب.. هداوة السر.. ليه ليل ونهار تجرى ورا قضاك.

زهـــــــران : (من مكانه) فين هوه.. يجينى قضايا..

أمـــــــه : يا ضنايا ارتاح.. ريحنى .. الأرض وعـرضـوها عليك من تانى.. ارجع ليهـا زى عبـاد الله.. خـد صـابحـة وافـتح دارك.. عيش زى بقيت الخلق.. سيبك م السكة دى.. السكة دى نار.. نار مـالهـاش ميه تطفيها..

زهــــــران: أرجع للأرض.. بعد ما دفنوه فيها؟! كان يجـرى ورا راحة القلب.. هداوة السـر.. ماشى جنب الحيط.. لحمار العمدة يحط سلام.. أبويا درويش الطيب.. وفـى لحظة وايده على الفـــاس.. انطـخ رصاصة بنكله.. كلب ومات.. فاكره كويس.. كنت أنا واقف طولى شـبـر قـصـادهم وفى ايدى جـزرة باكلهـا.. شـيلتـهـا من بقى.. وسألتك ليه .. ليه يامه..

أمـــــــه : ده قدر مكتوب يا محمد.. هتغير فيه..

زهــــــران : أيوه هغير.. طول مانى عايش همه اللى هيمشوا جنب الحيط.. راح أقصقص جناحات الأندال الدود.

أمـــــــه : وتعود لى الفجر ليلاتى ومرارة الدنيا فى حلقك.

زهــــــران : أحسن من طعم الذل..

أمـــــــه : ليه يا محمد.. يكفينى ضنى يا ضنايا.. إيه الفايدة.. (تختفى).

زهــــــران : إيه الفـايدة.. حقـانى ولابس توب الحـراميـة.. قـاطع طريق وابن ليل بيدور للناس ع العدل.. لكن فايدته إيه..

مـحـفـوظ : فايدته إيه.. الباشا وفتاه باشا وأكتر.. وفهمى كلب الباشا فضل فيها واحنا مشينا فطيس.

ســيـــد : هلباوى بيه اللى وقف يطلب راسنا فاته ودلوقت وصل باشا..

مـحـفـوظ : والخواجات فتناهم سايقين دول كلتهم.. كلمتهم ع الكل.. أسياد البر وأسياد الدنيا..

زهــــــران : إذا كان كده يبقى الدنيا ماشيه إزاى.. إيه يحكمها؟ (صمت) أنا كده برجع لسؤالى.. ايه بيجينا بعد ما متنا لأجل ما نتجمع تانى فى نفس اليوم..

مـحـفـوظ : مسألة مالهاش معنى يازهران.. زى حكاية الدنيا بحالها.

زهـــــران : لأ.. أنا شايف أننا جايين علشان نعرف رد.. ولازم أعرف.. لازم أعرف رد على الألغاز اللى أنا ما وصلتش فيها لرد.. ولحد مامت..

يـــوســـف : وإزاى نوصل للرد يا زهران..

زهـــــران : مش عارف..

محـفـوظ : المسألة أصلا مالهاش رد..

زهـــــران : لها رد ضرورى.. وإلا ماكناش نتجمع.

ســـيـــد : ايه يثبت بس..

زهـــــران : مش عارف لكن حاسس (صمت)

يـــوســـف : طيب.. نبدأ تانى نفتكر اللى حصل يومها بالضبط.. يمكن نفهم حاجة.

محـفـوظ : نبدأ.. يمكن..

(صمت يدقون بعصيهم فى تتابع)

زهـــــران : أيوه.. أول ما سمعنا بوصول الضباط الخواجات.. كان حدا فهمى وكيل العمدة..

(تبدأ الإضاءة فى الخفوت باختفاء القمر تدريجيًا).

يومها الصبح.. سحبت البقرة بتاعتك يابو محفوظ.. وطلعت قاصد دارك وقصدت ساعتها أمر معايا البقرة قصاد فهمى ويشوفها معايا.. مريت بيها على الدوار.. ولقيته عامل قاعدة..

(يكون المسرح قد أظلم).

ســـيـــد : كنت ساعتها أنا بتخانق ويا وكيل العمدة.. البرج بتاعنا صحينا لقيناه متخرب.. رحت له ومعايا أبويا وابنى حسين .

(يضاء المستوى العلوى كله.. فهمى يتخذ مجلسه وسط مجموعة من الناس خلفه خفير.. بين المجموعة سيد وأبوه عيسى.. ضرير.. يمسك بيده حفيده حسين.. مدنى يجلس بجانب فهمى.. بعض الفلاحين على الأرض).

سـيـد : (يلوح فى وجه فهمى) تكونش عميت زيه.. مش شايف الحمل اللى أنا شايله على دماغى.

مـدنـى : (وهو يضربه بقدمه) أنا أعمى.. (يظهر زهران عن قرب).

عـيـسـى : (الأب الضرير.. ملوحًا دون تحديد) ماكفاك افترى يا فهمى يابن جاد الله.. أبوك ماكنش مفترى ولا ندل..

فـهـمـى : مالكش دعوة بأبويا ومد من هنا يا راجل..

عـيـسـى : انت اللى مالكش دعوة بأبوك.. كان لقمة عيشه هناك عند الباشا معايا.. لكن كان راجل عفيف .. عمره ما كان زيك يجرى ورا اللقمة النجسة خليك ورا سلطان باشا..

مـدنـى : اعقل يا شيخ عيسى بقى.. اهيه..

عـيـسـى : اسكت انت.. البرج خرب وخلاص وفهمى استريح.. ملعون ولا يورد على جنة.

فـهـمـى : اتجننت يا راجل.. أنا أخرب برجك ليه؟

سـيـد : مش عارف ليه.. علشان الباشا..

فـهـمـى : باشا ايه ياوله.. هو كل حاجة الباشا.. الباشا بيلعب وياكم..

فـلاح : عيب يا سيد ماتلبخش بقى..

سـيـد : لأ .. أنى بقول الباشا (يمسك بابيه) أبويا اللى ضيع عمره هناك فى سرايته يخدم.. وعينيه راح نورها هناك.. إزاى دلوقت يرفض أن عديلة تروح وتخدم. ويلطخ وشه الأعمى كمان بالطين.

فـهـمـى : لم لسانك لهتقلب غم على نافوخك..

فـلاح : الواد ده اتجنن..

سـيـد : مين خللى الباشا يسمع بعديلة غيرك.. م الأول وانت وراها.. لما عديلة قفلت كل السكك السو فى وشك رحت تشنع.. لما بقيت عزيه..

عـيـسـى : قفل ع الموضوع ده ياسيد.

سـيـد : لأ يابا خللى الناس تعرف..

عــيــسى : وهتعملك ايه الناس دى..

ســيــد : (مستمرا) والآخر.. الباشا طالبها تخدم.. بعدها واتدورت ع البرج اللى حيلتنا.. إيه فاضل.

فــلاح : صلحه بقى وخلاص ياسيد.. ولموها..

مــدنى : حبكت يعنى .. ماهو أبوه بيقرا فى البيوت وماشيه..

ســيــد : استحى على دمك يا ضلالى.. اختشوا حبه.. خلوا حداكو شوية رحمة..

مــدنى : ماتتلم بقى.. انت هتقلبها مناحه.

فــلاح : خلاص بقى يا سيد..

فــلاح : سى فهمى فى مقام العمدة وماتفكرش كده..

فــلاح : صالحه واحنا معاك يا سيد ويسيطة..

فــهــمى : ما حدش يكلم الواد ده فى حاجة.. وتلاتة بالله العظيم إذا ماخد أبوه وغار من هنا لأكون مطينها على دماغه ودماغ أبوه..

زهــران : (يتقدم) حيلك شويه يا فهمى.. إذا ماكنتش عامل حساب عجز الراجل يبقى عشان سنه..

فــهــمى : (يفاجا به) وانت بتتدخل ليه؟

ســيــد : لأ يتدخل.. مين م الناس دى يرضيه اللى بيحصل.. البرج اللى حيلتنا يخرب ليه.

زهــران : صبرك شويه ياسيد..

مــدنى : لأ ده واد قليل الأدب بصحيح..

(يدخل يوسف بيده الناى)

يــوســف : مالك ياسيد.. وشك مزرود كده ليه ياوله.

ســيــد : أنا عارف آخرتها معاه إيه...

يــوســف : مين ده يا وله..

ســيــد : وكيل العمدة.. وكيل العمدة..

عيسى : ودراع الباشا.. دراع الباشا الممدود فى كل مكان.. تهبش وتخربش وتنكد عيش الناس.. والناس طيبة خالص ساكتة.. طيبة خالص يا بلد وأديك قلت وزعقت ياسيد.. عملولك إيه.. أحسن لى أن أعمى لأجل ماشفكوش.. أحسن لى أن أعمى (يرتعد انفعالا).

زهران : خد أبوك انت ومد الوقت يا سيد.

سيد : (لابنه الصغير) خد جدك وصله للدار.. روح يابا دلوقتى ولنا قاعدة.

عيسى: روح يابا.. نفسى أروح فى طريق مادد ومالوش آخر.. ما أرجعش. ما أرجعش أبدا.

سيد : طب روح دلوقت..

عيسى : (ملوحًا فى غضب) لأ مش ماشى (يتلمس مكانا ليجلس ويجلسه الطفل) سيبونى..

زهران : (لسيد) خده دلوقت بعيد عن خلقة فهمى..

سيد : الحكاية يا زهران.. زادت.

زهران : عارفها كويس زى ما حافظ فهمى كويس.

فهمى : طب مد معاهم انت كمان واقصر الشر..

زهران : مين قالك إنى ناوى على الشر.. أنا عايزك تسمع لى شوية..

مدنى : ماتكبرش الموضوع بالطريقة دى يا زهران..

فهمى : (يصيح بمبالغة) إيه ده.. جى يلم على الناس ويهددنى.. ولا الحكاية دى إيه..؟

زهران : أنا عمرى ما بهدد حد.. اللى بشوفه بعمله على طول..

فهمى : شايف يامدنى.. شاهدين ع الكلام ده..

مدنى : إيه بس يا محمد يا زهران.. دى حكاية..

يوسف : وهوه قال كلام غلط..؟

مدنى : انكتم انت يا وله وما تتحشرش.. انت هاتتكلم كمان !

فــــــــلاح : ماهو برضه يا مدنى..

مـــــــدنى : وانت هاتتكلم كمان..

(أصوات تهدئة من الفلاحين.. يعلو عليها صوت زناتى من الخارج)

ص زناتــى : عمده يا عمده.. عمده يا عمده.. فين يا ولاد العمده.

(يدخل زناتى مهرولا.. ضخمًا راسه حليق تمامًا وجلبابه قصير جداً. يربطه من الوسط بحبل ويمسك عصا.. يدير نظره بسرعة فى الجميع وهو يدور. ثم يتوقف بالوسط)

زنـــاتــى : كله يطاطى يدلدل بوزه وهس.. وصل الزناتى خليفة بالسيف الحديد (يصول بعصاه وسطهم).

الخـفـيـر : إيه يا وله..

زنـــاتــى : (مكملا) يبرق يا مدنى كما عيون الغازية صاحبتك.. يقطع رقاب الديابة الدون.. مين يطلع له.. مـين م الأندال يطلع لزناتى خليفة.. لأجل ما يقصف عمره وعمر أبوه.. شيخ منصر كان ولا خواجه.. انطق منك له.. فين العمدة يجينى دلوقت..

مـــــــدنى : الواد ده اتجنن.

فـــهـــمى : امشى يا واد من هنا دلوقت انت كمان..

زنـــاتــى : (لفهمى) لما زناتى خليفة يتكلم تسكت خالص (للمجموعة) فين العمدة بقول ياولاد؟

الخـفـيـر : اتأدب يا وله.

يـــوســف : فيه إيه يا زناتى.. ؟

زنـــاتــى : أنا بسأل فين العمدة يجينى..

فـــهـــمى : جك عفريت ياخدك.. فيه إيه؟

زنـــاتــى : (ملوحًا بعصاه فى وجه فهمى) انت بتتكلم ليه.. انت العمدة.. انت العمدة عشان تتكلم.. أما عجايب..

مـــــــدنى : هوه ياواد مطرح العمدة انطق وبلاش قلة حيا.

زنـــاتـــى : أنا مش عايز عمة العمدة ولا مداس العمدة.. أنا عايز العمدة شخصيا وبلاش غباوة يا مدنى.

مـــــدنـى : (لفهمى) سيبك منه ياسى فهمى.. هناخد على كلام واحد أهبل.. امشى يا واد من هنا..

زنـــاتـــى : ذنبكو على جنبكو وبلاش.. هتتيل على راسكم..

خـفـيـر : يا واد اتكلم حضرة العمدة نزل شبين..

زنـــاتـــى : وكمان نزل شبين.. يبقى واقعته سودا.

مـــــدنـى : نهارك انت اللى اسود ومش فايت.. انتو هتفضلوا سايبين الواد ده يستهبل علينا كده..

فـهـمـى : (للخفير) هات الواد ده هنا.

زنـــاتـــى : (والخفير يحاول الإمساك به) إيه يا واد يا غفير انت.. سبنى يا وله لاطير راسك بالسيف ده وكتاب الله..

(يمسك به ويدفعه تجاه فهمى)

فـهـمـى : (يمسك به) انطق يا وله.. انطق لارميك فى الحبس وأبطلك استعباط خالص.. انطق..

زنـــاتـــى : أما انك أهبل يا فهمى يا وكيل العمدة (يضحك) وكيل العمدة هيحط زناتى خليفة فى الحبس.. طب اطلع حرمة لو قلت لأ.. خدنى يا واد على هناك.. وابقى شوف مين هيقولك ع اللى حصل يا أهطل..

زهـــران : (وهو يجذبه تجاهه) فيه إيه يا زناتى حصل.

زنـــاتـــى : زهران.. هوه انت هنا.. مش تقولوا م الصبح يا بقر.. أهو كده بقى أنا لقيت راجل أكلمه..

زهـــران : طب قول فيه إيه؟

زنـــاتـــى : هقولك انت بس (صمت يحملق فى الجميع ثم كأنه يهمس لزهران) الخواجات وصلوا..

أصـــوات : الخواجات..

فــهـــمـى : خواجات إيه يا وله..

زنـــاتـــى : (يقفز فى وجهه) اتأدب يا وكيل العمدة وانده لزناتى باسمه.. فيه حد يقول لزناتى خليفة يا وله..

زهـــــران : (يجذبه) خليك معايا هنا.. الخواجات دول شكلهم إيه..؟

زنـــاتـــى : شكلهم.. دى حـاجـة زيطة.. برانيط وبنادق وحـاجـات بتلمع.. وشنبات مدهونة بالسمنة وهب شمال..

يـــوســـف : عسكر يعنى..؟

زنـــانـــى : عسكر بشرايط ونجايم وبنادق ومصيبة وهب شمال (يتحرك) سرعتلى برورر يا خواجه وادى هب شمال.. حاز طوز يا خواجه وهب شمال.. وسلام طوز يا خواجه وهب شمال.. والاقيلك الدنيا اتقلبت.

فــهـــمـى : وصلوا إزاى وفين يا وله..

زنـــاتـــى : قاعد متتك هنا على راحتك تقرف فى الخلق ويتسألنى انى.. وعامللى وكيل عمدة.. شوفوا الخيبة يا ولاد..

زهـــــران : وضح وصلوا إزاى وفى إيه يا زناتى..

زنـــاتـــى : أقولك انت بس (يتوسط المكان جالسًا) أنا بقى ماشى كده وبفكر وأغنى وألعن فى أبو خاش اللى فى بالى.. وحاطط سيفى على قفايه.. والاقيلك ياسيدى العربية أم حصانين بيض والعربجى عم حباطه..

مـــــدنـى : بتاعة سلطان باشا يا وله..؟

رنـــاتـــى : ايوه ياخويه.. بتاعة سلطان باشا حبيب قلبك (يتابع) ألاقيها يا زهران هله على الزراعية بتتمخطر.. تريك ترك تريك.. قلت ياواد يا زناتى خليفة سلطان باشا جى يخرب بيت مين الدور ده..

يـــوســـف : أترايهم بقى همه.

زنـــاتـــى : وألاقيلك نازل م العربية كذا ديك رومى.

مـــــدنـى : ديك رومى ده إيه يا وله..

زنـــاتـــى : قصدى الخواجات الإنجليزى يا نبيه.. داهيه تاخد الحصاوى (يتابع) وعنها نزلوا ومعاهم أومباش دبلان كده محتاس بيهم نزلوا بقى كده (يمثل) بصوا هنا.. كمل تاكيو.. وبصوا هنا.. كمل تاكيو.. وكل واحد زامط البندقية بتاعته على قفاه وايديه فى جيوبه كده ومنفوخ زى الرومى.. ومناخيره حمره بتلمع زى الجزرة فى عز الشمس.. وعنها قام الخواجة الأسطى الكبير بتاعهم أبو شنب (ليوسف) بالك يا وله.. عينيه زى عينين السمكة تمام (يتابع) جه بقى وسأل الأومباشى الدبلان (يمثل) فيه هنا همامه.. ولا مفيش هنا همامه.. الواد الدبلان قاله.. يا سعادة لفندى.. فيه هنا همامات.. قلتله أبوك السقا مات وف ديله سبع لفات.. حنش ياخد أجلك..

فـــــلاح : نهار اسود.. الحمام.

زهـــــران : جايين يصطادوا يعنى.. والا الحكاية دى إيه؟

فـــــلاح : الحكاية دى إيه..؟

زنـــاتـــى : (يكمل) رحت أنا شادد لجام الحصان ورافع سيف الزناتى خليفة ومتقدم وقلتله.. همامه إيه نهارك مهبب.. امشى انجر على أمك منك له..

فـــهـــمى : بس خلاص اتلهى.. هيه دى الحكاية.. وهمه فين دلوقت..

زهـــــران : يعنى إيه هيه دى الحكاية يا فهمى.. وقاعد مستتى إيه..

فـــهـــمى : والله عال.. وانت عايز إيه بالضبط..

زهـــــران : بيقولك جايين يصطادوا حمام البلد..

ســـيـــد : ويعبوه فى زكايب .

عـــيـــسى : زكايب من عند الباشا.

فـــــلاح : مش كفاية اللى حصل السنة اللى فاتت..

يـــوســـف : هيه الناس ناقصة..

مـــــدنى : طب وانت مالك انت.. عندك حمام انت كمان..

يـــوســـف : عندى ولا ماعنديش.. مش بلدى زى ماهى بلدك..

فـــــلاح : سنة غبره والله ياناس .

يـــوســـف : فاكرينها وسية أبوهم.

زنـــاتـــى : (الذى يتنقل بينهم مبتهجًا) ايوه انطلقوا ياغنم.

فـــهـــمى : كن ياواد انت وهوه لما أفهم.

زهـــــران : لسه هاتفهم إيه تانى.. خف وقوم يا فهمى ليكونوا ح يصطادوا جوه البلد..

فـــهـــمى : يعنى إيه.. عايزنى أمنعهم..

عـــيـــسى : شغلتك.. تمنعهم.

زنـــاتـــى : اهيه.. يمنعهم؟؟ بقى الحكومة تمنع الخواجات.. دى الحكومة بتشتغل عند الخواجات زى ما قلت قبل كده يا شيخ عيسى.. تقولها اقعدى يا حكومة.. تقعد.. العبى يا حكومة تلعب.. عجين الفلاحة يا حكومة.. تعجن..

مـــــدنى : اختشى ياوله (للمجموعة) عيب ياناس.. دول برضه ضيوف..

زنـــاتـــى : عداك العيب يا مأصل.. متربى وشهم.. قوم بقى وادبح عجل..

مـــــدنى : يا واد اتلم يا وله (للمجموعة) إذا كان الباشا سلطان وصلهم بالعربية بتاعته.. نيجى احنا..

زنـــاتـــى : أيوه يا مدنى.. الباشا ياخويه (يمثل) كل سنة وانت طيب يا سعادة الباشا.. البت آل يا سعادة الباشا راسها وألف بلغه إلا ما تيجى وتخدم تحت مداس سعادتك يا باشا.. وتبرم شنباتك يا باشا..

عـــيـــسى : (يقف منتصبًا) برضه الباشا.. الباشا الباشا.. ورا كل مصيبة.. إذا كان هوه اللى دخلهم مصر.. ما يدخلهمش دنشواى ليه..

يـــوســـف : لهو مش عارف اللى حصل عامنول وأول عامنول.

ســـيـــد : والشكوى .. الشكوى اللى كتبناها السنة اللى فاتت..

فـــهـــمى : أيوه ياخويه الشكوى.. عشان جوز الحمام بتاعك وبتاع أبوك اللى

قاعدين تتوحوا عليهم م الصبح.. العمدة خد الشكوى ياخويه.. ووصلها بنفسه المديرية.. عايزين إيه تانى ونعمل إيه تانى..

عيسى : شكوة إيه يا فهمى.. بتضحك على مين يا فهمى؟

يوسف : قصر الكلام.. انت الوقت مكان العمدة وتمنعهم وبس..

فهمى : معادش إلا أنت كمان تتكلم.. حاجة حلوة قوى.. طب ماتورينى كده وتروح تمنعهم انت..

زناتى : طب ما هو منعهم..

مجموعة : مين؟؟

زناتى : (بعد صمت) لهو ماقلتلكوش..

مجموعة : ايه يا زناتى؟

زناتى : عم حسن أبو محفوظ..

مجموعة : ماله..

زناتى : منعهم..

فهمى : منعهم يعنى إيه يا وله..

زناتى : يعنى منعهم..

فهمى : نهاره اسود .. الراجل ده مخه اتجنن خلاص.. مش كفايه شال الفاس عليه النهارده.. فاكرهم برضه اللى خدوا بقرته..

زهران : سيبك م الحكاية دى الوقت يا فهمى.. انت عارف كويس مين اللى سرقها (الزناتى) قل له يا زناتى.. اتكلم على طول يا زناتى عمل إيه وياهم بالضبط حسن أبو محفوظ..

زناتى : شوف يا سيدى.. عمك أبو محفوظ كان ماشى كده مكلدم ويكلم نفسه بص لقاهم قدامه... قام راح واقف كده وساند ضهره على الهوا لورا.. وحاطط ايده على عصايته لقدام..

زهران : اتكلم على طول يا زناتى وما تطولش..

زناتى : (فى سرعة مع استمرار التشخيص) قام الأسطى الكبير بتاعهم الخواجة أبو شنب شافه كده زينه خاف منه.. راح ملعب عينيه

اللى زى عينين السمكة وقال للواد الدبلان بتاعهم.. ولد عبدالعال هيه دى العمدة.. ولا مش هيه دى العمدة ولد.. اجرى ولد هات العمدة..

مدنى : (يضحك) افتكروه العمدة.. دى خيبه..

زناتى : (لمدنى) بتضحك على إيه ياتلم (يتابع) الواد الدبلان قاله.. مش باين يا سعادة لفندى أنه العمدة.. وألاقيلك عمك أبو محفوظ يزعق بعزمه..

مجموعة : هه..

مدنى : نهاره أغبر قال ايه..

زناتى : (يصيح) سلامو عليكم (ثم يهمس) قالهم سلامو عليكم.. إن الديوك دى ترد ماحطوش منطق.. قام الواد الدبلان قرب عليه وقال سلام ياعم.. قام عمك أبو محفوظ قاله على طول.. انت بنى آدم لطخ..

مدنى : يانهار .. والخواجه الكبير سمعه.

زناتى : الواد قاله ليه بس ياعم الحاج.. عمك أبو محفوظ قاله انطسيت فى نظرك.. جايب الضباط دول حدا البيوت والأجران يصطادوا ياوله.. حاكم همه عند جرون محمد عبدالنبى. الواد الدبلان قاله ماهمه عايزين كده ياعم الحاج والسنة اللى فاتت جم برضه هنا.. قام عمك أبو محفوظ راح شاخط فيه وقاله.. يصطادوا بعيد عن هنا..

فهمى : نهار أبوه مش فايت.. هيودينا فى داهيه..

يوسف : وداهيه ليه.. مش خايف على ناسه.

مدنى : أنا مش فاهم ياواد انت بتتكلم ليه. شأنك إيه .. لك ناس انت كمان ولا خايف على إيه؟

زهران : (مقاطعًا) كمل يا زناتى من غير تطويل..

زناتى : الواد قاله.. ياعم الحاج دول ما حدش يقدر يقولهم حاجة.. دول

أسياد البر والساحل، عمك أبو محفوظ زرابينه طلعت وقاله.. أسيادك وأسياد الباشا اللى بعتهم.. وعنها إلا والخواجة الأسطى الكبير بتاعهم أبو شنب ييجى يرطن مع الواد الدبلان والواد الاكاده قعد يرطن معاه.. هو يقول بربربر.. والتانى يقوله بربر بربر..

فهمى : هه..

زناتى : (لفهمى) ماتكن كده (يتابع) عمك أبو محفوظ لقيتهولك.. زهق مرة واحدة وزاط فى الوله.. ماتقول بيقول إيه الراجل ده يا وله.. الواد اتلبخ ،قاله.. بيقول همه مبسوطين.. كده.. بس (يجلس فجاة صامتا).

فهمى : وبعدين ياوله (زناتى صامت)

يوسف : ما تنطق يا زناتى عملوا إيه مع أبو محفوظ.

فهمى : عمل إيه وياهم الراجل ده يا واد انطق..

زناتى : بقى انت وكيل عمده انت.. مفيش كباية شاى ولا حتى سيجارة.. قاعد أتكلم م الصبح وأقول.. أحكى وأتكلم وأقول.. وأعملكوا أسطى خواجة وسمكه وهب شمال ونيله..

سيد : يا زناتى اتكلم.

زناتى : لأ .. كفايه عليكو كده.. مفيكوش خير.

فلاح : قول بقى يا زناتى..

مدنى : هيكون إيه تانى يعنى.. هيسيبهم طبعا ويمشى..

اصوات : لأ قول يا زناتى .. قول يا زناتى.. قول يا زناتى..

(يدخل الشيخ معروف)

معروف : إيه الزيطه دى..

فهمى : عالم هتودينا فى داهية ياشيخ معروف..

معروف : داهيه إيه لا قدر الله ياسى فهمى..

فهمى : (للخفير) روح شوف لى الراجل حسن أبو محفوظ ده عند جرن عبدالنبى حالا.

زهـــــران : علشان إيه يا فهمي.. علشان قال لهم روحوا اصطادوا بعيد..

فـــهـــمى : علشان هيخربها على دماغكم .. دول الإنجليز..

مـــعـــروف : همه هنا..

فـــهـــمى : زى ما كل سنة بيصطادوا.. والباشا وصلهم بنفسه.. فيها إيه. عملوها غاغة ومحمد زهران قاعد يقومهم.. وأنا بشهدك عليه أهه..

مـــــدنـى : غاغة إيه.. ناس ناقصه عقل صحيح.. عايزين إيه بالضبط؟ عايزين تقولوا للغولة عينك حمرة..

زنـــاتـــى : أيوه يا مدنى يا عاقل.. طب أنا أهبل بقى وهقول للغولة عينك حمره واشوف هاتعمل إيه (يصيح) يا غولة عينك حمره.. عينك حمره يا غولة عينك حمره (يردد فى هوس).

مـــــدنـى : بس يا واد اتهد.. باينكو اتعديتوا م الواد الأهبل ده.. اهتدوا بالله واعقلوا.. وماترموش بنفسكو فى التهلكة..

عـــيـــسى : اتق الله فى كلام الله يا مدنى.

مـــــدنـى : اسمعوا اللى بقولكوا عليه.. سيبوهم يهببوا اللى يهببوه..

عـــيـــسى : خلاص اسمعوا كلام مدنى.. واستنوا لما يحرقوا الأجران ويحرقوها باللى فيها.

مـــــدنـى : ماتشعللهاش يا عيسى.

فـــهـــمى : ما انتوش قد الكلام ده.

عـــيـــسى : كفاياك تهديد فى الناس يا فهمى.

مـــــدنـى : تهديد إيه يا عيسى يا أبو سالم.. دول إنجليز.

زنـــاتـــى : (هائجًا) الغولة.. الغولة يا ولاد.. الغولة.. عينها حمرة ياوله.. مين قال للغولة عينك حمرة..

عـــيـــسى : اللى فى قلبه إيمان وفى نفسه كرامة..

فـــهـــمى : عيسى يابو سالم..

مـــــدنـى : عايزهم يعملوا إيه يا عيسى يابو سالم..

عيسى : يقولوا للخواجات لأ..

مدنى : يعنى إيه..

عيسى : يعنى إذا ماكنش اللى عامل وكيل عمدة ده يبعدهم عن الأجران والبيوت.. الناس تبعدهم..

مدنى : ده كلام فيه هلاك الناس.

عيسى : هلاكهم فى سكاتهم..

معروف : سكات إيه وكلام إيه يا راجل.. دول غلابه.. همه عارفين يعيشوا لما هيناطحوا الإنجليز.. خليهم فى حالهم وغلبهم.. لأن كلامك ده مايرضيش ربنا..

عيسى : اللى بتقوله انت هوه اللى مايرضيش ربنا. بسم الله الرحمن الرحيم «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وبئس المصير».

يوسف : لك حق يابو سالم..

سيد : الناس دى تتلم عننا بقى.

يوسف : كفاية اللى احنا فيه م الباشا وكلابه.

سيد : يروحوا يصطادوا فى أرض الباشا اللى بعتهم.

فهمى : (ينقض) انكتم ضربه فى قلبك.. انتو زودتوها خالص.. هيه حصلت الباشا.. تلاتة بالله العظيم اللى هيزود بعد كده كلمة واحدة لأكون مبلغ عنه.. وموديه فى داهيه.. الناس دول جايين رسمى.. وهيصطادوا ويمشوا.. ومش عايز حد ينطق بكلمة واحدة..

زهران : (مندفعًا ناحية فهمى.. ممسكاً به رافعًا إياه من على الأرض جاذبًا له إلى الوسط) اسمع يا فهمى انت فى نظرى.. دودة مش أكتر.. دودة كان ممكن أفعصها من بدرى.. وأريح منها الخلق التعبانة.. لكن أنا سبتك.. أما الوقت خلاص ..

فهمى : (مستفيثًا) شايفين شاهدين..

مــــــــدنـى : ابعد عنه يا زهران..

زنـــاتـــى : سيبه.. سيبـه يعمل عيشـه.. اصـرخ زى الحـرمـة يا سـبـع الليل يا دياب..

فـــهـــمـى : شاهدين.. بده يموتنى..

زهــــــران : (يشدد قبضته) اسمعنى كويس.. من دلوقت وطالع هعلمك الأدب.. شايف البقرة اللى رابطها هناك دى. دى بتاعة حسن أبو محفوظ اللى انت سـارقهـا.. هرجـعهـاله الوقت.. ولو حـد قـرب له أو مـد ايده على أرضـه هـيكون بـرقـبـتك.. بـرج الراجل ده هيـتـصلح والليلة.. واعـمل حسـابك يا فـهمى.. إنى من دلوقت وراك خطوة بخطوة.. (يدفـعـه امـامـه) والوقت قـدامى.. تروح دلوقـت تفـهم الخـواجـات الأنـدال دول.. يصطادوا بعـيد عن الأجـران والنـاس.. يا اما هروح أنا والناس دى ونمنعهم..

زنـــاتـــى : (يصرخ فجأة) يا ولاد.. الغولة..

(يلتفت الجميع نحوه)

زنـــاتـــى : الغولة عملتها..

(يشير إلى الخلف حيث تضىء الخلفية باللهب) جرن مـحـمـد عبدالنبى ياولاد.. النار ولعت فـيـه.. الغـولـة ولعت الجـرن.. الغـولة ولـعت الجـرن..

(إظلام.. تبـقى الخلفـيـة مـضيئـة باللهب.. مع سلويت لمجـاميع تعبـر عن المشهد.. ترتفع الدفوف بسرعة وقوة)..

تظهر الشـخـصيات الأربعة أيضـا بمكانها عند المقابر على ضوء الخلفية المشتعلة.. فى تعبير مقابل يتصاعد..

(يدخل خلال ذلك الراوى وبسرعة يقف بين المستويين)

الــــــراوى : عملتها الغولة .. النار

الأربعــــــة : النار.

الــــــراوى : شبت فى جرن محمد عبد النبى من طلق الكابتن بول..

الأربعــــــة : وساعتها جرينا.. جرينا.. يوسف.. زهران..

الـــــــراوى : الكل بيجرى يطفى النار.. يوسف.. زهران

الأربعــــــة : قلنا اللى عملنا حسابه حصل..

الـــــــراوى : لكن مرات عبدالنبى صاحب الجرن ما كانت عامله حساب مذهولة فى ايدها المدرة والمدرة بتسأل بتقول ليه..

الأربعــــــة : ونادوا.. ابعدى يا أم محمد..

الـــــــراوى : لكن الطلق سبق.

(صوت لطلق نارى مضخم)

الأربعــــــة : أم محمد.. حاسبى.

(تسقط فى السلويت امرأة)

الـــــــراوى : والكلب بيضرب لسه.

الأربعــــــة : قلنا يا يوسف.. شيل منه سلاحه..

الـــــــراوى : لكن الطلق التانى كان أسرع.

(صوت طلق مضخم)

الأربعــــــة : شيخ الخفر انطخ.

(يسقط رجل بالسلويت

يزداد الضجيج بالخلف ولكن تعلو عليه صوت الأربعة)

الأربعــــــة : (بالتناوب) وساعتها النار اتنقلت م الجرن لجوه الكبد لنن العين.. الدم فى صدر حمامة.. وفوق القش.. والشمس لهيب مسعور.. وطنين وطنين.. (حركة ضارية ويختلط المستويان. يندفع زناتى غير واضح الملامح ليدور صائحًا فى دائرة تشمل المستويين).

زنــــاتــــى : الغولة. الغولة.. اوعوا الغولة تاكلكم.. الغولة دى فاجرة وقادرة وزناتى هيعمل إيه.. قلبى عليكم يا عيال.. سيف الزناتى انكسر.. سيف الزناتى انكسر.. سيف الزناتى خشب.. سيف الزناتى خشب.

(إظلام)

القسم الثانى

- المسرح مظلم.

- يدخل من يمين المستوى الأعلى الراوى وبيده المصباح.. تعلو دقات الدفوف مع الأرغول ..

الـــــراوى : زمان.. أيام أجدادنا القدام.. من قبل موسى وعيسى ومحمد.. كان الميت لما يموت بيحطوا معاه جوه التربه.. زاده ولبسه واللى يحبه من دنياه.. وكأنه طالع مشوار وكأنه راجع تانى ومامتش.. الموت مش أخرتها.. وضرورى يكون مش أخرتها علشان الدنيا ماتبقاش كدبة..

(يهبط قليلا فيبدأ فى الوضوح الأربعة بأسفل).

هنا ياصحابى نفس الشىء.

(يشير إلى أسفل حيث الأربعة)

موتهم وحياتهم كانت إيه؟. وعذابهم كان ليه؟ ولفين السكة؟. لسه السؤال متعلق فوق رءوسهم بيدوروا على رد..

(يتضح وجود الأربعة أكثر ظهورهم للمشاهدين)

(دقة.. عالية فيستديرون قليلا)

الـــــراوى : سلطان باشا وصلهم بالعربية لحد مكان الصيد جوه الدور.

(دقة فيستديرون أكثر)

ووكيل العمدة ماعندوش علم لكن مش ممكن يمنعهم..

(دقة فيستديرون تمامًا)

وحسن محفوظ كان الوحيد اللى قابلهم ويا زناتى.. كان طلبه بسيط لكن حاسم.. زى اليأس اللى فى نفسه بعد ماراح القيراطين.. يبعدوا عن الأجران والناس.. لكن مين هوه حسن محفوظ مين هوه ومين غيره.؟ (يبدأ الأربعة فى التحرك كأنما يبحثون عن شىء ما فى الأرض يدقون بعصيهم دقات موازية لدقات الدفوف..)

الملكة جايه بتتسلى بعد ما موتت الأوباشى من حقها تتسلى وتجرب وتشوف.. مين هيقولها لأ.. ولدهشتها لقيت لأ.. إنما يا خسارة احنا اللى بنظلمهم دايما بندافع عنهم ونقول ده حرام.. ماقالوش لأ ومظاليم (صمت) أبدا.. مظاليم لكن قالوا لأ.. وده شىء مش لازم ننساه أو نغالطهم فيه.. على كل مش دى المسألة دلوقت المسألة الأخطر زى ماقلت.. هيه سؤالهم.. إيه اللى حصل بالضبط ومعناته؟ يا ترى معناته هوه اللى بيجمعهم بعد ماماتوا..؟

بيدوروا لسه.. نفس الفراعنة القدام وفلاحين دنشواى الحادثة.. وولاد مصر الوقت يفتكروا اللى حصل دايما ويفتشوا ع السر..

«سلويت بالخلف مع غناء»

بعد المعركة جرى ضابط منهم مجروح.. لحقته ضربة شمس ومات والمحكمة وانتصبت

المجموعة : (وهى تتوقف عن الحركة) المحكمة وانتصبت..

الـراوى : المحكمة كانت خمسة.

محفوظ : ثلاثة منهم كانوا خواجات.

الـراوى : والمدعى كان هلباوى.. هلباوى بيه.. محامى كان قبل الحادثة ما تحصل وطنى.. يلعن كل مسا وصباح بريطانيا والاستعمار..

يـوسـف : وطلب رقابينا بدون رحمة هلباوى بيه..

الــــــراوى : وفى بولاق .. كانت المشانق بتتحضر.. من قبل المحكمة والحكم.

زهـــــران : والحكم.. صدر.

الــــــراوى : إعـدام..

الأربعـــــة : إعـدام.

(تعلو دقات الدفوف ويسطع مكان السلويت قرص الشمس كالجحيم)..

الــــــراوى : ٢٨ يونيو.. وفى نفس مكان الحادثة.

مـحـفـوظ : كان الجو هجير..

الــــــراوى : (بإيقاع أسرع) نصبوا المشنقة وسط الساحة.

زهـــــران : وعليها الراية الحمرا بلون الدم.

الــــــراوى : لموا جميع الخلق وبالأمر.. ما فى عيل أو شيخ يتخلف الكل لازم يشرب م الكاس..

الأربعـــــة : الكل هناك.. الكل..

مـحـفـوظ : لولاد وعيالهم.

يـــوســـف : نرجس..

زهـــــران : وأم محمد زهران.

ســـيـــد : والراجل الأعمى.. جروه للساحة.. لأجل يشوف.. عيسى أبويا كان جره حسين ابنى..

الــــــراوى : نصبوا فى وسط الساحة تلات خيام..

ســـيـــد : خيمة نتغسل فيها بعد الشنق..

يـــوســـف : والتانية للى ح يتجلدوا.. يترموا فيها بعد الجلد.

الــــــراوى: والتالتة.. (يقطع غناء قصير وهو ينسحب)

مـحـفـوظ : التالتة اتلمينا فيها قبل الإعدام نسمع جواها صوت اللى بيتجلدوا مغطى عليه صوت النسوان وعياط الخلق..

ســـيـــد : وساعتها. ناديتك يابو محفوظ. قرينى آية الكرسى.. لأجل ما قلبى يكن فى صدرى..

(موسيقى)

محفوظ : ونادونى..

صوت : قرار محكمة مخصوصة.. المتهم حسن على محفوظ.. تنفيذ الحكم.. إعدام..

(صوت ارتطام)

سيد : ونادونى.. كان اسمى غريب على ودنى.. وكأنه واحد تانى.

صوت : قرار محكمة مخصوصة.. المتهم سيد عيسى سالم تنفيذ الحكم إعدام..

(صوت ارتطام)

يوسف : ونادونى.. وأنا ميت قبل الموت..

صوت : قرار محكمة مخصوصة.. المتهم يوسف حسن سليم.. تنفيذ الحكم.. إعدام..

(صوت ارتطام)

زهران : (يقفز مع الصوت) مش بطلع للمشنقة تانى.. مش ح أمشى فى جنازتى ألفين مرة..

ونعيد ونلف ونرجع للحظة السودا وكأننا مابنتجمع إلا عشان نغرق فيها.. الدوامة تشدنا ليها.

سيد : ليه أيوه..؟

يوسف : ليه الحق مالهش دليل..؟

زهران : ليه.. مع أن حياتى كلها كلمة حق.. والآخر مدهوسة بكل نعال الدنيا.. وكأنها كلمة من الأصل غلط..

سيد : إيه اللى عملناه احنا وعيالنا.. علشان نطلع من ظلم لظلم لموت ظالم..

يوسف : طفينا النار.. ورفعنا أم محمد منصابة.. قلنالهم لأ.. كفاية.. نزلت م السما..

مشنقة وياها الجلاد فى الحال..

سيد : زى دبيحة اتعلقنا قصاد أولادنا ليه..

يـــوســـف : ليه سلمنا البيه الهلباوى المصرى للخواجات.

الجـــمـــيـع : (تتصاعد).. ليه؟

مـحـفـوظ : (يصيح) بتسألوا عن إيه لسه.

ادينا رجعنا ورا.. الصورة ملعونة.. من تحت طاحونة الباشا وكلابه.. لمشانق الخواجات فضها يا محمد.. سؤالنا مالهش جواب.. الدنيا دى هيه كده ظالمة وبنت سفاح من يومها مجبولة ع السو.. الشر عفى ودايما بيسود.. وفى لحظة تضيع بلا أى سبب ولا تسألش..

(صمت يدور محفوظ وسطهم)

أيامها.. قبل ماتيجى الحادثة بعشرين سنة وأكتر كنت انتو عيال.. وأنا كنت فى عز رجولتى وولادى كبار.. قالوا قامت هوجة فى مصر ضابط مصرى كبير شرقاوى.. بيجيب الحق لكل الناس.. وجرينا.. بكل همومنا وغلبنا وشقانا.. جرينا وقدمنا شكاوى.. كان واقف راجل يتهاب.. هللنا وكبرنا قلنا الدنيا بخير ياولاد.. وما كملنا الفرحة إلا وصاحبنا مرمى جريح.. مطرود م البر والخواجات دول دخلوا.. زى جراد الصحرا وبالنار ركبوا على نفس الخلق والباشوات دخلوا تحت بطاطهم واتزفوا لبعض (صمت) هزينا الروس.. وقعدنا نمضغ تانى فى المر.. آدى هيه الدنيا خسيسة.. خستها مالهاش حل..

زهـــــران : ده كلامك انت.. لكن فيه شىء تانى أنا شايفه.. شايفه (صمت) كنت بشوفه دايما فى عيون الظلمة لما بيقعوا فى ايدى.. كنت بشوف الظلم ضعيف على قد ما هوه خسيس .. كنت بشوف ف عينين الواحد منهم فار مذعور.. مستنى اليوم.. وعارف إن اليوم ده هييجى..

ســـيـــد : فضها يا محمد..

زهـــــران : فيه شىء تانى ضرورى أنا حاسه..

يــوســف : نرجع وننام.

زهـــــران : مش ممكن دى نهاية الحدوتة.

مـحـفـوظ : ما ادينا بنفكر فى اللى جرى.. ايه م اللى جرى يقولك غير اللى أنا قلته..

ســيــد : (فى نفاد صبر).. نرجع.. أنا تعبت تعبت.. تعبت.

يــوســف : خلونا نرتاح.. التربة ارحم هنعيده تانى ونتعذب ليه تانى.

زهـــــران : إيه المانع.

مـحـفـوظ : قصدك إيه يا محمد..

زهـــــران : قصدى نجيبهم.. كل اللى كانوا هناك فاتهم ماتوا بييجوا ونسألهم تانى..
يمكن المرة دى نفهم..
(دقة عالية.. ويظهر بأعلى زناتى فى زى الموتى بيده عصا كعصيهم)

زنــاتــى : راح تفهم يا محمد وأنا جيت.. أنا جيت ياولاد.

المجـمـوعـة : زناتى ..

زنــاتــى : فاكرينه ياولاد.. فاكرنى يا يوسف..

يــوســف : عايش يازناتى.. ولا خلاص مت.

زنــاتــى : عايش إيه ياوله.. أنا مجنون للدرجة.. دى علشان استنى هناك فى المولد ده ولحد الوقت.

ســيــد : وكأنك يا زناتى عقلت..

زنــاتــى : وأنا كنت أهبل ياوله.. علشان سيف الزناتى كان بيخوفكم؟ طيب.. أهو راح من يوم الحادثة أهو راح (يضحك) لكن أنا بصحيح كنت أهبل يابو محفوظ؟ أنا يا محمد كنت أهبل؟

زهـــــران : طول عمرك يا زناتى ما كنت أهبل طول عمرك عينيك بتشوف اللى ماحد يشوفه..

زنــاتــى : زى انت ماكنت تشوف فى الضلمة.. كنت فاهمنى وفاهمك وأنا بقى يا محمد جيت دلوقت عشانك. لما لقيتك متضايق وكأنك

لســه فى دنيـا الغم (يضـحك) وعــشــانكم جـيت بـرضك يابو محفـوظ.. حاكم الواد يوسف ده حبـيبى كنت بمدد دايما حـدا عشــه وأسـمع تنويحـه.. والسـيـد طيب قلبـه أبيض مع أنه كـان يضايقنى لما أشوفه شايل طاجن سته فى الفاضى وفى المليان..

مـحـفـوظ : وجيت إزاى يا زناتى الوقت..

زنـــاتـــى : إزاى (يضحك مهرولا وسطهم) إنى يابو مـحفوظ ورا قـعداتكم من بعد مـا مت.. ومش انتم بس.. أنا زى مـا كنت معاكو هناك داير.. داير هنا برضــه.. لفـيت على كل الأمـوات. ناس مـاتوا قـبلى.. وناس مـاتوا بعدى.. وسمعت حاجات وفهمت حـاجات ياولاد ولا فى الحواديت..

زهـــــران : إيه اللى فهمته يا زناتى..

زنـــاتـــى : اللى بينخر فى نافوخك يا محمد..

زهـــــران : إيه اللى بينخر فى نافوخى..؟

زنـــاتـــى : (يضحك فجاة) عـارف انت الحـاوى يا زهـران.. عـارفـين ياولاد الحـاوى.. اللى تمللى كـان بيـجى مـولد سـيدى شبل اللى يحط البـيضـة هنا (يخرج بيضة) تطلع من هنا هه ويحط الكتكوت فى العلبة يفتحها وتطلع فاضيه أو فيها قـرد.. أهو بقى ياولاد البنى آدم ده زى البيضة فى ايد الحاوى.. يدخل من هنا ياوله.. بطلع م الناحيـة التانية.. وماتعـرفش إزاى؟ عـارفين بعد ما مـاتوا حصل إيه..؟

مـحـفـوظ : حصل إيه يا زناتى..؟

زنـــاتـــى : اللى دخل من هنا ياولاد.. اتمسح م الناحيـة التانية والكتكوت فى العلبة طلع مش كتكوت.. وبكده يامحمد راح تفهم..

ســيـــد : ده كلام واعر يا زناتى..

زهـــــران : إيه اللى حصل أفهم منه يازناتى.. قول..

زنـــاتـــى : هتشوف دلوقت وترتاح..

واللى بينخر فى نافوخك هيكن وتهدا حالا دلوقت نجيب كليت الحق.. وتتنصب المحكمة من تانى.. ونشوف إيه اللى ورا الحاوى

(يندفع إلى أقصى المقدمة. ويضرب الأرض بعصاه فى قوة)

زناتى : (يصيح) محكمة ياولاد..

(يضاء المسرح كله.. يصطف فى نصف دائرة على المستويين بشكل غير منتظم فهمى ونرجس وأم زهران والشيخ عيسى والهلباوى وإنجليزى ١ وإنجليزى ٢ خلف كل منهما خيال مآتة عليه قبعة.. الجميع فى وضع جامد تماماً.. ثمة قوائم خشبية قصيرة فيما بينهم تحمل طربوشاً وقبعة وعمامة ورداء المحاماه وعباءة وأشياء اخرى..)

زناتى : (مستعرضاً الشخصيات الجامدة)..

آدى البيضة.. وآدى اللى أخدها وادى اللى سلقها وآدى اللى قشرها.. وادى اللى قال.. هم هم... من تانى كمان يا محكمة (يمر ثانية بهم) آدى وكيل العمدة وآدى الخواجات ياولاد اللى شهدوا واللى حكم.. وآدى هلباوى بيه وده واحد ضيف ومهم (شاب) ومعاكم فى المحكمة دية.. الراجل.. البركة الصح.. الشيخ عيسى كبير المحكمة والقعدة.. خدوا بالكو ده بيشوف لبعيد قوى قوى خالص لف معايا وونسته..

(يتحرك من الجمود الشيخ عيسى ويهبط حيث يتخذ مجلسا بين الأربعة).

محفوظ : أهلا شيخ عيسى..

سيد : أهلا يابا وسلامات.

عيسى : أهلا بيكم ياولاد..

زناتى : (مشيراً لنرجس) ومعانا الزينة يا يوسف نرجس..

(تتحرك من بين المجموعة بأعلى لتتخذ مكاناً إلى اليمين من المجموعة بأسف.. تقدمت بها السن)..

يوسف : نرجس..

نـــرجـــس : سلامات يا يوسف (للمجموعة) سلامات..

زنـــاتـــى : (مشيراً إلى ام زهران) وأمنا كلنا ياولاد.. الطيبة خالص وأميرة أم محمد زهران..

(تتحرك وتهبط يسار المجموعة بأسفل)

الأم: (لزهران) كنت وحشنى يا ولدى..

زهـــــران : سلامات يامه..

زنـــاتـــى : والوقت بقى .. مفيناش م الكدب..

عـــيـــسى : وهيكدبوا ليه يا زناتى.. احنا فى مملكة الموت مفيهاش م الكدب.. الكل أموات..

زنـــاتـــى : لا وراكم هبشة ولا سريقة ولا حد خايف من حد.. قولوا معايا والله نقول الحق

المجـمـوعـة : والله نقول الحق..

زنـــاتـــى : ولا ح نخافشى..

المجـمـوعـة : ح هنخاف من إيه.. احنا فى بطن الموت.. والصفحة خلاص سلمناها..

زنـــاتـــى : يبقى.. مفيناش م الكدب..

المجـمـوعـة : مفيناش.

عـــيـــسى : يبقى يا زهران.. تسأل على طول..

زهـــــران : أسأل عن إيه..

عـــيـــسى : ع اللى انت ناديتنا عشانه..

مـحـفـوظ : فيه رد ياشيخ عيسى عرفته.. يخلينا نكن ونرتاح..

ســـيـــد : عذابنا وشقانا العمر ما بين الباشا وكلابه وبين الخواجات..

يـــوســـف : وموتنا فطيس.

زهـــــران : البهتان والزور..

مـحـفـوظ : والرجا والأمل المعدوم الخايب..

عـــيـــسى : (بحسم) كل ده له رد.. مافى شىء فى ملكوت الله الواسع يحصل.. إلا بحساب..

زنــــاتـــــى : اسألوا.. اسألوا لا الوقت يضيع والديك يدن.

زهــــــــران : (وهو يمر بطيئا) نسأل مين ولا مين.

زنــــاتـــــى : الخواجات دول أول..

(رد فعلى إلى أراجوزى لدى ذكر اسمهما)

مسخرة نصبوها الخواجات يومها وقالوا محكمة مخصوصة..

إيه حكايتها ولحساب مين.. والحق فيها واقف فين بالضبط؟

يـــوســـف : (يتبعه) والخواجة الندل دهه حط شهادته إزاى..

ســـيـــــد : وعرفنا إزاى..

زهــــــــران : ولا ح نسأل فهمى الأول..

(يبدأ فهمى فى الخروج من جموده فى حركة بطيئة جداً ويألم)..

مـحـفـوظ : فكرت يا فهمى بتعمل إيه..

زهــــــــران : ولا حنسأل هلباوى بيه؟

(يبدأ هلباوى فى الخروج من جموده فى حركة بطيئة جداً ويألم).

يـــوســـف : إزاى وقف ولعنا.. وسلم رءوسنا هدية للخواجات..

زهــــــــران : مين أول نسأل مش عارف..!

زنــــاتـــــى : (يصيح فى جسم) علشان نلحق قبل الفجر. مايدن.. المحكمة راح تسأل فهمى الأول..

(يصيح بفهمى).

زنــــاتـــــى : فهمى وكيل العمدة.

فــــهـــــمى : (ومازال يخرج من جموده فى حركته البطيئة يرد بصوت خافت بطىء) ما تسألونيش..

زنــــاتـــــى : (يكرر بصوت اعلى) فهمى يا وكيل العمدة..

فــــهـــــمى : ما تسألونيش..

زنــــاتـــــى : فهمى يا وكيل العمدة.

(يتكرر ذلك حتى يستكمل فهمى خروجه ويصيح: ما تسالونيش)..

عـــيـــسى : يبقى يا فهمى يفكرك الخواجات.

(يضرب زناتى الأرض بعصاه)

زنـــاتـــى : محكمة يا ولاد (يجرى واقفًا امام إنجليزى١، ٢ واضعًا على رأسه قبعة إنجليزية).

زنـــاتـــى : (مشخصًا) فهمى وكيل الامده

(ثم يجرى مكملا التشخيص أمام فهمى مرتديا عباءة وهكذا).

زنـــاتـــى : أفندم يا سعادة الباشا الخواجه.

ـــ : تعرف إيه عن دى.

ـــ : بطال.

ـــ : ويعنى إيه بطال يا ولد..

ـــ : مجرم يا سعادة الباشا الخواجه..

ـــ : كده حلو.. يبقى كلام الجنرال بوستيك مضبوط.. كان ماسك واحد عصابه.. عصابه هاجمت حضرات ضباط..

إنجليزى ١،٢: (بآلية اراجوزية) ضباط بريطانيا عظمى.. لا تغرب عنها الشمس.

زنـــاتـــى : (يكمل التشخيص).

(فهمى) طول عمره مناكف مؤذى يابيه بيناكف حتى الباشا بحاله.. الباشا أبو شنبات قد البلغة.. بالك انت يابيه - ايوه ولد -

ـــ : قبلها بشويه.. كان عامل زيطة وهيصة ولامم الخلق علينا قال مش عاجبه يابيه.. قلت له يامحمد.. عيب.. دول ناس كمل خواجات م الأصلى ومايصحش عيب.. سيبهم يتبحبحوا حبة.. دول خيرهم برضه علينا وأصحاب الباشا.فط وجرى من قدامى وناوى ع الشر..

يـــوســـف : (مشيرا إلى نفسه) والواد ده معاه يا خواجه.

زنـــاتـــى : قلت امسك يا وله..

ســـيـــد : والواد ده معاه..

زنـــاتـــى : امسك يا وله.

محـفـوظ : والراجل الشايب ده كمان وماتنسوش.. كان عند الجرن بيمنعهم.

زنـــاتـــى : امسك يا وله..

الأم : (مندفعة نحو فهمى الحقيقى) ومسكت قضاهم.. وحدفته على المشنقة بايديك..

نـــرجـــس : ليه بس يا فهمى.. يوسف الغلبان ترميه ليه..

الأم ونرجس: (تدوران حوله وهو يدور)

ليه يا فهمى ليه.. ليه يا فهمى ليه..

الأم : (توقـفـه عن الدوران) قـول لى يا فـهـمى.. قـول عن زهران اللى ماقلتوش قدام المحكمة يومها.. قول دلوقت..

فـــهـــمى : راجل.. طاهر القلب وراجل..

الأم : طاهر القلب وراجل؟. كده بس يـا فـهـمى؟ زهـران كـان حلـم.. كـان لأمه كابوس وعذاب لكن كان حلم الناس.. بزمن طيب وكريم..

زهـــــران : لسه ماشفتوش.. لكن موجود.. رغم ندالتك..

الأم : الراجل فيه راجل مرفوع الراس مش مطاطيها..

ســـيـــد : مرفوع الراس مش مطاطيها يا فهمى..

الأم : مستور.. مطمن على شرفه وقوته دعياله..

عـــيـــسى : شرفه يا فهمى وقوته..

نـــرجـــس : قادر على حلم صغير.. من حقه..

يـــوســـف : عش وبقرة.. شبرين م الأرض..

نـــرجـــس : دار تستـرنى مـعـاه.. لكن خـد حلمـه وحلمـى وراح.. فـاتنى لاجل اترمى وفى ايد أول شـارى.. واتبعت رخيص بعده لواحد ميت. له أرض.. وطين ونسب.. يومـها يـا فـهمى شـهـدت قصـاد المأذون ع البيعة..

مـحـفـوظ : آدى فـهـمى.. كلب أجـرب يعـمل كل ده فـينا.. فـين الزمن الطيب بعد ده يا محمد.. ييجى منين..

سيد ويوسف: رد علينا..

زنـــاتـــى : رد عليهم..

فــــهــــمــى : أرد وأقــول ليكو إيه.. أنـا زيكم مش قــادر أفــهم.. كلب أجـرب زى مــاقلتم غلبــان.. مــاكنتش عــارف أنهــا راح توصل لـكده.. لحـد ماشفت قصادى قيامة بتقوم..

زنــــاتــــى : (بين الانبهار والغضب) قيامه.. قيامه بتقوم..

فــــهــــمــى : ســاعـتـهـا لـقيت نفسى واحـد تانى ونازل جب.. مش هوه المؤذى وكلب البـاشا واحد مرعوب.. خش فى لعبـة أكبـر منه كل عمـايلى معاها ولا حاجة.

زنــــاتــــى : قيامه.. بتقوم..

فــــهــــمــى : قيامه وبتقوم.. وراها الخواجات مسعورة صدقنى يا يوسف.

يــــوســــف : لأ

فــــهــــمــى : صدقنى يا سيد..

ســــيــــد : لا كداب..

فــــهــــمــى : أبدا ده حـصل (يتـحـرك بطيـئًـا كانما يرى ما يصفـه) المشنقة والفلكة السودا خيام الرعب.. الهجانة وجوه الخلق كيوم الحشر).. وانت بهيبتك يابو مـحـفـوظ (تهبط المشنقة بالخلف ويتـحـرك نحوهمـا مـحـفـوظ كالمأخوذ).

طالع على المشنقة وسط ده كله ولا اتهزيتش.. شايل سبعين سنة وجرايمى معاك..

(الارتطام موت محفوظ بأعلى)

فــــهــــمــى : السما طبقت.. قلبى فى صدرى بقى فحمة.

عــــيــــســى : وطلع سيد..

(يكون قد تحرك سيد نحو المشنقة)

فــــهــــمــى : وطلعت يا سيد عودك منحول يتهز على المشنقة يرشق جوايه.

(الارتطام.. موت سيد)

عــــيــــســى : فى السما رب كبير..

فــــهــــمــى : كنت أنا شايفه ياشيخ عيسى (بعينك مخلوع من قلبك)..

عــــيــــســى : والصبر جميل لو تعرف..

نـــرجـــس : وطلع يوسف..

(يكون قد اتجه يوسف لأعلى)

فـــهـــمى : يوسف يا غريب.

نـــرجـــس : وحدانى غريب سلمته..

فـــهـــمى : وكأنه ساعتها ضنايا..

(الارتطام موت يوسف)

كأنه ساعتها ضنايا

نـــرجـــس : قلنا مفيش كدب.

فـــهـــمى : مش بكدب.. مش بكدب أبدا.. يا زهران (يدور حول زهران صمت)..

الأم : وانت لما طلعت وراهم كنت هناك عالى أعلى من سور الباشا وارتحت ساعتها يا محمد.. وقضاك جالك زقه عليك فهمى.

فـــهـــمى : مادد ضلك يا كبير وضلك على كل الخلق اللى انت حاضنهم طول عمرك وأنا ندل.. آه يابا عيسى.. السما طبقت واسودت عز الضهر والشمس غطيس.. وصرخت يارب اخسف بى الأرض امحينى..

الثـــلاثة : (بأعلى يستديرون) بينوح دلوقت..

ســـيـــد : مهما تنوح مجرم..

زنـــاتـــى : زى ما كان بينوح يوم الشنق وينف فى كمه ويتشحتف.. شفتك أنا يا فهمى ساعتها هناك..

مـحـفـوظ : بتدافع عنه كمان يا زناتى..

زنـــاتـــى : أنا بحكى اللى أنا شفته وانت ماشفتوش..

عـــيـــسى : صبرك علشان تفهم يابو محفوظ..

يـــوســـف : ده ضلالى طول عمره حتى بعد مامات.. مايخيلش عليكم..

فـــهـــمى : غلبان صدقنى يا يوسف.. صرصار الباشا ينفخ يجرى قصاده.

مـحـفـوظ : طيب ووصلت لإيه..

زنـــاتـــى : (يقفز وسطهم بسرعة وهو يخرج البيضة وتلعب بها ثانية) هنا بقى يا ولاد.. البيضة خرجت م الناحية التانية بايد الحاوى.. بالكم يا ولاد الباشا سلطان اداله بمبه..

فـــهـــمى : وما صدق.. غلطة غلطتها وضربنى بأوسخ نعل..

زنـــاتـــى : (وهو يرتدى الطربوش وعباءة فهمى).

الباشا سلطان الجزار..

(يشخص ممسكًا بسوط).

فهمى يا كلب يا ناكر الخير.. اطلع بره قوام.. ومن الميرى مرفود

(يشخص فهمى) يا سعادة الباشا امشى..

ــ : أنا بدى أشرح لسعادتك بس..

ــ : انجر يا كلب.. أصلك واطى وترجع له.. هاتى القلة يابت.

(يتجشا ويهرش بطنه).

واخد بمبة..

فـــهـــمى : صرصار وضعيف غلبان..

عـــيـــسى : آدى فهمى اللى انتم فتوه..

ســـيـــد : مهما ينوح.. ومهما كان اللى حصل..

ســـيـــد : برضه جبان..

يـــوســـف : كلب ومجرم .. باعنا..

هلبـــاوى : (الذى خرج من جموده خلال ما سبق) أبدا ..

زنـــاتـــى : (يقفز) مين اتكلم من غير إذن محكمة فوضى.

هلبـــاوى : أنا هلباوى..

زنـــاتـــى : طظ.. لسه ماجاش دورك..

هلبـــاوى : لازم أتكلم..

عـــيـــسى : سيبه يا زناتى عليه الدور..

(يهبط ببطء)

هلبــــاوى : فهمى ده لعبه وبائس وكمان هلباوى اللى طلب رءوسكم.. اللى حصل كان لازم يحصل.. اتكلم فهمى أو ما تكلمش اتكلمت أنا أو ماتكلمتش.. كان ناويين يدونا الدرس..

زهــــــران : بتدافع عن مين.. عن فهمى ولا بتدافع عن نفسك..

الأم : فهمى وهتدافع عنه.. لكن عن نفسك هتقول إيه.. مجرم أكبر بيه متعلم.. يمكن حافظ كلام الله.

هلبــــاوى : حافظه.. واصلى كمان فلاح..

المجـمـوعـة : فلاح..

زنــــاتــــى : البيه فلاح ياولاد.. يعنى مسكت الفاس وعزقت.. قعدت على الجسر وفرشت المنديل وأكلت المش مع الجلاوين..

هلبــــاوى : أبويا كان فلاح والفاس ف ايده وماحيلتوش غير قيراطين..

زنــــاتــــى : (يدور حوله) فلاح بيه.. بيه فلاح.. تيجى إزاى دية ياولاد؟ ماتلخبطش المحكمة قل لى.. فلاح انت وبيه إزاى..

هلبــــاوى : مشكلتى هنا.. وعشان كده اسمعوا لكلامى.

ســـيـــد : تسمع إيه تانى ما سمعنا هناك..

يــوســف : سمعنا يوميها اللى يكفينا..

عـــيـــسى : اسمعوا لكلامه وللآخر ياولاد..

زنــــاتــــى : ماشى بس الأول بقى يابا عيسى.. البيه الفلاح دوه قبل ما نسمع له.. نسمع لكلامه وقتها قدام الخواجات وهوه بيطلب رقابيكم (يصيح) محكمة ياولاد..

(زناتى يجرى ويرتدى الطربوش).

زنــــاتــــى : يا محكمة.. هلباوى بيه راح يتكلم واسمعى لكلامه كويس واستعبرى خالص..

(زناتى يضع روب المحاماه)

زنــــاتــــى : حضرات الباشوات الخواجات الأصل.. أنا والله مكسوف خالص وف نص هدومى أقولكوا إيه.. إذا كان العالم دى لمامة وفضحونا

معاكم أخص وألفين أخص واخيه.. إيه بس.. ايه بس.. ده كمان إكرام الضيف واجب.. واحنا مشهور عنا الإكرام يا أوادم.. ناس جايه تزوركم.. هاويين حلوين زى القشطة هيلموا شوية وز على شوية همامات ويولعوا شعليلة فى الجرن تدفيهم همه كده بيسقعوا فى الصيف ويطخوا لهم ثلاثة أربعة ع الماشى حصل إيه خربت مالطة.. اخص عليكو وألفين اخص.. ياباى عليكو ياباى.. اعمل إيه أنا دلوقت.. أودى وشى فين أنا والبهوات والباشوات اعمل إيه.. يا محكمة.. يا محكمة ثلاثة بالله العظيم وعليه الطلاق بالثلاثة إن ماكنت يا محكمة الخواجات المخبوصة.. تديهم أجدع إعدام لأكون مموت نفسى الوقت وهنا حالا والسلام على الخواجات وكل من يغوى الهمامات.

محفوظ : وادينا سمعنالك..

سيد ويوسف: إعدام.. إعدام.. إعدام

محفوظ : مش ده كلامك..

زهران : بس التانى كان مغلى بمية نار.

هلباوى : مش جى أدافع عن نفسى..

زهران : هتدافع عن إيه.. ده كأننا بينا وبينك تار.

زناتى : (يشرح التشخيص) ايوه.. بينى وبينكم تار بالذات الواد ده.. (يشير لزهران) مجرم.. وحرامى قرارى بأمارة مالقيتم عنده بقرة ماهيش ليه.. عند القبض عليه..

فهمى : كنت آنى.. آنى..

الأم : جى دلوقت تقولها..

زناتى : (مستمر مشيرا ليوسف) الواد ده.. دايما متشرد انت ياواد متشرد ولا مانتش..

يوسف : ايوه.. غلبى كان التهمة يابيه..

محفوظ : والشيخوخة كانت كافية لاجل ما تطلب لى الإعدام..

زناتـــى : (يشخص هلباوى) شايب عايب ورضى.. هيجت الخلق عليهم يا عجوز ويا الواد اللص دهه..

سـيـد : (كانما سينقض على هلباوى) آه لو بعد الموت موت تانى.

عـيـسـى : صبرك وماتتخطاش.. صبركو ياولاد محسوبة.. كل شىء بحساب.

زهـران : وخد الحساب.. وصلت لإيه..

سـيـد : رقابينا تمنها كان إيه.. باشا..؟

هلبـاوى : (يصيح) تمنها الندم المر.

فـهـمـى : الندم المر.

هلبـاوى : تمنها العار اللى ماتغسله كل بحور العالم..

الأم : طب ليه يابيه..

عـيـسـى : أنا أقول لكو ليه (صمت) كان فيه سوسة بتنخر جواه وسط ما كان يقف فى شبابه ويلعن الاستعمار.. كان بيقول بحماس وحقيقى.

زناتـــى : (يشخص هلباوى) يا إنجليز اسمعوا وادخلوا فى الجحر قوام هلباوى المتعلم ومفتح يسألكم خدوا بالكم.. انتو بقى بتضحكوا على مين.. عايزين آل العالم دية تبقى أوادم تتمد مد.. كهريا وأزايز بنطلونات خواجات وحاجات.. على مين يابا على مين.. انتم حرامية أونطجية وبلطجية جايين تسرقوا عرق الفلاح انجر بعيد يا خواجة انت وهوه.. البر ده لولاده وللفلاح لاح.. لاح (يصفق) تسئيف تسئيف.

هلبـاوى : قلت كتير.. ولعنت الاستعمار من قلبى.. لكن زى ماقال الشيخ كان فيه سوسة بتنخر جوايه.

عـيـسـى : ظهرت لما بقيت بيه..

هلبـاوى : القوة بتاعهم كانت بتزغلل عينى وفى لحظة قلت القوة هيه اللى بتحكم وإنجلترا فى العالم هيه القوة.

إنجليزى ٢.١: (بآلية) إنجلترا عظمى لا تغرب عنها الشمس..

هلبـاوى : قدر مش ممكن يتغير.. وأنا وقتها بيه.. والسكة قصادى..

زنـــاتــــى : والبيضة تطلع كتكوت.. والبيه.. لازم يوصل باشا..

فــــهـــمى : والباشا.. كان جنى قصادى بخمسين ايد.. جنى وسحرنى بسلطانه.. باشا.. اسم يجن ويرعب..

زهــــــران : ودخلت فى عبه.. زى ما دخل البيه عب الخواجات.

فــــهـــمى : (وهو يتراجع إلى مكانه ببطء ليتجمد وهلباوى يدور) باشا.. اسم يجن ويرعب..

زهــــــران : (متابعًا فهمى فى دخوله.. وهلباوى فى دورانه) سلمتم رقابينا.

فــــهـــمى : .. اسم يجن ومرعب..

زهــــــران : دستم على الناس والأرض والدم اللى بيجمعنا.

فــــهـــمى : اسم يجن ويرعب..

(يكون قد تجمد ثانية)

زنـــاتــــى : علشان الفولة..

إنجليزى ١، ٢: لا تغرب عنها الشمس..

هلبــــاوى : لكن ما أخدت ثمن.. غير الندم المر والرعب من العار يقابلنى يوماتى فى كل خطوة.. ف كل مكان يطاردنى.. يطاردنى..

(زناتى يشخص هلباوى فى مطاردة مع وحش وهمى)..

ادونى الفرصة.. أكفر.. قلت ماحدش يسمع.. حاولت بكل طريقة مريت على كل الناس.

زنـــاتــــى : (وهو يمر على الشخصيات مشخصًا هلباوى.. وهلباوى يستمر مرددًا خلفه).. مريت على كل الناس..

زنـــاتــــى : أنا هلباوى الندل..

ــــ : عيل وعملها.. سامحوه ياحبايب..

ــــ : أيتها قضية بدون أتعاب ولا حتى سيجارة..

ــــ : أى ابن بلد فيكم له وقفة مع الخواجات راح أخش بصدرى معاه.

ــــ : أى ابن بلد مظلوم أو تايه حقه أنا سداد والله معاه.

ــــ : حنوا عليه وردوا .. ردوا عليه..

هلبـــــاوى : (وهو يتـراجع بطيئـاً إلى مكانه ليتـجمـد) اللى انكسـر انكسـر ونزلت التربة وشـايل لعنتهم.. نزلت وشـايل لعنتهم نزلت وشـايل لعنتهم.. (يتجمد).

زنـــاتـــى : (يقفز بالبيضة) زى البيضة فى ايد الحاوى ياولاد.. تتحط هنا.. تخرج م الناحية الثانية والكتكوت جوه العلبة.. يطلع مش كتكوت..

عـــيـــسى : فهمى الندل.. طلع غلبـان.. والبيه هلبـاوى وطلع ندمـان.. ارتحت شوية يا زهران..

زهـــــران : أبدا مـارتحتش.. الصورة ملخبطة لسه ياشيخ عيسى مش عـايز اتشفى فى فهمى وهلبـاوى.. أنا عـايز أفهم كـان إيه أخرتهـا.. كـان إيه تمنه ده كله.. !؟

مـحـفـوظ : (بسخرية) فهمى طلع غلبـان والبيه هلبـاوى ندمـان والخواجـات كـان فى الأول والآخـر ناويين عـلى مـوتنـا.. لأجل مـا مـصـر تكن وتتأدب وتاخد الدرس.. لكن موتنا كان إيه تمنه..

عـــيـــسى : ماتتعجلش.. فى ملكوت الله.. الواسع كل شئ بحساب.

الأم : طب قول لى ياشيخ عيسى.. ندمهم يعمل ايه لضيـاع زهـران منى وموت الكلمة الحق معاه..

نــرجــس : ندمهم إيه يعمل مع حلم الطيب يوسف اللى اتاوى معاه ولا شفش الضى.

ســـيـــد : ندمهم إيه يعمل لعيالى.. ولعيالك يابا. اللى فارقناهم أيتام..

إنجليزى ٢.١: (بصوت مباغت وبنفس الألية).. أيتام إيه.. حق ده إيه مين يتكلم.. ده كلام فارغ.. سميحة بازازة وعزيزة بازازة وطظ.

زنـــاتـــى : إيه ده.. إيه اللى حصل فى المحكمة دوه.. الخواجـات اتهبلوا انتو بتتكلموا من غير إذن وبالفلاحى كمان..

إنجليزى ٢.١: اسكت ياولد.. اسكت يـاولد لما أسـيـاد العـالم يتكلمـوا تسكت خالص.

(يهبطون على موسيقى القرب إذ تم الاكتفاء بخيال المآتة يتم تحريكه على صوت الموسيقى).

عـــيـــســى : أسياد العالم.. من هنا راح نعرف أخرتها لعبهم يا زناتى..

زنـــاتـــى : (يقفز فى الوسط) وآدى الخـواجـات.. عـزيزة بازازة وسـمـيحـة بازازة.. الحاوى لعبته جامدة قوى ياولاد وياهم.. واللى عرفته مع الشيخ عيسى يجن..

إنجليزى ١،٢: اسكت يا ولد..

زنـــاتـــى : اسكت انت.. وسمع هس.. كله يسمع للخواجات.

(اغنية الخواجات عن بريطانيا العظمى لا تغرب عنها الشمس)..

زنـــاتـــى : (مع نهاية الأغنية) قال الراوى ياولاد.. لما زناتى خليفة صرخ فى الغولة وبعزمه.. الغولة ماتخضش.. قادرة وفاجرة قام الزناتى كسر سيفه الحديد.. عيط.. ده كلام سمعته.. وما أعرفشى صلوا على الهادى واسمعوا الخواجات.. آدى اللى طخ وقتل واللى شهد واللى حكم بالموت..

إنجليزى ١،٢: مين يتكلم .. وانتم مين..

زنـــاتـــى : احنا المحكمة يا خواجة اسمع.

انجليزى ١،٢: محكمة ايه ياولد وفين القاضى..

المحكمـــة : اللى شنقتوهم..

إنجليزى ١،٢: مين فيهم.. ده كتير..

زهـــــران : الفلاحين فى دنشواى.. والجرن والمشنقة فى الساحة..

إنجليــزى ١ : مجانين.. مجانين.. بريطانيا العظمى بتتحاكم.. فين المندوب السامى هنا..

عـــيـــســى : احنا فى مملكة الموت يا خواجة.

إنجليــزى ٢ : برضه مملكة الموت تبقى تبعنا كله تبعنا.. فين.. المندوب السامى بتاعنا فى مملكة الموت..

زنـــاتـــى : اتكن انت وهوه وردوا.. الفجر هيطلع..

إنجليزى ١،٢: مجانين.. جرابيع..

المجـمـوعـة : انطقوا ردوا..

زهـــــــران : مافضلش إلا أنتم قدامنا لازم نفهم منكم شيء مش ممكن نيجى ونتعذب تانى.. لازم أفهم.. أو بعد الموت ده أتجن.

المجـمـوعـة : ردوا ..

إنجليزى ١،٢: عايزين إيه الجرابيع.

زنــاتـــى : (يقفز) أنا أقولك يا خواجة انت وهمه وخدوا بالكم.. انت اسمك إيه الأول..

انجليـــزى ٢: جنرال بوستيك ياولد..

زنــاتـــى : وانت اسمك إيه ياخواجه..

انجليـــزى ١: مستر بوند المدهش ياولد..

زنــاتـــى : (يرتدى القبعة) القاضى الغول المستر بوند

.. قال للغول الضابط أبو ستيك.. (يشخص). جنرال أبو ستيك.. مين كان من دول يا حبيبى.. خضك وشخط فيك بعد ما طخيت المضـروبة.. قل على مـهلك ومـاتتـخضش تانـى.. قـول على مـهلك وماتتخضش تانى.. قول..

زهـــــــران : وشاورت عليه وقلت دهه..

الأم : كان هوه.. هوه اللى شاورت عليه..

مـحـفـوظ : والراجل الشايب شفته بيضرب فيك.

إنجليـــزى ٢: بطلوا تهـجـيص (صمت) إيه مـعنى تكون انت أو مـاتكونش كلكو تشبهوا بعض.. كلكو جرابيع..

المجـمـوعـة : كلنا نشبه بعض..

الأم : امال اتعرفت عليهم إزاى..

نـــرجـــس : بأى قلب وأى لسان..

إنجليـــزى ١: كان لازم حد يموت.. محمد ولا سلامة..

زنــاتـــى : (يمر وخلفه إنجليزى ٢) حـادى بادى سيدى مـحـمـد البغـدادى شاله وحطه كله على دى (يتوقف عند زهران).

إنجليـــزى ٢: (لزهران) انت اخـتـرتك علشـان شكلك زى الفلق طولك أزيد م اللازم وكأنك مش خايف قلت أشوفك أما تخاف..

زنـــاتـــى : حادى بادى سيدى محمد البغدادى شاله وحطه كله على دى (تتوقف عند محفوظ).

إنجليــزى ٢ : وانت عشان مش حالق دقنك وكئيب..

زنـــاتـــى : حادى بادى سيدى محمد البغدادى شاله وحطه كله على دى.. (يتوقف عند سيد).

إنجليــزى : وانت ساعتها كان فيه دبانه على وشك وقرفت.. قلت يفور.

زنـــاتـــى : حادى بادى (يتوقف عند يوسف).

إنجليــزى ٢: وانت.. كان شكلك بطال وحزين قلت هيبقى شكله رومانتيكى على المشنقة زى المضروبة جان دارك..

يـــوســـف : مش ممكن..

ســـيـــد : مش معقول..

إنجليــزى ١: أغبيا مجانين.. إيه مش معقول فاكرين إيه.. محكمة بصحيح أنا جيت لكو والحكم فى جيبى متحضر.. والمشنقة قبله بتتحضر.

إنجليــزى ٢: من غير ما اشهد كان ممكن بالقرعة.. لا وكيل عمدة ولاهلباوى ولاحاجة من دى.. جرابيع وفى داهيه وشيل..

زنـــاتـــى : وعزيزه بازازة وشيل..

إنجليــزى ١: انتم والباشوات والقطن بتوعنا كله بتاعنا كله بيسمع ويطاطى..

زنـــاتـــى : وخديجة بازازة وطاطى..

إنجليــزى ٢: والمملكة واسعة وزمانها اتسعت أكثر.. أعداد أعداد.. كله لازم يمشى وبالكرباج ياتبوظ..

زنـــاتـــى : كله يايكلك هم وبوظ..

الأم : والمحكمة والشهود والمحامى والقاضى..؟

نـــرجـــس : والحق ياخواجه..؟

إنجليــزى ٢: كلام.. القوة هيه الحقيقة.. ياجرابيع.. من غيرها ما فى مملكة ولا سيادة..

زنـــاتـــى : وعزيزة بازارة وزوبه بازازة راحت عليك يا خليفة وانكسر سيفك.

الأم : (تدور) شيء يذهب العقل ياولدى كما موت الحيوان رحتم فطيس..

نرجس : (تدور بشكل مقابل) إزاى يايوسف كنت بتدور على الحب فى الدنيا دى يا يوسف؟ ماكانش ممكن لو عشت فيها ألف عام دى غابة ملعونة ما يخطى فيها غير اللئام الديابة..

زهران : (يدور وسطهما) لا ده مش ممكن..

الأم : إزاى يا ولدى بتدور لناسك على الحق فى الدنيا دى يا زهران.

زهران : أبدا ده مش ممكن..

محفوظ : شايف وسامع .. شايف يا زهران الحكاية فضوها سيرة ومش لازم نعود.

عيسى : اوعاكو من اليأس صبركو بالله..

زناتى : لسه فيه شيء تانى عجيب اللعبة لسه فى ايد الحاوى.. هاودونى.

محفوظ : خلاص..

عيسى : إن شفت ما تشوف كل حاجة يابو محفوظ اوعاكو من اليأس.. فيه شيء استتونى..

يوسف : (ينادى وهو يتمطى بقوة) خلونا نرجع بقى كفاية..

زهران : استتوا..

سيد : (يتمطى بدوره فى عنف وهو يهبط إلى الأرض وكأنما سيدخل القبر) اطلع يافجر خلصنا بقى.. نخلص.. كابوس..

زهران : لا.. استتى يا فجر.. ماتطلعش أنا لسه شايف شيء تانى.

محفوظ : (يتمطى بدوره ولكن بهدوء وفى انكماش) ماعدش فيها فضها.. انده على الفجر يا زناتى لأجل نتاوى..

زهران : استتوا لحظة.. استتوا لحظة معايا يابو محفوظ..

(يدور صراع وهمى لاجتذاب الفجر بالتمطى والانكماش من جانب المجموعة.. وبالدفع والدوران بعنف من جانب زهران) استتى يا فجر ماتطلعشى..

سـيـد : سبنا يا زهران خلينا نرتاح بقى..

محفوظ : نرتاح كفايانا..

يوسف : كفايانا نرجع.. ومش لازم نعود..

سيد : اطلع يا فجر..

زهران : استنى يا فجر.. فيه شىء ضرورى..

المجموعة : (ببطء وشهيق) اطلع يا فجر..

زهران : استنى..

المجموعة : اطلع بقى..

زهران : استنى..

المجموعة : اطلع بقى..

إنجليزى ٢،١: (يقهقهان مع استمرار ذلك) الولد اتجن.. مستنى إيه البراءة لو عدتوا تانى.. هيصدر الحكم من تانى ونشنقكم..

الشاب : (الذى يكون قد تحرك من جموده باعلى).. ده اللى مش ممكن وفات.. لأ.. استنى يا فجر (صمت)

زناتى : مش قلت لكم ياولاد لسه.. فيه شىء تانى فى جراب الحاوى عجب والسيف هيرجع للزناتى خليفة.. عارفين من ده..

(تبدأ المجموعة فى استرجاع وضعها الطبيعى ببطء ويهبط الشاب).

عيسى : عارف من ده يا محفوظ..

محفوظ : مين الشاب ده يا عيسى..؟

عيسى : ابن ابنك يابو محفوظ..

محفوظ : ابن ابنى.. ابن سلامة..!؟

(صمت).

إيه اللى جابك ياولدى عالم الأموات وانت لسه صغار.. باشا تانى؟؟..

الشاب : لأ.. لا باشا ولابنه يا جدى جابنى شىء أكبر عذابكو نادانى وجيت بالرد.. جايب ليكو رسالة.

محفوظ : رسالة يا ولدى عشانها يموت رسالة ايه..

الشاب : مكتوبة من بدرى فى عيون زهران وف قلب شيخ عيسى..
(يتقدم من زهران)
زهران.. اتصورتك كده بالضبط عود زان مليان (يحتضنه) اتعذبت يا زهران..

زهران : لا الموت ولا المشنقة ولا الظلمة.. لكن السؤال المر.. ليه..؟؟

الشاب : جايب الرد عليه..

زهران : الرد.. الرد قلت. بيقول الرد سمعتم قلت وكدبتونى.. فيه رد.

الشاب : بسيط.. الرد بسيط.. الدنيا.. ماهيش ثابتة بتتغير.. ولقدام..

إنجليزى ١،٢: مجنون تانى.. مجنون..

الشاب : متم هناك ودولة الخواجات مادة فى كل الأرض وأنا مت يا زهران وهيه بتموت وع الآخر..

إنجليزى ١،٢: مجنون..

الشاب : ارجعوا توا بيتكو وناموا.. واحلموا بالمملكة اللى ما تغرب عنها الشمس..

إنجليزى ١،٢: (وهم يجمدون تدريجيًا) ما تغرب عنها الشمس.. ما تغرب.

الشاب : غربت من بدرى خلاص..

زهران : إزاى..

الشاب : الدم.. وعذابكم ودمى.. كان الثمن..

زهران : الثمن.. تمن العذاب يا يوسف.. تمن العذاب.. والمر والحيرة يابو محفوظ..

زناتى : صدقتوا الأهبل.. ادى لعبة الحاوى.. الغولة ماتت.. موتوا الغولة ياولاد.. الواد يوسف موتها وسيد.. وانى الزناتى.

الشاب : وبقت نكتة وحدوتة مع الحواديت..

هلباوى : (الذى بدا يتحرك ثانية) ماتت..

الشاب : اتشقلبت من تحت لفوق..

هلبـــاوى : خرجوا..

الشـــاب : من كل البر وم الدنيا..

هلبـــاوى : مش ممكن وفيها الباشوات.. أنا عارف ده كويس.

الشـــاب : مين قالك فيها باشوات.. من قبل الغولة ما تموت.. كانوا راحوا وراحت أيامهم..

فـــهـــمى : (تحرك من جموده) الباشا.. الاسم اللى بيرعب ويجن.

الشـــاب : ماعدش خلاص منه..

محفوظ : إزاى.. إيه اللى حصل طوفان..

الشـــاب : أبدا.. انتم واحنا.. دمى ودمك وعذابك.

زهـــران : مافضلش غيرنا ودنشواى ياولاد لساها أهى.. لساها وأبراج الحمام والناس.. وبيوتها والخالع تعالى يامه (ياخد بيدها) شيخ عيسى..

(ياخد بيده.. يتجهون فى مواجهة القرية باعلى) بص معانا بالقلب البصير وافرح ادى هناك دنشواى نايمة وضرورى نومها الوقت غير النوم.. ضرورى ليلها الوقت غير الليل.. من غير كابوس سلطان ولا نبح الكلاب.. ولا رعب من خطوه غريبه تدهس فى حرمتها.. ضرورى شىء تانى..

الأم : مش محتاجة لعذابك تانى يا زهران..

عـيـسى : شايف يا زهران أنا شايف.. شايفكو هناك.. شايف يوسف..

يـوسـف : شايفنى آنى..

(تخفت الإضاءة حولهم بشكل غير محسوس وتدريجيًا لتتضح القرية سلويت تدريجيًا باعلى).

عـيـسى : زيك تمام.. لكن فى ايده الفاس نطق..

نـرجـس : والحلم يابا الشيخ.. الهادى الصغير..

عـيـسى : سامعه بيتنفس هوا بحرى.. سامعين معايا.. الزرع بيتنفس كمان.. الزرع فى أرضك يابو محفوظ..

محفوظ : الزرع فى أرضى..

عيسى : وعارفك.. زى حمام البرج يا سيد ما هو عارفك..

زهران : وزى ما انتو الوقت عارفين ليه.. ليه العذاب والمر والبهتان والمشنقة.. كان فيه ثمن..

زناتى : الله ياولاد.. شفلى كمان والنبى يا شيخ عيسى.. سيف الزناتى فى ايدى ولا مارجعشى..

الشاب : فيه حاجة لسه (صمت) السكة مش سهلة.. أنا مت فى حرب وكسبناها وخسرنا بعدها وكسبنا تانى.. السكة صعبة ومش سهلة والغيلان أشكال.

زهران : عمرها ما تيأس..

الشاب : دى المعجزة.. لساها بتواصل فى سكة الأحلام حلمك يا يوسف

زناتى : وسيد.. نرجس وجدى وأرض تطرح كل يوم زهران..

(يصيح) الفجر ياولاد طلع..

(يستديرون جميعًا إلى الداخل ويكون السلويت قد اتضح وانخفضت الإضاءة بشدة ولاح نور الفجر فى السلويت)

زهران : بيعافر .. وعلى مهله..

الشاب : شوفوه.. والناس هتصحى تطلع على السكة.

زناتى : سبق الحمام.. آدى حمامه صحت..

(تدب الحركة فى السلويت حركة الحياة العادية).

أغنية الختام.. بعيدة.. ثم تشمل الجميع..

(النهاية)

• رابعة العدوية

الفصل الأول

- المسرح مظلم

- إنشاد..

قلــوب العـاشـقـين لهـا عـيـون

تــرى مـــالا يــراه الناظــرون

وألســـنة بســر قــد تنـاجـى

تغـــيب عن الكرام الكاتبـــينا

وأجنحـــة تطيــر بغـيــر ريـش

إلـى مـلـكوت رب العـــــالمينـا

فتسـقيها شـراب الصـدق صـرفا

وتشــرب مـن كـئــوس العـارفـينا

(يضاء أعلى المسرح تدريجياً خلال الإنشاد عن دائرة المنشدين يتوسطهم شيخ..)

(يضاء حول الراوى يمين المقدمة مع قرب انتهاء الإنشاد..)

الـــــراوى: (والإنشاد يخفت).. عن رابعة العدوية هذا الإنشاد والمنشأ فى قصة رابعة العدوية غير مؤكدة..

(صمت قصير).. منشأ غيرمؤكد.. تاريخ غير مؤكد.. أقوال غير أكيدة..

لكنها أسطورة أكيدة أنجبها تاريخ البصرة..

الشـــيخ: (يصيح وسط الإنشاد) سئلت فأجابت.

الـــــراوى: والشيخ يردد عنها الكلمات.. من عشرة أعوام أو ألف والشيخ يردد.. لا يملك أن يفصل ما بين الإسطورة والتاريخ.. لا يسمع أصوات الناس تنادى حول الحلقة تأتى من أنحاء البصرة (يتوافد ممثلون فى المنطقة شبه المظلمة وسط المسرح)

الشـــيخ: سئلت فأجابت..

الممـــثلون: يا شيخ أجبنا..

الشـــيخ: عن المحبة سئلت فأجابت..

الممـــثلون: يا شيخ أجبنا.. بم تتبئنا أحوال العدوية عن أحوال البصرة؟

الشـــيخ: ليس للمحب وحبيبه بين.. وإنما هو نطق عن شوق ووصف عن ذوق..

ممـــثـــل: يا شيخ أجبنا. بم تتبئنا أحوال العدوية عن أحوال البصرة؟

ممـــثـــلة: فالبصرة لا تعرف لغة الأشواق..

الشـــيخ: فمن ذاق عرف.. ومن وصف فما اتصف..

ممـــثـــل: يا شيخ البصرة.. البصرة فى حال بين.. يضرع لله..

ممثلة: البصرة تتصبب عرقًا مما يجرى فى أسواق النخاسين..

ممثل: فى أروقة الدجالين..

ممثل: فى القاعات الذهبية للاهين..

ممثلة: فبم تتبئنا من عانت تلك الأحوال؟

الشيخ: وكيف تصف شيئًا أنت فى حضرته غائب.. وبوجوده ذائب.. وبشهوده ذاهب.. وبصحوك منه ملآن.. وبسرورك منه ولهان..

ممثل: يا شيخ البصرة.. البصرة ملتاعة

ممثلة: يا شيخ البصرة.. البصرة تترنح ليس من النشوة.. لكن من تيه دوار.. تيه عرفته العدوية..

الشيخ: لا شىء إلا دهشة دائمة..

أصوات: يا شيخ..

الشيخ: (فى تصاعد) وحيرة لازمة..

أصوات: يا شيخ..

الشيخ: وقلوب هائمة..

أصوات: يا شيخ..

الشيخ: وأسرار كاتمة..

أصوات: يا شيخ..

الشيخ: وأجساد من السقم غير سالمة..

(تتداخل الأصوات معًا ثم يبتلعها الإنشاد ثانية ويتقدم الراوى)

الراوى: ما من رد.. والشيخ يردد فى وجد والحلقة قائمة لا تنفض.. والناس هنالك تذهب وتجىء.. تتجمع من أنحاء البصرة وترد..

ممثل: رابعة العدوية تملك ما تتبئنا به.. رغم كلامك ياشيخ.. رابعة هى البصرة كانت ذات الوجه المختلط الألوان..

ممثلة: رابعة هى البصرة..

ممثل: رابعة جحيم البصرة..

المجموعة: رابعة هى البصرة.. رابعة هى البصرة.. رابعة هى البصرة..

(يرددون فى خفوت فى الوقت نفسه خفوت الإنشاد يتابع الراوى)

الـــــــــراوى: فلتحك البصرة عنها.. ولتحك رابعة عن البصرة.. والبصرة أنشأها رجل طيب.. لا أذكر اسمه.. من قبل عمر وكانت طفولة البصرة..

طفولة سعيدة.. فى ظل فتوة أيام الإسلام..

وحين بلغت البصرة من العمر مائة.. إذا بها غانية. عجوز معذبة.. بوجهها المختلط الألوان..

تجاورت المساجد والمواخير الغوانى، والزهاد.. الأمراء والشحاذون.. التجار والنخاسون.. التخمة والمجاعة..

ومع المجاعة كانت البداية..

وفى الرابعة من العمر كانت رابعة..

(يضاء حول رابعة شابة فى الوسط إلى أعلى جذع شجرة عار وقرص القمر.. تجلس إلى الداخل..)

والأب إسماعيل الحمال..

يحمل أجولة التجار وعبء بنات أربع.. وصاح مناد.. يا جوعى البصرة.. غلال أمير البصرة.. عند الساحة..

رابعـــــــــة: (تستدير إلى المشاهدين فى نصف استدارة)

الساحة.. الساحة.. كانت كالحشر.. كيوم الحشر..

(رابعة تقف فى تذكر تدور حول جذع)

رابعـــــــــة: أقدام أقدام.. لم أشهد إلا الأقدام..

تتراجع تتقدم تتلاطم.. وصياح الجند مخيف..

ابتعدوا يا أوغاد.. وأنا أمسك جلباب أبى فى رعب..

ما هذا الهول؟

حبات غلال تصرع جوع الجوعى.. كانت حبات غلال..

والأقدام هنالك تتراجع تتقدم تتلاطم.. والطيب يسقط ويداس..

والرأس الطيب فوق الصخرة يرتطم.. يشج.

ويسطر دمه أول لغز (تجلس)

الموت.. بيد صماء حجرية كفؤاد البصرة تلك.. يختطف أبى..

(تستدير إلى الداخل ويظلم ما حولها.. يرتفع الإنشاد ويخفت):

الإنشاد: حبيب غاب عن بصرى وسمعى.. ولكن عن فؤادى ما يغيب..

الراوى: الموت.. تحمله الطفلة أول لغز وتشب..

تنمو مثقلة بالأعوام المرة.. حتى تبلغ حلقتها الثالثة المرة.. والحى المنكمش الأكواخ..

يلفظها يتلقاها كل مساء.. بوجوه لا تعرف غير حديث مر..

(يضاء حول شنن.. ضخم يجلس وهو يهرش بطنه)

شنن: را...بعة؟ امرأة أشبه بالشيطان.. لا يسلم أحد منها حتى شنن المسكين.. أنا.. وأنا لا أؤذى أحدًا لا أتنافس مع لص أو شحاذ فى ذاك الحى.. أجلس فى الظل وأنتظر سليمة.. مع ذلك لا أسلم منها.. ما أن أغفو حتى يوقظنى صوت ولسان كالسوط.. كأنها أميرة.. توزع السباب على الجوارى.. بنت الشحـ.. (يتثاءب) حاذ.. (يغفو.. ويضاء حول حسن الحمال الشاب يحمل جوالا على كتفه..)

حسن: لا يفهمها فى الحى سواى.. خلف شراستها قلب طيب.. خلف جهامتها طفلة.. (يضع الجوال).. أعرفها لكن هى لا تعرف ما أحمله لها.. كم أتمنى أن تسمع لى يوما..

(يضاء حول ام هند تصف صينية حلوى فى ضيق وتمسح يديها فى جلبابها..)

ام هند: أنا لا أعرف والله.. لم لم تذهب أيام الجوع الأولى؟ وكما ذهبت أخواتها فى تيه البصرة.. ثلاثون عامًا لا تعمل شيئًا غير مناكفة الخلق.. ومناكفة الملعونة بنتى هند.. أف.. (تهمس)..

تمضى الأيام وترفض أن تتزوج.. هه.. فلم؟

آه..

كم أخشى أن تغوى هند وتفسدها.. أعرف هذا الصنف الخطر الملعون..

(يضاء حول برقوق يطل برأسه من خلف كالوس باليسار)

برقـــــوق: دينار ذهب حر.. تضربه فوق الحجر يرن.. وأراهن بالرأس الغالى.. تملك.. أن تصبح سيدة لصوص البصرة لو نتعاون..
أخ تملك ساعتها أن تختطف سراويل التجار لكن الرأس عنيد..

(يختفى ويضاء حول الصدفى كأنما يغلق حانوته)

الصـــدفى: لا يسأل عنها غير الصدفى.. تابعت الثمرة .. حتى نضجت نضجًا لا يحتمل التأجيل.. من شعر الرأس وحتى الكعب خلقت كى تغزو دور الأمراء.. جسد فوار.. أرداف رعاشة.. وعيون غزلانية.. ودماء حارة تقهر برد الليل.. تملك أن تغزو البصرة.. كم واتتها الفرصة؟ لكن ترفض نصحى دومًا.. وتفضل أن تبقى عالة.. يتسول هذا الكهل لها وهى هنالك تتسكع فى الظل..

(يضاء حول ابى نعيم المتسول الضرير يتحسس ما حوله بعصاه)

أبو نعـــيم: ما أشقاها.. منذ تكفلت بها بعد وفاة الطيب إسماعيل تتقلب فوق الجمر.. لا تعرف طعمًا للراحة.. كم يشقينى ما تلقى.. كم يشقينى عجزى.. كم يشقينى أن تمضى السنوات بها من دون زواج.. وأنا أنتظر الموت بلحظة فليدركها لطف الله.

(مع تقدم ابى نعيم على رقعة المسرح يضاء حول المجموعة كلها بالحى..)

أبو نعـــيم: (يتابع) والأمر لله.. والملك لله.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

(يندفع برقوق داخلا فى سرعة يحمل جرابًا)

برقـــــوق: مساء الخير يا حى الملوك والملكات والملائكة..

شـــــنن: مساء النحس..

الصـــدفى: جاء لص الدجاج..

برقـــــوق: وما أخبار نعال المصلين المسروقة يا إسكافى؟ (يقفز عند ام هند).. إيه يا أم هند؟

الصـــدفى: كف عن التشهير بى.. وإلا والله أبلغت عنك..

برقـــــوق: إذًا حكمت على نفسك بالحرمان من عطفى هذا المساء..

(يضع جرابه أمام أم هند).. وحصيلة يومى.. لملكة الفقر الجميل.. أم هند..

أم هـــنــد: ابتعد عنى..

بـرقـــوق: لن أطلب أكثر مما تقدرين. فلتنظرى أولا..

أم هـــنــد: لا شأن لى بمسروقاتك يا برقوق قلت..

بـرقـــوق: أهكذا..؟ (يجمع حاجياته) ليس لك فى الطيب نصيب.. (يمد يده بشىء إلى أبى نعيم).. خذ يا أبا نعيم هذا لك ولرابعة.. دون مقابل إغاظة لهم..

أبو نعـيم: أنا يا ولدى لا أستطيع أن (يهم بالجلوس)

بـرقـــوق: أم.. ستفعل مثل البلهاء..

شـــنن: هات.. هات.. يا ولدى.. أراك توشك على البكاء..

بـرقـــوق: (بعد تردد يرمى إليه وهو يضحك..)

هى لك يا شنن.. مع تحياتى لكرشك العظيم.. يا أمير النعاس أنت.. أما أنتم فلعنة الله على أن فكرت ثانية فيكم.. ولكن أين رابعة الجسورة يا أبا نعيم؟

حـــسن: وماذا تريد منها يا برقوق. كلما عدت بمسروقاتك تصر على أن تشرك الجميع فى إثم لا يخص سواك..

بـرقـــوق: إثم.. اسم الله عليك يا حسن.. عم تتحدث يا بنى..؟

أم هـــنــد: دعك منه.. هو لا يعرف شيئًا عن الشرف..

بـرقـــوق: آه.. الشرف.. كيف يجتمع الشرف مع البؤس فى سلة واحدة؟ الشرف فى حالتكم ترف.. ترف لا تحتمله جحوركم الملكية.. على أى شىء تبقون يا أغبياء بعد هذا كله.. لو أنك جئت معى يومًا يا حسن ونظرت إلى التجار هناك فى سوق البصرة

الصـــدفى: (كأنما يعيد فتح حانوته).. كفى لغوًا وأرنى ما معك

بـرقـــوق: هه.. رأيت؟؟ هو يفهم.. الوحيد فيكم الذى لا أطيق رؤية وجهه الجميل..

الصـــدفى: هل تبيع أم لا..؟

برقـــــــوق: (يتجه ليفرد اشياءه امامه) توكلنا على الله.. اظهر دراهمك أولا يالص النعال (تدخل فى اندفاع هند.. وهى فى عمر رابعة.. تخفى شيئاً ورابعة خلفها.. تلحق بها وتوقعها أرضاً..)

رابعـــــــة: تسرقيننى يا بنت أم هند؟.. لست أنا من يسرق يا عنزة..

أم هـــنــد: (تصيح فى هلع) البنت.. أدركوا البنت من تلك المرأة الغولة..

ابو نعـــيم: ماذا يحدث..؟ أهى رابعة؟

برقـــــــوق: (يسرع متدخلا).. ليس هكذا يا بنات.. يا بنات..

هـــنـــد: أنا من وجدت الإناء.. ابعدوها عنى..

أم هـــنــد: (وهى تجرى باحثة عن حجر).. البنت يا كفار..

الصــــدفى: (يجذب رابعة) دعيها يالعينة..

رابعـــــــة: (تدفع بالصدفى بعيداً عنها فى عنف).. ابعد يدك النجسة عنى يا داعر..

أم هـــنــد: (ترفع حجراً تجاه رابعة) والله لأقتلنك..

حـــســـن: احترسى يا رابعة.. (يسرع ممسكاً بام هند) ليس هكذا يا أم.. (تنفلت هند من بين يدى رابعة تاركة لها الإناء)

رابعـــــــة: بل دعها يا حسن..

أم هـــنــد: بدلا من أن تدافع عنها يا حمال.. اضربها.. أو دعنى لأربيها..

رابعـــــــة: دعها لتربينى يا حسن..
هيا يا فارسة البصرة..

هـــنـــد: (محتمية بالصدفى) بل أنا التى سأربيها.. سأربيك يا بنت الشحاذ.. يا عالة

الصــــدفى: (يجذب هند ناحية حانوته) تعالى يا هند ودعيها..

رابعـــــــة: نعم.. تعالى يا هند.. خذها إلى الحانوت يا صدفى إلى الحانوت.

ابونعـــيم: رابعة..

أم هـــنــد: أتسمع يا عجوز.. والله إن لم تفعل شيئًا لسوف أهدم الكوخ على رأسك.

رابعـــــــة: سأدفنك ساعتها تحته يا عجوز النحس..

أم هـــنـــد: ألا من رجل فى الحى يواجه تلك المرأة..؟

الصـــدفى: حقًا..لابد أن يردعها أحد..

بـرقـــوق: لا تشعلها واسكت أنت..

أم هـــنـــد: ماذا بالحانوت يا بنت إسماعيل.. ماذا تعنين؟

رابعـــــة: هه.. إنها تندهش.. هى لا تعرف ما يحدث بين عنزتها الصغيرة.. وهذا التيس..

أبو نعـــيم: كفى يا رابعة.. كفى..

حـــســـن: هذا لا يصح..

رابعـــــة: ماذا يصح وماذا لا يصح فى هذا الحى يا حسن؟

(تلوح بالإناء).. هو إناء وجدته فى الطريق.. إناء لا فائدة منه كحياتكم كلها.. وها هو ذا.. (ترميه بعنف) ما كان ليعنينى.. ولا يعنينى أن أتعارك مع مثل هذه التافهة.. وما يعنينى أن أكشف تفاهتها أو عهرها.. أو غباءكم.. وما يعنينى أن ترونى غولة أو بنت شحاذ.. ما هو إلا جحر ديدان..

أبونعـــيم: كفى يا رابعة.. وامضى.

رابعـــــة: لن أمضى.. حتى تمضى هى وابنتها أولا..

أم هـــنـــد: (وهى تجذب هند هابطة إلى منطقة مظلمة باليسار..)

واللّه لسوف أجعلك سخرية الرائح والغادى.. يا شحاذة وسوف ترين

رابعـــــة: أنت.. أنت يا بائعة الذباب..؟

(يهبط أبو نعيم إلى منطقة باليمين تمثل دائرة تضاء ويظلم باقى المسرح..)

أبونعـــيم: تعالى.. (رابعة تدخل إلى منطقة الضوء فى بطء)

أبونعـــيم: أهذا يرضيك الآن؟

رابعـــــة: (تجلس فى ضيق).. عليهم اللعنة.. ليس هذا بجديد

أبونعـــيم: لا.. طوال عمرى لم أتعرض لإهانة كهذه من أحد فى الحى..

رابعـــــة: كل ما نحن فيه مهانة..

أبونعـــيم: أنت من يثير الشجار دائمًا..

رابعـــــــة: ليس الأمر هو الشجار إنما كل شىء يثير جنونى..

أبونعـــــيم: أبعد كل هذا تدعين امرأة كأم هند تهيننى هكذا أمام الجميع؟

رابعـــــــة: (تنتفض واقفة فى غضب) إهانة إهانة.. أهل بعد التسول مهانة..

(صمت طويل)..

أبونعـــــيم: ماذا قلت..؟

رابعـــــــة: (تجلس مكومة فى عنف) لا أدرى.. ماذا قلت.. لا أدرى هه..

أبونعـــــيم: سامحك الله..

رابعـــــــة: (تهمس فى غليان) سامحك الله..

أبونعـــــيم: سامحك الله..

أبونعـــــيم: هكذا..؟ (صمت) خذى عنى الجراب يا رابعة..

رابعـــــــة: (تقوم وهى تهمس كالهذيان) الجراب.. الجراب.. معلقة حياتى بالجراب..

(تأخذ من كتفه الجراب)

أبونعـــــيم: ماذا تقولين ثانية يا رابعة..؟

رابعـــــــة: لا شىء..

أبونعـــــيم: اسمعى يا بنية..

رابعـــــــة: (تصيح بعنف) لا نصائح.. لم أعد أطيق..

أبونعـــــيم: لم تعودى تطيقين ماذا يا بنت..

رابعـــــــة: يكفينى ثلاثين عاما لأضيق بكل شىء.. الحى ومن الحى.. والجراب ونفسى.. (صمت)

أبونعـــــيم: (مستدير تجاهها) هل كان بوسعى شيئا لم أفعله..؟ هل أسأت إليك فى شىء يا رابعة؟

رابعـــــــة: (تضرب راسها) وهل قلت ذلك.. هل أنا قلت ذلك؟

أبونعـــــيم: إنى مجرد متسول أعرق.

رابعـــــــة: وأعرف.. أن أبى لم يكن ليفضلك.. والجميع.

هنا أشبه بالمتسولين والحياة أشبه بتل للقمامة وغدًا أبشع من اليوم.. ولذا.. فإنى سأجن.. أو أصبح قاتلة..

أبونعيم: (فى تأثر بالغ).. رابعة يا بنيتى.

رابعة: (تجثو عند قدميه).. اغفر لى أيها العجوز.. يا طيب القلب.. اغفر لجاحدة..

(وتجرى إلى أعلى حيث تظلم منطقة أبى نعيم ويضاء الوسط حيث شنن والصدفى وبرقوق.. رابعة تجلس متكومة بعيدة عنهم)

الصدفى: (مخاطبًا شنن) وماذا تريد يا شنن؟

برقوق: دع الرجل فى حاله ياتخين..

شنن: لا.. لابد أن يرفع أحد منا عنه هذا العبء.. ليس لدى مانع من أخذ تلك المرأة..

برقوق: (هامسًا) لعنة الله عليك.. تتزوجها مع سليمة.. لو سمعت لقتلتك

(رابعة ترفع راسها تجاههم..)

شنن: لا إنما أريد أن أعهد إليها بعربتى.. ولها بعض الربح

رابعة: ماذا قلت يا رجل؟

شنن: إننى إنما..

رابعة: ماذا قلت.. لا تخف شيئًا إن كنت شجاعًا قل..

شنن: إنما أريد لك عملا.. تخرجين بعربتى هذه بدلا من تركها.. فارغة هل فكرت.؟

رابعة: هكذا.. يا لك من رجل حنون.. يالك من رجل نتن.. واحدة تمضى تتسول لك.. وأنت جالس كالمصيبة والأخرى تريدها أن تدور لك بالعربة.. يا بارد..؟

شنن: يا بنت الحلال..

برقوق: بل ما تقوله هو الحق يا تخين. سالمة تدور منذ ولدت تتسول لك.. والآن تستدير إلى رابعة.. (يهمس له) أهلكت نفسك..

شنن: وماذا فى ذلك.. أليس ذلك أفضل من أن تعيش عالة على العجوز..

رابعة: وما شأنك أنت يا أيها النطع..؟ هل مددت إليك يدى؟

برقوق: وهل اشتكى إليك أبو نعيم؟

الصــــدفى: الأمر.. واضح.. دون أن يشتكى العجوز.. أكثر من مرة يأتيها زوج صالح.. فتفاجئنا بالرفض.. ما عيب البائع عباس الناغى مثلا؟

رابعــــــة: عباس..؟ ما كان إلا قوادًا مثلك..

الصــــدفى: أهكذا.. قواد.. أنا قواد يا بنت إسماعيل..؟

شــــــن: وماذا عن مصباح الأعرج.. رجل طيب..

رابعــــــة: قراد أبله.. امضى.. اسحب قردة فى وسط الحارات.. كما تمضى تتسول لك سليمة..؟

الصــــدفى: إذًا انتظرى حتى تدركك سن الستين.. فتجدين الزوج المناسب يا أميرة

رابعــــــة: (تستدير إلى شنن).. ساعتها أتزوج هذا العجل..

«ضحك»

الصــــدفى: والله إنها لا تدرى ما هى فيه.. ولا ما سوف تئول إليه حين يموت العجوز

رابعــــــة: (تقف فى تحفز).. ومن فيكم يفكر فيما هو فيه؟
أو فيما سيكون غدًا.. لو فيكم حقًا من فكر ذلك مرة.. لأدركه الجنون..

بـرقـــــوق: (الصدفى) والله إنى لأعرف لماذا تنطق بكل هذا السخف يا لص النعال.

رابعــــــة: دعه. ينطق بما يشاء.. فها أنا على أنفاسكم أعيش.. عالة على أبى نعيم.. نعم.. لكنى أبدًا لن أجعل هذا الكسول السمين يعيش عالة علىَّ.. ولن أدخل حانوتك القذر يا صدفى حتى أحظى بدراهم.. ولن أمر بالحلوى فى الحارات.. والذباب يحط عليها وعلىَّ كأم هند.. وتتسلل أيد قذرة تحت ثيابى فى الطرقات كهند.. لا.. ولن أعمل خادمة لمخلوق أو جارية لعبد.
ماذا.. ماذا بقى إذًا؟ هل فيكم من يشقى حقًا.. من أجل الشيخ المسكين..؟ هل فى هذا العالم من يملكه الحزن لأجل عذاب سواه؟ ماذا تبغون إذًا، أترك ذاك القبر.؟ تلك الأكفان.. إنى أهجرها..

(تجرى صاعدة إلى أعلى)

برقـــــوق: رابعة.. رابعة؟

شـــــن: بنت مجنونة..

برقـــــوق: والله وأنت جبان

(إظلام ويضاء حول رابعة بأعلى جذع الشجرة والقمر.. يضاء حول الراوى بالمقدمة)

الـــــراوى: فى كل صباح يأتى.. تشتعل النيران بداخلها.. وتفر بها لخلاء البصرة.. تجلس ما بين الحدين.. ما بين قصور البصرة.. وجحور البصرة.. ماذا تريد رابعة؟

رابعــــــة: لا أدرى..

الـــــراوى: هل تحلم رابعة بغزو قلاع البصرة؟

رابعــــــة: لا..

الـــــراوى: هل تتهيب؟

رابعــــــة: لا أتهيب.. لكن لا أبغى..

الـــــراوى: ولم؟ حديقة غناء فى الصباح؟ والأنس فى المساء والسمر..؟

رابعــــــة: لا.. لست تافهة..

الـــــراوى: دفء الفراش الوثير.. يحيطه عطر فارس.. وحرير الهند على الجسد الجميل ينسكب

رابعــــــة: ما كنت غانية.. أنا أكبر من أموال البصرة مجتمعة..

الـــــراوى: وإذاً؟

رابعــــــة: لا أفعل إلا ما أبغى..

الـــــراوى: وماذا تبغين؟

رابعــــــة: أنا لا أدرى.. (يستدير إلى الداخل بعنف) أنا لا أدرى..

(يظلم المسرح حولها وتبقى بقعة الراوى)

الـــــراوى: هى لا تدرى..
أغرور أجوف؟

أم هى تعرف حقا وتدارى..؟

أم أن الهدف كبير أكبر من كل الأشياء؟

(يهمس) قد يكون هذا.. قد يكون.. قد تبغى رابعة العدوية أن تكون.. لا أن تعيش.. والفارق فى تلك الحالة فادح.. كالفارق بين الزهرة والصخرة.. كالفارق بين العالم قبل الخلق وبعده.. وربما كالفارق بين رابعة وهند..

(يظلم حوله ويضاء حول هند وأم هند تلوى ذراعها فى عنف..)

أم هـنـد: أفهمت.. عليك اللعنة.. فلتبعدى عن هذا الإسكافى الكلب.. ابتعدى عنه تمامًا..

هـنـد: وإذًا.. فأنت تصدقين كلام المجنونة.. بنت الشحاذ المجنونة..

أم هـنـد: أصدق؟ فلتسمعى.. يكفينى ما أنا فيه.. مات أبوك وترك لى مصيبتين.. فمك المفتوح وبكارتك الملعونة وهذا عبء.. ما عادت تحتمله عجوز مثلى.

هـنـد: بل قوليها.. ماعدت تريدين هند.. قوليها فأجيبك قوليها..

أم هـنـد: تهددينني يا بنت؟!

هـنـد: لا أهدد.. لكن إن كنت لا تريدينني فإنى.. (صمت)

أم هـنـد: اكملى.. (هند تهمهم) اكملى.. أهو كلام الإسكافى هل أخبرك بأنك بنت حلوة.. وأن بوسع جمالك..

هـنـد: بدون كلام الإسكافى.. فإننى فتية.. جميلة.. وهناك فى كل قصور البصرة.. تلك القصور الكبيرة.. حيث الأمراء وعظماء التجار.. لو أن أحدًا منهم رآنى..

أم هـنـد: (تلطمها وهى تصرخ).. فيم تفكرين يا بنت الكلب؟

هـنـد: (تصيح) ماذا تريدين منى.. أن أظل أسيرة هذا البؤس معك وحتى الموت..؟ أن أبقى أتعارك كل صباح مع بنت الشحاذ حتى ترمينى بعجوز؟ إسكافى لا.. سوف أريها.. سوف أريكم.. (تجرى.. إظلام.. ويضاء حول رابعة بأعلى، تجلس إلى جذع الشجرة ويتقدم من خلفها برفوق..)

برقـــــوق: فيم يفكر الجميل؟

رابعـــــة: (تستدير برأسها إليه). أنت؟

برقـــــوق: أقسم إنى أعرف فيم تفكر.. رابعة المقدامة..

رابعـــــة: فيم؟

برقـــــوق: (يشير بعيدًا تجاه عمق المسرح).. فيما يجرى عند الأضواء هناك.. ذاك البلد المسحور..

رابعـــــة: ذلك تخمين حمار..

برقـــــوق: حمار..؟ برقوق حمار؟ برقوق ذو القلب اللماح.. والعين اللماحة.. وتقولين حمار.. والله لا سواى يفهمك ويفهم قدرك..

رابعـــــة: ماذا تريد يا برقوق..؟

برقـــــوق: أنهار الخير تفيض هناك.. الأمر سهل.. أمد يدى فى أى جيب فتعود مثقلة بالخيرات..

رابعـــــة: تعنى (تشير بيدها معبرة عن براعته فى السرقة..)

برقـــــوق: (مهونًا) هو ذاك..

رابعـــــة: أمهلنى حتى الغد..

برقـــــوق: (فرحا) أهكذا؟

رابعـــــة: (تكمل) حتى أسأل فى الأمر كبير الشرطة..

برقـــــوق: ورحمة أمى ليس الأمر عسيرًا.. لا تحتاجين لأكثر من يوم.. يوم واحد.. وهناك تشهدين براعة برقوق الطيب.. وبعينيك الثاقبتين تلتقطين اللعبة..

رابعـــــة: خذ عنزة بائعة الحلوى.. هند

برقـــــوق: غبية.. لا تصلح لشىء.. عدا زوج تيس..

رابعـــــة: إذًا كف.. لست بلصة..

برقـــــوق: وهل تلك لصوصية (يجلس عند قدميها)

حين أمد يدى فى جيب أحد التجار وآخذ دينارًا فماذا يحدث؟ إننى فى تلك الحالة أمنعه من ارتكاب آثام كبيرة.. فهو إما أن

يشـرب كـأسـا من خـمـر.. وهـذا يغـضب الله.. أو أن يدفـع به إلى غانية.. وهذا حـرام.. أو يشـترى بالدينار مـا يبيعـه بعشـرة دنانيـر وكلهـا آثام وجـرائم.. أمـا الدينار فى يدى فـهو قنديل يضـىء ليلة كاملة لحينا المسكين يا رابعة..

رابعـــــــة: هل أنت لص.. أم شيخ مسجد يا أفاق؟ أو لا تسرق غيـر التجـار يا مخادع..؟

بـرقــــــوق: لم أزعم ذلك.. (يعدد).. التجـار.. والأمراء.. ومتـعتى الكبـرى حين يسقط لى نخاس.. أما أن..

رابعـــــــة: (فى ضيق مفاجئ).. برقوق.. امض الآن ودعنى..

(صمت.. برقوق يقف).

بـرقــــــوق: يا رابعـة.. أعـرف قـدر شـقـائك لعنـاء الشـيـخ المسكين.. لكن لا مخرج.. هل عندك مخـرج..؟ إن كان فقولى لكنى أعرف .. عقلك أكبـر من أن يقبل ما يقبله البؤساء هنالك فـى الحى البائس قلبك أكبـر من أن يخـضع ويسلم.. ترمين لشـىء جـاسـر.. شـىء يصـرخ فى وجه الشمس.. يدفع بقوة فى أوصـال حياتك.. ولذا فاستمعى لى..

(يظهر حسن)

حـــــــسن: دعها وشأنها يا برقوق..

بـرقــــــوق: مَنْ؟ حسن..؟ أهـلا..

حـــــــسن: كف عما تنوى.. تسعى لغوايتها للسرقة..أعرف..

رابعـــــــة: وهل ترانى قصيرة اليد.. أو اللسان.. لم أطلب أن تحمينى يا حسن

بـرقــــــوق: آه.. هى التى قالت..

رابعـــــــة: وأيضًا قلت بأن تمضى يا برقوق..

بـرقــــــوق: (يقف لينصرف) طيب.. هذا شـأنكم يا أهل الحى.. تعشقون الفقـر كحبة العين.. ومع ذلك فكرى فيما يقوله أخوك برقوق يا رابعة..

(ينصرف)

(رابعة تدير ظهرها لحسن الذى يهم بالانصراف ثم يستدير إليها)

حســـــن: رابعة..

رابعـــــة: ماذا تريد أنت أيضًا يا حسن؟

حســـــن: يا رابعة.. إننى.. (يجلس بعد فى ارتباك)..

رابعـــــة: إننى.. ماذا.. أفصح دون الخجل العذرى بالله عليك.. ماذا.. تريد من رابعة؟ ماذا فعلت بك أيضًا رابعة الملعونة هل عضتك أنت كذلك تلك الكلبة؟

حســـــن: أريدك يا رابعة..

رابعـــــة: (تستدير إليه ببطء) ماذا قلت يا حسن؟

حســـــن: تتزوجيننى يا رابعة؟

رابعـــــة: أتزوجك؟ (صمت).. هكذا.. اسمع يابنى.. لا حاجة لى بذلك.. كما إننى لست امرأة..

حســـــن: ماذا؟

رابعـــــة: ما أنا إلا غولة..

ألا تخشى على نفسك؟

حســـــن: لا.. لا.. أنت مخلوقة بديعة.. فتاة حلوة يا رابعة..

رابعـــــة: حلوة.. كحلوى أم هند يحط عليها الذباب الجميل كما يقول برقوق.. أتريد لنفسك المرض..؟

حســـــن: بل أريد لك القوت والستر..

رابعـــــة: القوت والستر.. (صمت) ماذا تفعل؟

حســـــن: (يحملق فى دهشة) تعرفين .. حمالا يا رابعة..

رابعـــــة: حمالا.. منذ زمن.. كان هناك حمال آخر أعرفه.. اسمه إسماعيل..

حســـــن: أبوك؟

رابعـــــة: ولأجل حفنة غلال مات..

حســـــن: كان زمن مجاعة..

رابعـــــة: وما اسم هذا الزمن يا حسن؟ من يدرى متى تأتى المجاعة ومتى

تنقشع.. ثم ما شأننا بالمجاعة حين تأتى أو تذهب.. أليست حياتنا مجاعة متصلة.. جوع إلى أن نولد من جديد.. من جديد.. من جديد.. ولكن هذا صعب لأن أمى ماتت ولن تفعلها ثانية.

حســـــن: يارابعة.. إنما أخاف عليك.. لا عمل لك وأبوك نعيم تقدمت به السن إلى أقصاها..

رابعـــــة: وفى لحظة يموت.. أعرف.

بـرقـــوق: إذًا ماذا تنتظرين؟

رابعـــــة: (تنتفض واقفة) ساعتها أيضًا لن أتزوجك..

(تندفع إلى وسط المسرح حيث يضاء حولها فقط)

رابعـــــة: الكل يشير إلى موتك يا أبا نعيم.. ويلى أحمل حطامًا وأركن إلى حطام.. وحطام آخر يدعونى لنكرر بؤس أبى..

(تجلس منكمشة ويضاء يسار المقدمة حول ابى نعيم يسقط امام الصدفى)

الصـــدفى: (مسرعا إليه) ماذا بك يا أبا نعيم؟

أبونعـــيم: لا شىء.. ضعف يزول..

الصـــدفى: بل هى تلك الملعونة.. أورثتك الهم..

(يدخل برقوق الدائرة حسن الذى يبدو كأنما يخاطب نفسه)

حســـــن: (يخاطب نفسه) لكن لم تهزأ بى؟ وتخاطبنى وكأنى طفل أو أبله.. (يهمس) ألأنى حين أراها وأواجهها أتضاءل وأذوب؟ ألأنى حين أراها أشعر بالذل..؟ (صمت) الذل.. لم؟ لم أشعر حقًا بالذل..؟ ألأنى لا أملك أن أصنع حلمًا ما..؟ ألأنى لا أملك أن أدفع عنها كف الحرمان.. الفقر هو.. الفقر.. لكن يكفى أنى أملك أن أطعمها حيث القوت شحيح فى هذا الحى.. بل أملك أكثر من هذا.. أملك قلبا يدفئها دوما من برد الفقر.. قلبًا يمتلئ بها فى الصحو وفى الأحلام (يصرخ) ماذا بى.. وبماذا تبرق عيناها دوما.. أترانى أحقر شأنا من أن أفهم؟ بل أنى أفهم.. هى ترفض فقرى وهوانى .. تحلم بقصور البصرة.. تبغى فحلا كالرمة منتفخا

بالكبر وبالمال.. وأنا عاجز دون الكبر ودون المال.. فيالهوانى.. يالبشاعة هذا الفقر.. الفقر.. لعين وحش.. بل كل العالم هذا وحش.. وحش ينهشنى.. (يقتحم عليه دائرة الضوء برقوق)

برقــــوق: هدئ من روعك يا فتاى.. أتراك تجن بسبب البنت..؟

حســـن: (وقد استدار إليه فى فزع) .. إليك بعيدًا عنى يا هذا..

برقــــوق: ماذا هناك يا حسن..؟ اهدأ قليلا يا بنى..

حســـن: (يدفعه) دعنى قد قلت.. فإنك تكرهنى مثل الدنيا الملعونة..

برقــــوق: (بعد صمت) لا وكتاب اللّه.. برقوق يحبك..

حســـن: (منكمشا) لا.. لا أحد هنالك يهتم بأمرى..

(يصرخ) لا أحد..

برقــــوق: (يندفع ممسكًا بذراعه فى انفعال) لم تصرخ كالمجنون.. ماذا يضنيك.. أجبنى يا أبله.. أن تتزوج تلك الجنية؟ اطرح ذلك من رأسك حتى تسلم.. اطرحه تمامًا..

حســـن: (يستدير إليه فى حدة وألم) ولم؟

(صمت) (يحملق حسن بانفعال فى برقوق ثم ينفجر)

حســـن: ماذا تريد أن تقول أنت أيضًا يا لص.. ماذا يعنينى.. أنا أفضل منك.. ومن غيرك.. وسأطلبها.. أتزوجها رغمًا عنك ورغمًا عنها.. ولتفصح إن كنت تعرف.. أى عيب أو أى عار.. أى عيب فىَّ أو أى عار؟

(ينفجر باكيًا)

برقــــوق: (بعد صمت) ليس فيك ما يعيب يا حسن.. أفضل من كل الناس هنا بالحى.. بل أقسم لك إنك أفضل من كل رجال البصرة والأمراء.. بل لا يعدل ذهب البصرة مجتمعًا.. وغلال التجار وأموال التجار.. ركنًا فى قلبك يا حمال.. تملك قلبًا يا قوته.. وبحار حنان.. عف وصبور.. ولد طيب يا حمال.. لكنك أطيب مما هو مطلوب أرق كثيرًا من أن تتحمل وهج الشمس القاسى مثل النار بأفق البصرة.. ولذا دعنى أنصحك..

حســـــــن: ما عدت أرى أو أفهم..

برقـــــوق: بل محتوم أن تفهم.. دعك تمامًا من رابعة ودعها.. إن بداخلها عفريتًا..

حســـــن: (فى إعياء يجعله كأبله) عفريت؟

برقـــــوق: نار.. يمكن أن تحرقك تمامًا.. وعليك بهند.. رغم تفاهتها أسلم..

حســـــن: (كمن يفيق ملدغًا يصرخ) بل لا.. لا..

أم هـــنـــد: (يضاء حولها تصيح فى هلع) البنت فرت. البنت فرت يا أهل الحى بنت إسماعيل هى السبب.. ضيعت البنت.. الملعونة ضيعت البنت..

(إظلام حول الجميع ويضاء حول الراوى بالمقدمة)

الــــــراوى: فرت هند.. كانت أسرع من رابعة.. إلى ما تبغى.. كانت تعرف أى طريق ذهبت تقتحم البصرة.. واقتحمتها..

(ترتفع موسيقى وترية راقصة)

لا أكثر من أعوام معدودة..

وتفجر فى كفيها الحلم كما شاءت..

مرت تلك الأعوام ورابعة كما كانت..

تجتر مرارتها.. لا تعرف غير ثمار السخط..

لا تعرف ماذا تبغى..

لا تعرف ماذا بعد..

مرت تلك الأعوام..

وعادت هند..

حلم يتحقق

حلم فى هودج..

أضواء الحرير..

(يكون قد أضىء تدريجيًا حول هند بأعلى فى شكل جديد، ملابس من الحرير.. وحلى وزينة.. ينسحب الراوى ويضاء حول الآخرين على نفس النحو السابق.. فيما عدا حسن..)

رابعـــــة: (فى الوسط وقد استدارت نحو هند تهمس)
أأنت هند؟
هـــنـــد: مثلما أنت رابعة..
أم هـــنـــد: (تهمس من مكانها) ما هذا.. يا بنت؟
هـــنـــد: ما ترين ياأمى..
أم هـــنـــد: (تصيح) ملعونة أمك وأبوك.. أجيبى.. ماذا أشهد؟
هـــنـــد: خرجت من القبر..
أم هـــنـــد: (تحدق بها فى صمت) وإلى أين؟
هـــنـــد: إلى قصر منيف.. أجمل قصور البصرة.. يضج بالنور والنعمة..
بـرقـــوق: (فى سخرية) البنت وصلت..
الصـــدفى: والله.. والله قد قلتها.. قلت إنها ستصل..
أم هـــنـــد: (تصرخ فيه) اسكت..
أبو نعـــيم: لا حول ولا قوة إلا بالله..
أم هـــنـــد: وكيف ذهبت إلى تلك النعمة..؟
هـــنـــد: هل هذا يهم؟
أم هـــنـــد: كنت فى السوق؟
هـــنـــد: نعم..
أم هـــنـــد: ونادى الدلال؟
هـــنـــد: كفى يا أمى..
أم هـــنـــد: وقبض النخاس؟
هـــنـــد: كفى أيتها المرأة المجنونة..
أم هـــنـــد: باعوك.. باعوك.. يا بنت أم هند؟
الصـــدفى: لم تبكين يا امرأة.. ألا ترين؟ جاءتك الهدايا.. الهودج هنالك مثقل بالهدايا.. وغداً تغرقك فى النعمة..
أم هـــنـــد: (وهى تجرى خارجة) ضاعت.. البنت ضاعت..
هـــنـــد: (تصرخ فى هستيرية فى اتجاه أمها التى اختفت)..

ماذا كنت تريدين أيتها العجوز؟ أن أبقى فى ذلك الجحر اللعين أبقى فى حى الفئران.. تلك الأركان القذرة. والأسمال.. ها قد شمت الكل وفرحوا لصياحك.. شمت الفئران أيتها العجوز النحس.. الغبية..

إننى أكرهك..

رابعـــــة: (تصرخ فيها بغتة) كفى عنها..

(صمت تتوقف هند لاهثة وتستدير إلى رابعة)

رابعـــــة: انصرفى من هنا..

أبونعـــيم: لا شأن لنا بها يا رابعة..

رابعـــــة: قلت انصرفى..

الصـــدفى: ما هذا؟ فى الحى رجال؟

هـــنـــد: بل تسكت أنت..

(صمت.. تتحرك هند صوب رابعة فى هدوء).

هـــنـــد: سأطيع الأمر.. ولكن فلتقبل رابعة هداياى.. قبل ذهابى. كل هداياى.. هناك بالهودج.. لك..

الصـــدفى: ماذا لها؟ كل الهدايا.. ونحن؟

هـــنـــد: كل ما جئت به سيكون لرابعة فحسب..

رابعـــــة: امض بعيدًا بهداياك..

أبو نعـــيم: لا تهزئى بالبنت يا بنية.. سترك الله..

هـــنـــد: لست أهزأ يا عجوز.. تلك الهدايا لها..

برقـــوق: ولم إن شاء الله؟

هـــنـــد: رفيقة الطفولة والشباب.. أليس كذلك وأنا اخترت.. سأمنحها إياها.. فى القصر لدى كثير منها.. مائتا صندوق أما قصرى ففى حجم الحى جميعه.. وأنا سيدته.. أنا سيدته.. ولدى جوار وعبيد..

برقـــوق: سبحان العاطى.. أزوجة لأمير البصرة أنت.. إذًا أم زوجة شيخ التجار..؟

هـــنـــد: أميرة قصر يا لص.. والكل يأتمر بأمرى..

بـرقـــوق: وعند أقدامك يركعون؟

هـــنـــد: وإن شئت أشرت بأصبعى فيزج بك فى السجن..

بـرقـــوق: تقصدين لو أشرت بساقك يا هند؟

الصـــدفى: كفى يا عديم الحياء.. ودعك منه.. رعاك الله وزادك..

(يدفع رابعة) أسرعى يا رابعة وخذى.. الهدايا.. هند طيبة القلب..

ألم أقل..؟

رابعـــة: كف عن منظر الكلب يا إسكافى.. ودعنى.. (صمت)

هـــنـــد: ألا تريدين؟

رابعـــة: قلت امضى.. وكفى عن عبثك..

الصـــدفى: إذًا دعى الهدايا لنا.. دعك منها..

هـــنـــد: لا.. إن قبلتها.. كان لكل الحى نصيب فيما بعد.. أما إن رفضت؟

الصـــدفى: (يحاول دفع رابعة تجاه هند..) لا.. لا.. لا.. سوف توافق.. هيا..

هيا.. لست بسوداء القلب (يهمس) لا تضيعينا يا بنت إسماعيل..

رابعـــة: (تدفعه بعنف) ابتعد عنى.. (ثم تتجه إلى هند)

لن أمكنك من هذا يا بنت أم هند.. مازلت أرى الأسمال داخلك

مازالت المذعورة بين الأقدام..

ماذا حققت إذًا لتباهى.. غير العار..؟

هـــنـــد: صعدت.. صعدت هناك.

رابعـــة: لحم فى السوق

هـــنـــد: (تعد شالها) هذا شالى من صنع الهند خذيه..

رابعـــة: حيوان يستدفئ بالأقذار..

هـــنـــد: (تمد لها نعلها) هذا نعلى الذهبى..

رابعـــة (ترمى بالشال والنعل فى وجهها).. ردى أسمالك عنى..

هـــنـــد: (فى شراسة).. هى ليست لك.. ولست لها يا بنت الشحاذ فما خلقت

لهذا.. شأن الكل هنا.. ستبقين هنا حتى تدركك الشيخوخة.. لكن

لا.. أنا ما خلقت لهذا.. لم أخلق للإسكافى.. لم أخلق لكى يخطبنى حمال.. لم أخلق كى أصبح عالة يحملها شيخ متسول..

رابعـــــــة: (تصيح وهى تجرى) سترين يا جارية..

(تجرى رابعة لتصعد عند جذع الشجرة.. ويظلم حول الجميع..)

رابعـــــــة: تكذب تلك الجارية الملعونة.. تكذب.. أما ما خلقت لهذا.. ما خلقت.. لا.. (تدور حول جذع الشجرة فى انفعال..) آه للقذرة.. لو أن لى عينيها الفارغتين.. لعرفت طريقى للبصرة منذ زمن.. لو أن لى قلبا أجوف.. أو شبق الحيوانات لعرفت طريقى للبصرة..

(يتحشرج صوتها وتهمد حركتها) لو أنى لم أعرف منذ الرابعة الألغاز.. وسؤال مر لا ينفك يطاردنى عن هذا الموت ينتزع عزائى الأوحد.. هذا الوجه الطيب حيث اغتالته البصرة فى يوم الجوع.. لو غادر رأسى هذا اليوم. لعرفت طريق البصرة.. وأى طريق للبصرة؟ أى طريق.. والعالم يبدو فى وجه البصرة ذى وجهين.. قاسيًا وغريبًا.. لو أنى آه لم أعرف.. آه..

(مع آهة طويلة تستدير تجاه القمر).. يا أيها القمر.. يا من تطل دونما عذاب لا تبالى لم لا تغرقنى فى ضوئك هذا البارد حتى الموت.. كى يهمد هذا اللهب الحارق فى جوفى.. يطفئه برد الموت.. هلا ترد..؟

يا أيها القمر أجب.. أو مد لى من الجنون معبرًا.. يطير بالرأس المعذب فى الظلام..

الـــــــراوى: هل ينطق القمر..

قد ينطق القمر..

وقد يمد فِجأة جسرًا..

يمر عبره حلم نبيل..

(صوت ركض جواد فى الظلام.. ثم يظهر فى عمق المسرح كحلم بهاء الدين يتقدم نحوها فى بطء، ولكن جو الحلم سرعان ما ينكسر حين يظهر رجلان

فى ملمح اللصوص من اليمين واليسار يطبقان على بهاء الدين.. يشرع سيفه فيطيح أحدهما بقدمه بالسيف عند قدمى رابعة لترمى إليه بسيفه فيستدير به فى مواجهة الرجلين اللذين يفران فى اضطراب.. يحدق فى اتجاههما حتى يختفيا.. ثم يتقدم فى بطء نحو رابعة يقف فى مواجهتها صامتا..)

بهـــــاء: ما اسمك؟

رابعـــــة: رابعة..

بهـــــاء: اسم فريد.. (يحملق فيها).. جمال لا يقل عن الشجاعة

رابعـــــة: (تنظر إليه مبهورة ثم تدير وجهها فى هرب).. أسرع خلف حصانك قد تفقده..

بهـــــاء: لا ضرر.. مجرد فرس ضاع..

رابعـــــة: ألا يعنيك..

بهـــــاء: أحيانًا لا يعنينى أن أفقد عمرى نفسه..

رابعـــــة: (رابعة تحملق فيه بدهشة ثم تسأل).. ولم؟..

بهـــــاء: (يجلس على صخرة متأملا إياها..) فى تلك الحالات يتملكنى إحساس بأن حياتى تلك بلا قيمة.. (يتأمل المكان فى صمت ثم يتابع).. أما الليلة فتملكنى إحساس بالضيق والسأم فخرجت بفرسى.. (يضحك).. أصبحت مدينًا لك بحياتى يا رابعة..

رابعـــــة: لست مدينًا لى بشىء فعلت ما فعلت بدافع الفزع..

بهـــــاء: إن لم تكونى جسورة فكيف تخرجين إلى هذا الخلاء وحدك دون خشية الأوغاد..؟

رابعـــــة: لأنى منهم..

بهـــــاء: ماذا؟

رابعـــــة: أسكن حيا.. لا يضم سوى اللصوص والشحاذين..

بهـــــاء: حقًا..؟ (صمت) لكنك تبدين راجحة العقل.. شجاعة.. فى سمتك نبل..

رابعـــــة: أوهل هذا مقصور على أمراء البصرة..؟ أكتب علينا أن نبقى نحن البلهاء الخوافين..

بهــــاء: لم أقصد.. وقد يكون الأمر عكس ما أقول.. تلك البصرة أحوج ما تكون إلى البصيرة.. والشجاعة (صمت).. ماذا يعمل زوجك..؟

رابعـــــة: لا زوج لى.. لم أتزوج.. ولا أريد.. (صمت)

بهــــاء: حقًا.. ليس من السهل أن يحظى بمثلك أى رجل.. وما قصدته بالفعل أنك أجدر بحياة أفضل.. حظ أفضل..

رابعـــــة: كحظك أنت مثلا..؟

بهــــاء: لا.. فى الحقيقة لا.. فى تلك اللحظة أحس بأنك جديرة بكل ما أتمناه لنفسى ولا أجده..

رابعـــــة: أنت؟ وأى شىء يمكن أن يتمناه أمير مثلك ولا يجده فى تلك البصرة.. ؟

بهــــاء: الكثير..

رابعـــــة: وما هذا الكثير؟

بهــــاء: الحياة ذاتها يا رابعة..

رابعـــــة: أنا لا أفهم هذا..

بهــــاء: ربما أقصد الحب والعطاء.. النبل والقناعة..

رابعـــــة: كلمات كبيرة كعمائم التجار..

بهــــاء: ولكن ليس كما يتداولها التجار (صمت).. إننى أتمنى الحب فى حقيقته دون زيف.. النبل فى حقيقته دون ادعاء.. العطاء فى حقيقته دون رخيص.. ثراء النفس وامتلاؤها دون بلادة الحس.. أو تخمة الرغبات الدنيا

رابعـــــة: يبدو أنك تعشق بعض الكلمات..

بهــــاء ربما.. وربما أعنى ما أقول.. (صمت)..

رابعـــــة: أليس غريبا أن تتخاطب مع مثلى بكلامك هذا.. بتلك السرعة..

بهــــاء: ربما.. ولكنى لم أشعر بغرابة.. (صمت قصير)

رابعـــــة: ما أنا إلا امرأة وضائعة..

بهــــــاء: ربما لأنك لا تصلحين إلا لما هو حقيقى.. (صمت)
رابعـــــة: ما اسمك قلت سيدى؟
بهــــــاء: بهاء الدين.. هل ستذكرين الاسم؟
رابعـــــة: ربما.. (صمت)
فلأذهب.. (تتحرك)
بهــــــاء: رابعة.. (تتوقف).. أتمضين هكذا؟
رابعـــــة: (تتوقف فى ارتباك).. ماذا ترى؟
بهــــــاء: أعنى على الأقل.. ألا تحسين برغبة فى أن نلتقى ثانية؟
رابعـــــة: ماذا؟.. (تشرد).. لكن ما جدوى هذا؟
بهــــــاء: لا أسأل عن جدواه..
رابعـــــة: (تقترب من بهاء.. صمت طويل..) أظننى.. لن أنسى تلك الليلة.. سأذكرها
بهــــــاء: لم لا تأتين لزيارة قصرى بالبصرة.. أسكن فى وسط البصرة.. وددت لو تأتين معى منذ اللحظة.. أو تسمحين لى بلقاء أسرتك..؟
رابعـــــة: (فى شك مفاجئ..)
لتشترينى..؟
بهــــــاء: حاشاى.. ولكن.. (صمت)
رابعـــــة: لا زوج لى ولا أسرة.. مات الأبوان.. وابتلعت تلك البصرة أخواتى.. وبقيت يعولنى عجوز متسول وأنا بلا عمل.. وبلا زوج.. وبلا رغبة فى شىء..
بهــــــاء: إذًا تأتين معى.. (صمت)
رابعـــــة: أخشى أن الأمر كذلك سيكون بلا معنى.
بهــــــاء: سيكون له كل المعنى..
رابعـــــة: (تشير إلى القمر).. مع مغيب القمر هناك ستكون قد نسيت..
بهــــــاء: ما كنت يوما بهذه التفاهة يا رابعة. (تستدير).. سأنتظرك (يخرج كيسًا).. ليس هذا لك. هو للعجوز.. أنا فى انتظارك.. حقًا (يضع الكيس فى يدها ويستدير.. وهى مازالت تحملق فى اتجاهه..)

رابعـــــة: ويحك رابعة.. هو لا يكذب.. أول وجه ألقاه فلا يكذب بل يفصح عن وجه آخر للبصرة.. وجه ما كنت لأؤمن به.. ما كنت لأعرف أن البصرة تحوى غير القبح الصارخ.. غير وجوه النخاسين الملتوية.. غير عيون القسوة فى كل مكان.. غير ضعاف تدهسهم أقدام وحشية كما دهست إسماعيل أبى، ما كنت لأعرف أن البصرة يمكن أن تنبت روحًا تتفجر بالطيبة والنبل وأحلام خضراء.. رغم ضياء السطو والمال.. ويحى أى مكان؟ كأن العالم كان هنا لك يطوى عنى بين جوانحه خيرًا مستورًا لا يظهر إلا فى لحظة. لحظة أن سقط ضياء القمر على هذا المشهد.. ويحى ذاك الرجل الباهر يملك أن يصنع دنيا أخرى لا أعرفها.. لا تعرفها البصرة.. (تستدير فى حدة وانبهار مفاجئ).. هو لا يكذب.. وليس ما أحسه كذب..

(إظلام حولها ويضاء حول أبى نعيم يسار المقدمة)

رابعـــــة: (تدخل مسرعة إلى منطقة).. أبى نعيم

أبو نعـــيم: أعدت يا بنت؟ أشاعوا عن فرارك.. سامحهم اللّه.

رابعـــــة: خذ هذا لك يا أبا نعيم..

أبو نعـــيم: (يتحسس الكيس).. تلك نقود.. (يهزه).. بل هو ذهب..؟

رابعـــــة: نعم ممتلئ ذهبًا يا أبا نعيم..

أبو نعـــيم: كيف..؟ من أعطاك اياه؟

رابعـــــة: وجه معسول بالضوء الساطع يا أبا نعيم قلب مغسول بالطيبة والنبل.. (تهمس لنفسها) ببسمته الهادئة تفتحت للقلب أسرار غريبة..

أبو نعـــيم: عمن تتحدثين يا بنت؟.. من أعطاك هذا كله..؟

رابعـــــة: قال مدين لى بحياته.. فسخرت منه.. ثم بدى أنا نعرف بعضنا بعضًا منذ زمن.. ومضى وقال إنى فى انتظارك..

أبو نعـــيم: خذى واحمدى الله.. خبئيها.. ادخريها لزواجك..

رابعـــــــة: بل هى لك.. (ثم بنبرة خاصة).. أما أنا فلا (صمت)

أبـو نعـــيم: (يلتفت فى قلق).. ما الأمر؟

رابعـــــــة: ما حدث الليلة يا أبا نعيم.. أول شىء ينفذ داخل صدرى المعتم..

أبـو نعـــيم: لا تكونى بلهاء يا بنت.. انسى هذا..

رابعـــــــة: (فى إصرار مفاجئ).. ما كان يهزل وما كنت لأنسى.. وما عاد بمقدورى إلا أن أواجه ذلك..

أبـو نعـــيم: تواجهين ماذا؟.. كفى عن الهذيان.. كأنك مسحورة أو ذهب رشدك

رابعـــــــة: ربما.. بل هذا ما أحس..

أبـو نعـــيم: إذًا أفيقى يا بنت إسماعيل.. ماذا يعرف أمراء البصرة عن وعد يعطونه لفتاة مسكينة.. ماذا يعنى صاحب هذا الذهب سوى لهوه..

رابعـــــــة: هو ليس كذلك..

أبـو نعـــيم: ما كنت كهند.. فلنحسم أمر زواجك تلك الليلة.. (ويظهر حسن مقبلا نحوهما ثم يتوقف عند ذكر اسمه..).. ولابد أن يحسم الليلة.. لن أسكت تلك المرة.. ثلاث مرات وترفضين أزواجًا يملكون لك الستر والحماية فلم؟
ما نهاية هذا الرفض.. ماذا تنتظرين وقد جاوزت الثلاثين من العمر.. جاوزتها يا رابعة وأنا ما بين لحظة وأخرى يطوينى الموت.

رابعـــــــة: ماذا.؟ أتراه حسن..

أبـو نعـــيم: ولم لا.. هو من دنيا قدرها الله لنا.. لا من صنع الأوهام.. ولابد أن نقبله...

رابعـــــــة: حسن.. وإذًا قد جاء ليطلبنى؟

أبـو نعـــيم: شاب.. وغنى.. شهم طيب..

رابعـــــــة: نعم.. هو كذلك.. ولكن أى شباب وأى شهامة وأى طيبة.. إنها طيبة البائس وشهامة يغرقها العجز.. وشباب كسير.. معجون بشقائى وشقاء أبى.. ما أشهد فيه سواه.. أبى.. ما أشهد الطيبة تستحقها أقدام مجهولة.. لغز آخر ضمن الألغاز.. لكن لا.. فى

الوجه الآخر حين لاح فى ضوء القمر.. أنبأنى شىء ما.. إنى معه أقهر كل الألغاز ولذا سأجيبه..

أبو نعيم: ماذا تعنين؟

رابعة: ما عاد هناك مفر.. سأمضى..

أبو نعيم: هذا وهم قد يرديك..

(حسن يتراجع فى تخبط والم خارجًا)

رابعة: ليكن.. قد لا أملك أى يقين أتزود به.. لكنى لا أملك إلا أن أمضى.. سأجوب البصرة أبحث عنه وأجده..

أبو نعيم: رابعة.. أيتها الطفلة.. لن أقرب هذا الذهب الملعون.. انتظرى..

رابعة: قد لا أملك أى يقين.. لكنى أمضى.. (تندفع لتجرى.. فى بطء يوحى بالسرعة واللهاث حيث تضاء حولها فقط ويرتفع الإنشاد)

وإذا زادى قليل ما آراه مبلغى

الزاد أبكى أم لطول مسافتى

(يضاء عند جذع الشجرة حيث يجلس بقرب منها شيخ.. تصل رابعة وتجلس لاهثة..)

الشيخ: مرحبًا بك..

رابعة: (تستدير فى فزع).. مَنْ؟

الشيخ: صاحب هذا الكوخ هناك.. أبك حاجة إلى مساعدة؟

رابعة: لا..

الشيخ: أأنت على يقين من أنك لا تحتاجين إلى مساعدة؟

رابعة: لا.. (صمت).. إن كان فبعض الماء..

الشيخ: (يمد يده إليها بإناء جانبه وباليد الأخرى كسرة خبز تتردد فى اخذها ثم تاخذها.. تبدأ فى قضمها ببطء وهى تراقب الشيخ الذى يجلس صامتًا رابعة تتوقف عن الأكل فجأة وتحملق فى الشيخ)

رابعة: يا شيخ.. ترى هل تكشف وجه الغيب؟

الشيخ: لا يعلم سر الغيب سواه.. الله..

(تضع كسرة الخبز جانبها فى هم)

رابعـــــة: ليت الإنسان يرى ما يجرى فى الغد..

الشـــيخ: أتخافين الغد؟

رابعـــــة: (لا تجيب وتستدير بنظرها بعيداً).. أترى يا شيخ؟

الشـــيخ: (ينظر حيث تنظر).. نعم.. البصرة.. أضواء البصرة..

رابعـــــة: (تنكمش فى رعب مفاجئ).. كأنها وحش رابض.. وحش مضىء..

الشـــيخ: أتقصدينها..؟

رابعـــــة: نعم.. إنى أقصد قلب البصرة..

الشـــيخ: قلب البصرة.. (صمت).. قلب البصرة قاس..

رابعـــــة: لكنى أعنى وسط البصرة..

الشـــيخ: وأنا أعنى قلب البصرة..

رابعـــــة: أعرف ذلك يا شيخ.. وأنا فى الرابعة من العمر..

الشـــيخ: وتعرفين وأنت فى الرابعة..؟ (صمت).. ومن تقصدين يا بنية؟

رابعـــــة: هناك من دعانى..

الشـــيخ: حقاً؟ (صمت).. ألا تتمهلى.. قد تأتيك دعوة أفضل..

رابعـــــة: بدت فى دعوته النجاة..

الشـــيخ: ربما ليست فى دعوته نجاة..

رابعـــــة: (تنتفض واقفة) ويلك يا شيخ.. لماذا أنت تتغصنى.. ألم تقل إنك لا تدرى أمر الغيب؟

الشـــيخ: نعم.. لكنى أحسست فحسب أنك تهربين.. تهربين من شقائك دون بصيرة.. وربما نحو شقاء أفدح..

رابعـــــة: ليس هناك أفدح مما كنت أعانى..

الشـــيخ: الفقر وشظف العيش..؟

رابعـــــة: بل كنت أعانى الموت.. تغوص حياتى فى بئر موات..
بئر رجراج من طين آسن..

الشـــيخ: يا للطفلة..

رابعــــــة: (بعـد صـمت).. ثم أنـى كـالحلم.. فى ليل كـان ثقـيل الوطأة.. وحشيًا.. فتنفس فى قلبى عصفور.. لا أدرى من أين تأتى؟

الشـــيخ: أذاك هو الحب؟

رابعــــــة: (تنظر فى دهشة مفاجئة إلى الشيخ وكأنها تكتشف ذلك لأول مرة.. وتصيح فى نبرة من يغامر برهان..) يا شيخ نعم

الشـــيخ: إن كان فياللبهجة.. فالحب الحق عزيز..

رابعــــــة: حقًا؟.. حقًا يا شيخ..؟

الشـــيخ أما إن كان كمثل الحب هناك بأبهاء البصرة وملاهيها فالويل..

رابعــــــة: لا.. لا يا شيخ.. حدثنى عن حب لا تعرفه البصرة.. حدثنى عن نبل وعطاء لا تعرفه البصرة..

الشـــيخ: لكن.. هل بانت كل وجوه البصرة لك.. حتى يتحدد حكمك؟

رابعــــــة: يكفينى ما لاح بوجهه.. إنى أمضى كى أدركه..

الشـــيخ: فلتنتظرى حتى الصبح..

رابعــــــة: (تلوح له وهى تجرى بقوة.. حيث تلوح بالخلف تدريجيًا أضواء البصرة عن بعد..)..

رابعــــــة: لقد اقتربت..

الـــــراوى: (يظهر متجهًا إلى المقدمة عكس اتجاهها) مازالت أبعد مما تتصور..

رابعــــــة: (تتقدم اكثر).. وها هو ينتظر هناك.. وسط البصرة قنديل..

الـــــراوى: (متقدم اكثر نحو المقدمة).. مازالت لا تعرف كل وجوه البصرة بعد..

رابعــــــة: (تتقدم لأعلى).. فى عينيه بريق الشوق.. فى كفيه تلوح الشمس تبدد ظلمات الدنيا حولى

الشـــيخ: كان الله معك..

رابعــــــة: إنى إليه ذاهبة..

الـــــراوى: بل نحو جحيم آخر.. لا تعرف بعد مداه..

رابعــــــة: إنى إليه ذاهبة..

(يرتفع الإنشاد والضوء يخبو ورابعة تجرى)

إنشـــاد

يا ســــروری ومنيـــــتی وعـــمــــادی

وأنيـــــــسی وعــــدتی ومـــــرادی..

أنت روح الـفــــؤاد أنت رجــــائی

أنت لی مـــــؤنسی وشــــوقی وزادی

أنت لولاك يا حــــيــــاتی وانسی

مـــا تشـــتت فی فــــسيح البـــلاد

(مع نهاية الإنشاد يكتمل الإظلام حول رابعة)

الفصل الثانى

المسرح مظلم

إنشاد:

يـا طـيـب الـقـلـب يـاكـل المنـى
جد بوصل منك يشفى مهجتى
قد هجرت الخلق جمعًا أرتجى
منك وصلا فهو اقصى منيتى

يضاء حول الراوى بالمقدمة مع الإنشاد..

الـــــــراوى: خلف بهـاء الدين.. الحلم رابعـة العـدوية تمضى.. تقـتـرب من البصـرة والبصـرة ذات وجوه أكثـر من وجـه.. أول مـا تلقى فـيـهـا تلقى وجه السوق

(ضجة سوق)

البصرة سوق..

والبصـرة عملة.. مقياس الحكمة فى وجهيها المكسب.. والخسارة..

البصرة سوق وسلع. سلع.. وسلع.. أرخص ما فيها الإنسان..

(ترتفع ضجة السوق ويسقط ضوء حول دلال وسالم التاجر ثم بائع..)

الـــــدلال: هيا.. هيا .. فتى حبشى.. فى الثالثة عشرة.. فى قوة ثور.. فى طاعة كلب.. عشرون دينارًا لا غير..

ســــــالـم: بل دينار.. فى قوة ثور فسيأكل مثل الثور..

(ضحكات)

بــــائـــــع: حـريـر الهند الأصلى يا أهل النـعـمـة من أرض الهند.. وحلى من أرض الصين.. فرش وطنافس من فارس.. ابتعدى يا لصة..

الــــــدلال: فتاة رومية.. هادئة مطيعة.. قرأت فى الفلسفة وتتفلسف.. تتحدث فى الطب وفى علم الأفلاك

ســــــالـم: وماذا أفعل بالفلسفة أنا فى الليل البارد يا بارد..

الــــــدلال: بل تحكى أيضًا قصص العشاق المشبوبة.. ترقص أيضًا يا مولاى.. وتغنى كالبلبل.. بفراشك تصبح كالجمرة يا أكبر تجار البصرة..

ســــــالـم: مائتا دينار..

(موسيقى وترية يظلم حولهم.. ويضاء حول الفتاة ترقص أمام سالم والزينى كبير الشرطة وابن حميد التاجر..)

الـــــــراوى: والبصرة فى وجه آخر..

كأس بالخمر معتقة..

ردفا جارية ترقص.. وسط عواء ندامى.. صفقات تعقد فى قاعات اللهو.. أسواق البصرة تأتى وتصب هنالك فى تلك القاعات..

(مع استمرار الموسيقى ورقص الراقصة.. يضاء حول رياح بن عمرو القيسى.. فى أسمال وقيود فى قدميه.. يضرب نفسه بسوط صائحًا..)

ريــــــــاح: لا يا دنيا البصرة لا.. الهجر.. الهجر..

الـــــــراوى: والبصرة فى وجه آخر.. وجه الزهاد.. وجه مهزول.. رياح القيسى وجه يصرخ فى سوق البصرة.. يصرخ فى ليل البصرة..

ريــــــــاح: الهجر.. الهجر.. وسأمضى دهرى فى مأتم حتى يدركنى الوصل.. الوصل الحق.. فإليك بعيدًا عنى يا دنيا.. الزوجة تركت أرملة.. والأولاد كأيتام.. وأنا آوى.. لمزابل البهائم والكلاب.. الهجر.. الهجر..

(وتختلط أصوات السوق بأصوات الموسيقى ويظلم حول الجميع..)

(ويضاء حول رابعة تتلفت وسط الأصوات يظهر بجانبها فى الضوء برقوق..)

برقــــوق: رابعة هنا فى سوق البصرة..؟!

رابعـــــة: (فى لهفة..) مَنْ .. برقوق؟!

برقــــوق: وأخيرًا يا بنت الناس أراك! الشيخ ينوح..

رابعـــــة: (تدير وجهها فى ألم).. لا تذكر شيئًا عنه.. لا تذكر شيئًا..

برقــــوق: حقًا.. حقًا.. هذا يومك.. فلتسعد يا سوق البصرة.. رابعة هنا.. رابعة معى..

رابعـــــة: برقوق.. إنى.. (تمسك ببطنها).

برقــــوق: جوعانة؟!.. هلكت كل البصرة إن جاعت رابعة الحلوة.. سأقدم لك إفطارًا بالزبد.. يا بائع.. هات لنا أحلى ما عندك.. أغلى ما عندك.. فطيرتان بالزبد والعسل..

رابعـــــة: (تتلفت) لكن يا برقوق هل تسمع عن شاب يدعى بهاء الدين؟!!

برقــــوق: بهاء الدين..؟ ومَنْ يكون بهاء الدين؟!!

رابعـــــة: لابد أن الكل هنا يعرفه ليس ككل الناس.. قال هنا فى وسط البصيرة اسأل عنه..

برقــــوق: أتراه أمير البصرة..؟! أم شيخ التجار..؟!!

رابعـــــة: أو تسخر منى يا برقوق..؟!

برقــــوق: لا والله.. لكن البصرة واسعة جدًا.. لا أوسع منها إلا رحمة ربى

رابعـــــة (تعمى).. ويلى..

برقــــوق: ماذا يا رابعة.. ما الأمر..؟! لا تخفى شيئًا عن برقوق وخصوصًا فى تلك البصرة.. ما قصة هذا الرجل معك..؟!

رابعـــــة: إنى أبحث عنه.. إنى جئت إليه.. من أجل بهاء الدين تركت الشيخ...

برقــــوق: أسرع يا عم (ثم لرابعة).. لنؤجل هذا حتى نلتهم فطائرنا.. (يلتفت حوله).. والآن انتبهى للعبة.. متعة سترين.. هذا عجل يأتى.. عجل منفوخ.. (رابعة تستدير فيجذبها برقوق..).. لا تلتفتى نحوه..

(يمر رجل ضخم فيمد برقوق يده ويجذب كيسًا من تحت عباءته..)..

رابعـــــــة: (تصيح فى برقوق).. لا يا برقوق.. (برقوق يفر.. الرجل يمسك برابعة..)

الـــرجـــل: اللصة.. فلتدركنى الشرطة..

رابعـــــــة: لست بلصة..

الـــرجـــل: كفى يا بنت الحرام.. ضاقت البصرة باللصوص والشحاذين إلى بالشرطة..

(يتقدم فى دائرة الضوء أبو الفضل فى عظمة مبالغ فيها.. سمين قصير..)

أبو الفــضل: ماذا بك..؟.. دع جاريتى..

الـــرجـــل: بل هى لصة.. كانت مع ذاك اللص..

أبو الفــضل: ما ابتعدت عنى منذ دخلت السوق.

الـــرجـــل: كان هنا معها.. حاول أن يأخذ كيسى.

أبو الفــضل: وهل أخذه..؟!

الـــرجـــل: بل أدركته.. هذا الكلب..

أبو الفــضل: وإذًا فأخذت الكيس..؟ كف إذًا عن تلك الضجة..

(يدفع رابعة أمامه..) .. هيا يا بنت

.... (يتقدم أبو الفضل ورابعة فى دائرة أخرى..)

رابعـــــــة: أقسم لك إنى..

أبو الفــضل: أعرف.. أعرف.. راقبت الأمر.. هل فر بشىء غير الكيس..؟!

رابعـــــــة: قلت إنى..

أبو الفــضل: هو ليس زميلا لك.. إنى صدقت.. صدقت أنا..

رابعـــــــة: كل الأمر.. هو يسكن فى حى أسكنه..

أبو الفــضل: آه.. أكذا.. وأين يكون الحى؟!

رابعـــــــة: هناك على أطراف البصرة..

أبو الفــضل: آه.. أكذا؟.. وإذًا هل آتى لأوصلك إليه..؟!

رابعـــــــة: لا.. لن أذهب.. أعنى ليس الآن.. (تبتعد عنه).. باركك اللّه

أبو الفــضل: لكن ما اسمك..؟!

رابعـــــــة: رابعة.. (تهم ثانية بالسير).

أبو الفضل: اسم عجيب.. أود لو أرى أباك كى أسأله سبب الاسم المدهش..

رابعة: ستجد صعوبة.. (تمضى)..

أبو الفضل: (يتابعها فى إصرار).. ولم؟!

رابعة: مات..

أبو الفضل: آه.. أكذا..!.. هل يمكننى أن أسأل زوجك..؟! ربما قد أفضى بسر الاسم إلى زوجك..

رابعة: لا زوج لى..

أبو الفضل: هذا الكنز الفاخر دون..

(يتدارك) لكن فيم أتيت..؟!!

رابعة: (تتوقف).. كنت.. (تتردد ثم تمضى ثانية).. لا.. لا.. سأمضى..

رابعة: نعم..

أبو الفضل: (يمسك بها فى رفق).. ماذا.. أو بعد ما كان لا تثقين فى أبى الفضل.. هل أوحى بالريبة؟!

رابعة: (بتردد).. الحق.. نعم..

أبو الفضل: سامحك الله.. يشهد ربى أنى لا أبغى غير مساعدتك.. (يستدير).. اذهبى وسامحك الله. سامحك الله..

رابعة: (على الفور).. هل تعرف الأمير بهاء الدين.. هذا من أبحث عنه..

أبو الفضل: بهاء الدين؟!.. (يفكر).. شاب وسيم..؟!

رابعة: هو ذاك..

أبو الفضل: آه.. أكذا؟!.. ذاك بهاء الدين التاجر..

رابعة: تاجر..؟

أبو الفضل: من أشهر تجار البصرة..

رابعة: وإذًا تعرفه..؟!

أبو الفضل: طبعًا طبعًا.. أعرف كل التجار.. وكل كبار البصرة..

رابعة: أبغى أن أصل إلى قصره..

أبو الفضل: ولم؟!

رابعـــــة: هو ينتظر وصولى..

أبو الفـضل: أتواعدت معه..؟

رابعـــــة: نعم

أبو الفـضل: (يفرك يديه).. يا رابعة.. استمعى إلىَّ.. لو أنى رجل دون ضمير.. أوصلتك له.. لكن أنت كبنتى.. هو ليس كما تعتقدين..

رابعـــــة: لا تذكر ذلك..

أبو الفـضل: آه.. قلت استمعى.. كم مرة كان لقاؤك به؟!

رابعـــــة: هى مرة.. لكنى أجزم..

أبو الفـضل: أعرف ما سوف تقولين.. لكن إن كنت تريدين أمانا وضمانا.. فلتستمعى لى.. كل رجال البصرة صنف واحد.. يحتاج الحرص.. وإذا كان بهاء الدين يملك أكثر من جارية و..

رابعـــــة: ماذا؟! يملك أكثر من جارية قلت؟!

أبو الفـضل: هو.. هو!! أرأيت.. لست بمدركة بعد.. ولنختصر الأمر.. الهدف بهاء الدين..

رابعـــــة: لا أبغى قصرًا ومالا..

أبو الفـضل: قلب بهاء الدين نعم.. وأنا أتكفل أن يتحقق هدفك لكن وبشرط.. أن تستمعى إلىَّ.. ولما أنصح به..

رابعـــــة: لكنى...

أبو الفـضل: فى هذا التيه المرعب يا مسكينة أرسلنى الله إليك.. والآن لنسرع.. حتى نلحق بأوزة أم سعيد.. طيبة وستفرح بك والحلو فلوزج..

رابعـــــة: لكن..

أبو الفـضل: (يجذبها).. والحلو فلوزج..

(إظلام ويرتفع الإنشاد)

وزادى قليل ما أراه مبلغى

الزاد أبكى أم لطول مسافتى

الـــــراوى: كانت لا تعرف كل وجوه البصرة بعد.. الرجل الطيب أنقذها..

الرجل الطيب نخاس.. الرجل الطيب يشرع فى ترتيب الأمر كى يضمن أعلى سعر..

(يضاء حول سالم والزينى وابن حميد يشربون وبجانبهم يجلس بهاء الدين..)

سـالم: كانت تلك البنت عجيبة.. يغرقها الخجل لمرأى يد رجل أو شارب.. كنت إذا زرت ابن تميم سيدها وتصادف أن لامست أصابعها.. تنفجر بكاء.. تهرع وكأن الموت أتاها.. (ضحك).. حتى جاء الوقت ودفعت دنانيرى فيها لابن تميم.. أتصدق يا ابن حميد.. أتصدق يا رأس الشرطة يا زينى..

الزينى: هه..؟!

سـالم: يومان.. يومان ولا أكثر فى دارى.. وإذا بالعذراء المرعوبة تتحول.. حانة.. حانة متحركة من أصخب حانات البصرة..

(ضحك وصخب..)

بهـاء: أتريد بهذا أن تفهم يا سالم أنك ساحر..؟!

ابن حميد: بل هو ساحر.. لا تفلت أية امرأة من سحره..

بهـاء: تجعله يزداد غرورًا..

ابن حميد: بل أنت تغار..

الزينى: بل إن بهاء الدين أغرب من شاهدت البصرة.. يدفع فى الجارية ويطلقها فى اليوم التالى..

سـالم: إن كان شجاعًا فليخبرنا بالأسباب..

بهـاء: ماذا تتوقع من حارثة يا سالم! ماذا تتوقع من إنسان لا يملك نفسه.. كالفأر محاصر.. لن يعطينا غير مشاعر كاذبة شوهاء..

سـالم: أتدعى أنهن مرغمات..؟!

بهـاء: بالتأكيد..

سـالم: إن كان كذلك إنى أتحداك.. وسأجمعهن الآن وأخيرهن الحرية.. أو يبقين معى..

بهـــــــاء: بالطبع سيختنرن البقاء..

ســـــــالم: إذًا اعترفت

بهـــــــاء: السبب بسيط.. يعرفن بأنك تهزل.. لن تعتقهن..

ســـــــالم: أنا لا أهزل.. وأمام رئيس الشرطة وابن حميد..

بهـــــــاء: دعنا من هذا السخف. وحدثنى فيما جئت لأجله..

ســـــــالم: آه.. سيعود إذًا للقافلة ومال التجار.. هذا الشاب غريب.. تاجر وتقى.. يملك ثقلا فى رأسه أسمع.. الحسبة أبسط من ذلك لا تقلق.. المال فى السوق.. وما علينا إلا أن نحكى عن النساء هنا.. والمال هنالك يتوالد.. من تلقاء نفسه.. يأتى بالقوافل.. وبها يذهب.

بهـــــــاء: يا سالم.. إن القافلة المتفق عليها أكبر قافلة شهدتها البصرة هذا العام.. وحتى الآن لم ترسل مالا للشام والتجار جميعًا دفعوا لك..

ســـــــالم: مادمت أنا المسئول فلا تقلق.. (يصفق)..

هيا.. هيا يا فتيات..

(يدخل خادم إلى دائرة الضوء..)

الخـــــــادم: الشيخ تقى الدين..

ســـــــالم: ماذا..؟.. ياللرعب.. خبئ تلك الأكواب..

(يدخل الشيخ تقى الدين إلى دائرة الضوء..)

تقى الدين: لا تخف شيئًا يا سالم..

ســـــــالم: (يهب لاستقباله).. مولاى.. القصر أضىء..

تقى الدين: القصر مضىء دومًا.. وكذلك يترنح يا سالم..

ســـــــالم: بل هو يترنح فى تلك اللحظة من فرط النشوة لقدومك..

تقى الدين: دعنا من ملقك هذا يا سالم.. فأنا أعرف أن قدومى لا يحمل أى سرور لك.. فأنا رجل جهم المنظر.. جهم الكلمات وجهم الفكر.. لا تتسع لياليك الصاخبة المرحة لى.. لا يتسع حديث المجلس

هذا لحديثى.. لا يتسع برأسك ركن لهمومى رغم أن مشاغل رأسى تشملك وتشمل أحوالك مثل الكل..

سـالـم: كيف تقول هذا يا مولاى..؟!

تقى الدين: هه.. دعنا من هذا.. ما أبغى أن أتحدث فيما لا جدوى منه جئت على رغمى ولأمر عاجل..

لكن عجبًا.. أذاك بهاء الدين؟! قال طيب أن أجد بهاء الدين..

ما حالك يا ولدى..؟!

بـهـاء: بخير يا مولاى.. مادمت بخير أنت..

تقى الدين: غبت أخيرًا عن مجلسنا..

بـهـاء: فللتفضل يا مولاى..

تقى الدين: لا وقت لدى المجلس أنسك يا سالم.. جئت بشأن سعيد

سـالـم: البائع.. هذا المحتال..

تقى الدين: من فيكم هذا المحتال..

سـالـم: مولاى.. بعت له الأثواب..

بـهـاء: لكنك تعرف أن الأثواب معيبة..

سـالـم: تفحصها ودفع..

تقى الدين: لا أتكلم بلسان السوق.. بل بلسان المسلم.. لو أن سعيدا فى حجم فحول التجار كمثلك أو مثل ابن حميد لتركت الأمر.. الرجل ضعيف بائع.. لا يحتمل مناطحتك..

سـالـم: وإذًا لا يدخل دائرة التجار..

تقى الدين: رد له ماله..

سـالـم: هذا شىء يفسد أمرى وسط التجار..

تقى الدين: (فى غضب) .. خذ أثوابك يا سالم.. رد له ماله..

سـالـم: ألهذا الأمر الهين يا مولاى جئت إلينا بعد غياب..

تقى الدين: ليس بالأمر الهين.. إن لم تدفع ماله.. سأدافع عنه أمام جميع الناس..

بـهـاء: إن لم يدفع فسأدفعها يا مولاى..

سـالم: ما شأنك أنت..؟؟

تقى الدين: بل هو يدفع

ابن حميد: لكن يا هذا الشيخ لنتناقش

تقى الدين: يكفى ما أنتم فيه.. فوالله لو أنى جئت أناقشكم فيما يجرى منكم وبكم لسالت بينى وبينكم دماء.. أنا ما جئت لكى أصلح ما فسد من الدهر بتلك البصرة.. لكنى جئت فحسب لأدفع شرًا عن رجل مسكين (يستدير خارجًا).. سأكون فى انتظارك للزيارة يا بهاء..
(يخرج)..

سـالم: ما هذا..؟!

الزينى: لا تعبأ به.. لا يملك أن يتدخل فى أمر من شأن قضاة البصرة. يتدخل فيما لا يعنيه..

بهاء: بل ما يعنيه..

ابن حميد: حقًا.. فبهاء الدين يحضر مجلسه ويردد أقواله..

بهاء: هو ليس يقول بغير كلام الله...

سـالم: كما أفسدت وشيخك هذا مجلسنا.. فسيفسد بكما أمر تجارة تلك البلدة..

بهاء: لا تسئ للشيخ..

سـالم: يأتى ليحاسبنى فى أمرى.. وأنت تجىء وكأنك شيخ التجار تناقشنى فى أموال التجار كأنى لص.. لا تنس أنى سالم..

بهاء: وكذلك لن أنسى يا سالم أموال صغار التجار..

سـالم: تقلق من أجل نقودك أنت.. بل وتشكك فى.. تبغى أن تضربنى فى السوق ليخلو لك..

الزينى: ما هذا يا سادة.. رفقًا..

ابن حميد: دومًا يقتتلان كديكين..

سـالم: (فى محاولة لتدارك).. لسنا نتقاتل واسكت أنت..
(صمت).. (ثم لبهاء).. هيا.. لنناقش أمر القافلة الملعونة.. ماذا فى الأمر..؟

بهـــاء: (يقف).. لا.. لنؤجل هذا للغد.. سلامًا.. (يخرج)

ابن حـميـد: سننتظرك.. (سالم يشرب فى شراهة وتوتر)

ســالم: يطمع أن يصبح شيخ التجار بهاء الدين.

ابن حـميـد: ولذا فهو يدافع عن أصغرهم شأنا..

الـزيـنـى: بيت الداء تقى الدين.. هو من أفسد رأس بهاء الدين.. وهو كذلك يثير الفتنة يبن الناس بكلماته.. وأمير البصرة يعلم ذلك ولسوف يرد عليه..

الخـادم: رجل بالخارج يدعى بأبى الفضل..

الـزيـنـى: (للخادم).. لكن.. هل هو كالعجل..؟!

الخـادم: سمين فعلا يا مولاى..

الـزيـنـى: دعه ليدخل.. سيبدد ضيقك يا سالم.. إنى أعرفه..

ســالم: دعه ليدخل.. (تقتحم دائرة الضوء ويخرج الخادم)

أبو الفـضل: وهأنذا.. أسعدت صباحًا ومساء يا سيد تجار البصرة.. يا زينة عظماء البصرة..

ســالم: ولكن مَنْ تكون يا سمين؟!

أبو الفـضل: أولا تذكر أبا الفضل خادمك الأمين..؟! الخدمات الصغيرة.. الخدمات الحلوة..

ســالم: (يتذكر).. آه.. أهذا أنت يا قذر..

الـزيـنـى: كيف أنت يا نخاس..

أبو الفـضل: (للزينى).. سيد أهل البصرة..

الـزيـنـى: رؤيتى لا تسرك.. هه؟!

أبو الفـضل: خادمك.. كلبك الأمين..

ســالم: وما أخبار حانتك الجميلة.. أتدرى يابن حميد سكرت بليلة وبعدها... أقسمت بأن أكمل سكري فى أوسخ حانات البصرة.. فلم أجد أوسخ من حانة أبى الفضل
(ضحك)..

الـــزيـــنـــى: وبما انك جئت الآن فلنحسم آخر ما عرض علينا من جرمك.. الخمر المغشوشة..

ابن حـمـيـد: أتراك تحقق فى الأمر الآن..

ســــــالـم: هل أتى بمنْ يقيده..؟!

أبو الفـضل: (يركع فى تمثيل).. سيدى.. سادتى.. خادمكم المطيع.. عبدكم الصاغر..

الـــزيـــنـــى: أنا لا أهزل يا كلب..

أبو الفـضل: (يتمرغ عند اقدامهم).. العفو لكلبكم الصغير الأجرب.. العفو لدودتك الحقيرة يا مولاى.. نملك القديم البالى..

(ينفجرون ضاحكين ويشاركهم الضحك)

ســــــالـم: والآن.. أى رياح ملعونة.. رمتك إلينا يا مأفون؟؟

أبو الفـضل: والله يا سيدى إن حانتى الحقيرة فى محنة..

الـــزيـــنـــى: هى كلها محنة..

أبو الفـضل: تضم جوهرة.. تضم جوهرة مريعة.

ابن حـمـيـد: امرأة يا نخاس؟!

أبو الفـضل: وأى امرأة يا مولاى.. بركان.. وتعجب يا مولاى. امرأة بلغت قمة ما تبلغه الثمرة من نضج مسكر لكن لم يمسسها رجل بعد..

ابن حـمـيـد: هذا تخريف لا يحدث فى البصرة..

الـــزيـــنـــى: لم أشهد فى حانتك القذرة يا كلب.. غير نساء بشوارب وذيول.

أبو الفـضل: وهنا المحنة.. يكدن يقتلننى بسببها.. بعدما دفعت كل ما ادخرته فى شرائها..

ســــــالـم: ومن أين يا لئيم..؟!

أبو الفـضل: من سوق البصرة يا مولاى.. كل ما أملكه ضاع...

ســــــالـم: لا يفلت من سوق البصرة شىء ولا أعرفه..

أبو الفـضل: تلك الجوهرة انفلتت من سوء الحظ..

الـــزيـــنـــى: أشعر أن الأمر خداع..

أبو الفضل: أمام رئيس الشرطة لا أجرؤ.. أجننت أنا..

سالم: ولم لم تأت بها..

أبو الفضل: أطمع فى أن أعرضها فى حفل الغد فى ظل رضاك..

سالم: وإذًا ما جئت بها لى؟!

أبو الفضل: لا.. لا.. لا.. لكن الأمر لحكمة.. لا نعرف قدر جواهرنا إلا بعيون الحساد.. من حكم أبى الفضل المشهورة.

الزينى: (يمسكه من قفاه).. أو تعرف يا صاح.. لو أن الأمر به أدنى تهويل..

أبو الفضل: (يصيح).. تشنقنى يا مولاى.. (إظلام وبضاء حول رابعة، تسير فى زى غريب.. تبدو مضطربة وأبو الفضل معها..)

رابعة: (تتوقف وتقلب فى ملبسها).. ما هذا الزى.. لم أصررت على أن أرتدى ثيابًا لا أرتاح إليها؟!

أبو الفضل: يا لنكبة.. وكيف تقابل بنت من تعشق بعد غياب.. إلا فى أحسن زى..

رابعة: هو ليس بأحسن زى.. أقرب لثياب غوانى البصرة..

أبو الفضل: أوه.. يا الله.. من يدركنى..

رابعة: ثم إن بهاء الدين يسكن فى وسط البصرة.. ونحن بعدنا عن وسط.. البصرة..

أبو الفضل: ما هذا بالضبط.. هل تتهمين أبا الفضل الطيب بخداعك.. أو بعد عنائى كل عنائى هذا..؟!
يرحمنى الله.. هل هذه عاقبة الخير وفعل الخير يا بنت الناس..
تلك الليلة آخر ليلة.. هل رد جميلى أن أشتم فى آخر ليلة؟!!

رابعة: أنا لم أشتمك.. ولكن..

أبو الفضل: هيا.. هيا.. سامحك الله.. (يجذبها من يدها ثم يتوقف).. ولكن وكما قلت مرارًا.. إياك وإفساد الترتيب..

رابعة: لم أعرف ترتيبك.. ولست بفاهمة سببه..

أبو الفضل: بتلك الريبة فى.. ستسيئين الفهم.. ولذا إياك وأى تدخل حتى أنجز ما رتبت.

أبو نعـــيم: الملك لله والأمر لله.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

(تتوقف رابعة فى هلع)

رابعـــــة: ويلى هذا أبو نعيم.. (يظهر ابو نعيم فى بقعة يضرب الأرض بعصاه فى وهن..)

أبو نعـــيم: والأمر لله.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.. الملك لله..

أبو الفــضل: ما الذى أوقفنا ثانية؟!

رابعـــــة: ماذا معك من المال..؟ أخرجه..

أبو الفــضل: ولماذا؟!

رابعـــــة: أخرج ما معك أقول..

(ابو الفضل يخرج فى اضطراب نقوداً تجذبها منه)

رابعـــــة: هذا لا يكفى.. أخرج ما معك جميعًا..

أبو الفــضل: لكن ما الأمر..؟! (يخرج من عدة جيوب)..

رابعـــــة: هات يا رجل.. سوف أرد نقودك لك..

أبو الفــضل: هذى كل نقودى..

رابعـــــة: أسرع للرجل هناك.. أسرع أعطه إياها..

أبو الفــضل: للشحاذ..؟ كل نقودى للشحاذ؟!

رابعـــــة: أسرع قلت وإلا سوف أجن..

أبو الفــضل: بل أنا من سيجن.. (يمضى فى ذهول ليعطى النقود لأبى نعيم..)

رابعـــــة: (وحدها).. آه يا أبا نعيم.. اغفر لى.. اغفر لى.. (تهرول فى تعثر وفزع.. يكون أبو الفضل قد عاد فلم يجدها..)

أبو الفــضل: ولكن أين ذهبت.. يا بنت.. يا رابعة.. أيتها المجنونة.. لن تمضى تلك الليلة فى خير مع تلك المخبولة..

(أبو نعيم الذى كان يسمع وممسك بالنقود ذاهلا يندفع فى تعثر مناديًا..)

أبو نعـــيم: رابعة.. أقلت رابعة..؟ (يتشبث بابى الفضل..) أقلت رابعة..؟!

أبو الفــضل: (يجذب النقود من يد ابى نعيم ويدفعه صائحًا).. يكفى أنك كنت السبب.. ودعنى.. (يسرع فى الاتجاه الذى مضت منه رابعة..).

أبو نعـــــيم: يا سيد.. يا رابعة.. يا رابعة.. (يظهر برقوق مسرعًا نحو ابى نعيم الواقع ارضاً..)

بـرقـــــــوق: ماذا بك يا أبا نعيم؟!

أبو نعـــــيم: أدركنى يا برقوق..

بـرقـــــــوق: ماذا بك؟

أبو نعـــــيم: كانت بالقرب هنا رابعة وذهبت..

بـرقـــــــوق: ماذا قلت..؟!

أبو نعـــــيم: أدركها يا برقوق..

بـرقـــــــوق: (ينحنى على الرجل فى شك..).. دع هذا الآن وهيا..

أبو نعـــــيم: (مرتعشًا).. لا لا.. أدركها قد يدركنى الموت ولا أشهدها.. كانت بنتى.. كنت بها أحتمل شقائى.. كانت هدف حياتى المرة..

بـرقـــــــوق: كانت رعناء شقية.. ذهبت.. بلعتها البصرة فلتبلعها.. دعها.. يكفى مرضك يا شيخ.. وجنون حسن.. هل ترغب فى أن تلحق بجنونه؟!

أبو نعـــــيم: أنا لا أتوهم.. لا أكذب.. كانت هنا.. تهمس.. والرجل هنا ناداها..

بـرقـــــــوق: هيا يا شيخ هيا.. (يهمس).. اللعنة باتت كالأشباح البنت.. هل جن الشيخ.. كما جن المسكين حسن..؟!!

(إظلام ويضاء حول رابعة معها ام علقم بمقدمة المسرح..)

رابعـــــــة: وإذًا ليست دار بهاء الدين؟!

أم عـلــقــم: من أخبرك بهذا؟!

رابعـــــــة: أبو الفضل..

أم عـلــقــم: هذا قصر السيد سالم.. كفى عن ادعاء البلاهة.. لا ينقصنى هذا.. يكفينى كل شئون القصر.. وسخافات جواريه..

رابعـــــــة: سالم.. هذا الرجل الكلب إذًا يخدعنى..

أم عـلــقــم: ما الحكاية يا جارية؟!

رابعـــــــة: لست بجارية..

أم عـلــقــم: وماذا تكونين إذًا..؟!.. لم جاء النخاس إلينا بك..

رابعـــــة: ومَنْ هذا النخاس؟!

ام علـقـم: من يدعى بأبى الفضل .. هذا البرميل الواقف بالقاعة من سلمنى إياك..

رابعـــــة: (تصيح).. يا أبا الفضل.. أيها القذر..

ام علـقـم: كفى عن هذا العبث.. المفضوح.. فكبير الشرطة موجود بالقاعة.. هه..؟!

رابعـــــة: نخاس وكبير الشرطة.. وأنا أسحب لأباع كهند..؟؟! لا..

(إظلام وبضاء بأعلى حول سالم والزينى وابن حميد.. وأبى الفضل..)

ســـالم: ماذا قلت عن الاسم؟!

بهـــاء: (داخلا).. سلام الله عليكم..

ســـالم: أهلا بعدوى وصديقى..

ابن حميد: اجلس كى تشهد تحفة هذا النخاس..؟!

بهـــاء: أية تحفة؟!

ســـالم: سترى..

أبو الفضل: مولاى بهاء الدين..؟

ســـالم: حدثنى أنا يا كلب.. ماذا قلت عن الاسم..؟!

أبو الفضل: رابعة يا مولاى..

بهـــاء: رابعة..؟!!

أبو الفضل: بدر ساطع.. لبؤة..

(تدخل رابعة دائرة الضوء فى اندفاع..)

رابعـــــة: من هى تلك اللبؤة يا نخاس؟! يا أحقر أهل الأرض.. كنت أشك ولكنى..

أبو الفضل: ما هذا.. كيف نزلت الآن..؟.. هيا هيا..

رابعـــــة: دعنى ..لا تمسسنى.. ولن يمسسنى أحد منكم..

ســـالم: (مبهورا).. وإذاً فأنت رابعة..؟!

بهـــاء: (مذهولا).. رابعة؟!!

رابعـــــة: (تدرك وجود بهاء).. بهاء الدين؟!!

(تجرى نحوه).. أدركنى من هذا المحتال غرر بى..

أبو الفضل: مولاى.. مولاى رئيس الشرطة.. تلك المرأة. تلعب لعبة بعد ضياع نقودى من أجل شرائها..

بهاء: أى شراء.. من أين؟!

أبو الفضل: من سوق البصرة..

بهاء: هى من أهل البصرة..؟ هى تسكن فى حى قرب البصرة..

سالم: بل هى فى دارى.. وأتانى النخاس بها..

رابعة: لم أعرف أن الرجل بنخاس.. جئت معه الليلة كى ألقاك..

الزينى: كفى يا جارية.. لن أسمح أن تعبث بالكل هنا جارية.. وتجاريها فى العبث يا بهاء الدين..

بهاء: أى عبث..؟ هى ليست جارية.. ولتترك وشأنها..

أبو الفضل: كذب فاضح.. تبغى أن تفلت بالبنت وتخرب بيتى..

ابن حميد: يا سادة.. مادام الأمر تعقد ما بين النخاس وبين بهاء الدين والشرطة أيضًا.. فاحتكموا يا سادة للدينار..

بهاء: ماذا تعنى؟!

سالم: خلصها..

رابعة: لا.. هذا تضليل ونذالة..

بهاء: اهدئى يا رابعة.. تهون النقود..

رابعة: لن أعرض جارية أبدًا..

سالم: (يصيح بأبى الفضل).. ابدأ يا كلب..

أبو الفضل: آه.. نعم. سأبدأ.. مائتا دينار يا مولاى..؟!

سالم: (فى تحفز).. ابدأ بالألف..

أبو الفضل: ألفا - ألفا.. نبدأ بالألف..

سالم: ألفان إذًا..

بهاء: ألفان وخمسمائة..

سالم: ستة آلاف..

بهـــــاء: ما هذا يا سالم؟!
ســـــالم: سبعة آلاف
(صمت)
رابعـــــة: ويلى..
ســـــالم: إن كنت جديرًا بمواجهتى أكمل..
بهـــــاء: أزيدها.. خمسمائة..
ســـــالم: اثنا عشر ألفًا..
أبو الفضل: (بدوره).. أدركنى يا ربى.. إنى أهلك..
بهـــــاء: هذا لم يحدث من قبل..
ســـــالم: خمسة عشر ألفًا..
بهـــــاء: تلك نقود الناس..
ســـــالم: هذا شأنى.. أكمل أو فامض..
رابعـــــة: بهاء الدين.. مولاى بهاء الدين..
بهـــــاء: أزيدها ألفين..
ســـــالم: وأزيدها عشرة آلاف.. وسأمضى حتى المائة..
بهـــــاء: أفلست وبددت المال..
ســـــالم: تأدب فى دارى..
بهـــــاء: (وهو يندفع فى غضب).. ستدفع ثمنًا غاليًا يا سالم.
رابعـــــة: (تصرخ) بهاء الدين..؟!
(تجثو ويظلم حول الباقين فيما عداها تدخل إلى دائرتها أم علقم)..
أم علـــقـــم: عذرًا يا ابنتى.. ما كنت أصدق.. قد عشت الموقف ذاته وأنا طفلة.. لا مهرب مما كان..
رابعـــــة: (ترفع راسها فى ذهول).. من حلم بهاء الدين لكابوس مرعب.. آه..
(يدخل سالم دائرة الضوء مخمورًا)
ســـــالم: اتركينا يا امرأة
(تنسحب أم علقم..)

سـالـم: والآن.. ها نحن أتينا.. لنعاين بضاعتنا (يربت على ذراعها بقسوة..).. عشرون ألفا..؟! أنت نحيفة.. ما اسمك قلت؟!

رابعـة: أصبحت بلا اسم..

سـالـم: ماذا؟!.. (يدور حولها).. هل مازلت تريدين الآخر الورع الثرثار..؟ تلميذ تقى الدين.. الديك الحق لتختارى.. الديك الخبرة بالرجل الحق؟!.. لا خبرة لك ولعرفت من أكون.. أنا أملك كل الأسرار.. لا هذا الأبله..

(ينقض عليها فتقفز متنمرة)

رابعـة: دعنى.. لا تلمسنى.. لن تلمسنى.. إلا ميتة أو مجنونة.. سأمزق وجهك أو أحرق تلك الحجرة بك..

سـالـم: هذا مدهش.. (يعاود الكرة)

رابعـة: (تدفعه).. رائحتك قذرة..

سـالـم: ماذا.. أنا..؟ أنا سالم.. زينة كل رجال البصرة دون منازع.. رائحتى!.. من أنت يا بنت..؟ هل صدقت بأنى قدمت الآلاف لأجلك الأمر عناد مع هذا المغرور.. بهاء أما أنت فحشرة.. (صمت.. يترنح اكثر).. لكن بك شيئًا يا بنت.. شىء مذهل.. (يرتمى نحوها فتدفعه فيقع على الأرض فى انهيار) هكذا.. طيب يا بنت الكلب.. سأريكِ.. (ينادى) يا أم علقم يا أم..

(تظهر فى دائرة الضوء هند فى تحفز)

هـنـد: رهن إشارة مولاى..

سـالـم: (وهو يغيب).. من.. هند؟! إنى

(يغيب سالم عن الوعى.. هند ورابعة تحملق كل منهما فى الأخرى)

هـنـد: وأخيرًا يا بنت إسماعيل..

(تدخل دائرة الضوء أم علقم..)

أم علـقـم: ماذا تريدين منها؟!.

هـنـد: حساب قديم..

أم علـقـم: أتعرفينها إذاً؟!

هـنـد: أكثر من نفسى.. وسيندم مولاى إذ دفع الآلاف وغالى فى بنت شحاذ.. وها هو يأمر أن توضع فى القبو..

أم علـقـم: هو لم يأمر.. كنت أنا مثلك أتجسس وسمعت..

هـنـد: أنا سيدة جوارى القصر أقول...

أم علـقـم: (مقاطعة) وأنا ماذا أصنع.. (تدفعها امامها).. امضى أمامى...

(رابعة تستدير وتنظر حولها فى ذهول ثم تندفع فى صيحة بمنطقة أخرى بالأمام)

رابعـة: آه.. ذاك مآلى.. مع هند.. أية سخرية مرة.. أية لعبة.. لست بجارية وأباع.. وأنت بعيد تتركنى؟!

(تصيح فى استغاثة وغضب).. لماذا تركتنى..

(يضاء حول بهاء فى بقعة أخرى..)

بـهـاء: أنا ما تركتك يا رابعة.. لن أتركك..

رابعـة: (من مكانها).. كنت أمامك..

بـهـاء: والسخف.. كذلك والحمق.. ما كان يغامر بنقود الناس بمفرده أبدا.. كنت أنا أيضًا.. أدفعه بعناده..

رابعـة: (تلتف حول نفسها).. وأنا.. وأنا؟!!!

(يضاء حول الراوى)

الـراوى: سيردك رابعة إليه..

رغم نقاء سريرته يعرف.. رغم نقاء سريرته تاجر.. يدرك أبعاد المكسب والخسارة..

يعرف أن اللعبة تلك المرة تتخذ مسارًا آخر..

سالم يفقد كل نقود القافلة.. ويوشك أن يعلن إفلاسه..

(يضاء حول سالم يدور فى قلق)

وبهاء الدين.. بضمير مزدوج الهدف يعقد صفقة..

(بهاء يتجه إلى دائرة سالم)..

يعقد صفقته مع سالم إنقاذًا لموقف.. لقاء فتاته..

(سالم فى مواجهة بهاء)

سالم: ألهذا الحد.. تلك الجارية عزيزة؟!!

بهاء: نعم..

سالم: حقًا.. وقد اختارتك.. أول جارية تختار الشارى.. تهزمنى أنت.. تهزمنى أكثر من مرة رجل معشوق.. وكذا تاجر.. إنى أقبل.. لكن وبشرط.. ألا يعرف أحد ذلك..

بهاء: لك ذلك يا سالم.. (يستدير بهاء تجاه دائرة رابعة)

سالم: هذا مر(تدخل هند دائرة سالم)..

هند: ذهبت وجه النحس.. بنت الشحاذ.. وأنا الباقية على الإخلاص.. (تجثو عند قدميه).. أقبل أقدامك..

سالم: (يدفعها بقدمه).. ابتعدى.. قبل أن أرميك لأحقر نخاس.. ابتعدى.. (يظلم حولهما.. ويتقدم بهاء تجاه رابعة..)

رابعة: وأخيرًا..؟! .. كاد اليأس لفقدك يهلكنى.. كاد فؤادى يسقط ثانية فى جوف الظلمات.. ظننت ما حدث هو الخذلان..

بهاء: ياللعار..

رابعة: ما كنت لأرغب فى أن ألحق بك عارًا.. أو إفلاسًا.. لكن لم أحتمل الفكرة.. أن أجدك.. ثم أكون لغيرك أمة ومتاعًا..

بهاء: عذرًا يا رابعة.. لكن مهما طال الأمر.. ما كنت لأتخلى عنك..

رابعة: الآن أصدق..

بهاء: لكنى أشعر بالعار.. إنى فى لحظة وأمام عذابك أتراجع..

رابعة: لا تقلها سيدى.. فها أنا معك..

بهاء: ما أنا بسيدك.. أنت حرة..

رابعة: ما عدت حرة.. ما كنت لأعرف أن القلب.. يملك أكبر قيد للإنسان.. بت أسيرة.. أسيرة القلب لا يملك عنك بعادًا. أنت يا أمى وأبى.. أيها الأمل الوحيد..

(رابعة تستند برأسها إليه يجذبها صاعدين إلى العمق.. يرتفع الإنشاد. حيث يضاء خلاله حول بهاء ورابعة فى فى أكثر من بقعة ضوء يتحركان..)

وتخللت مـسلك الروح منى

وبه سـمى الخليل خليـلا

فـإذا مـا نطقت كنت حـديثى

وإذا مـا سكت كنت الغليـلا

(مع نهاية الإنشاد.. ومع آخر بقعة.. تدور رابعة حول بهاء كطائر)..

رابعـــة: إنى سعيدة.. وكم ساءلت النفس كثيرًا..
ما السعادة؟!!
أدركت الحـرمـان.. ورأيت الحـرمـان يبدد أطيب ما فى الناس هنالك فى الحى.. لكنى ما كنت أصدق أن سعادتنا فى ملبس أو فى مأكل.. بل هى هذا الشىء.. أنهار تتفجر فى النفس.. أنهار من نور.. وهواء.. حين تكون جوارى مستلقيًا تتنفس.. حين تكون بعيدًا عنى وأتوق إليك، حين يكون هواء الحجرة أصداء للصمت القدسى العذب وأنت معى، حين يذوب فؤادى بفؤادك فى نبض واحد.. آه يا بهاء أحياناً لا أحتمل سعادتنا.. تبدو مثل الحزن هائلة..

بهـــاء: ما أسعدنى بهنائك..

رابعـــة: تقولها وكأن بنفسك حزنًا..

بهـــاء: أقهر أحزانى حين أراك..

رابعـــة: بل ثمة شىء يشغل محبوبى..

بهـــاء: (يطرق).. لا شىء.. سوى أنى حين نظرت سعادتك الآن وددت لو تدوم..

رابعـــة: وما الذى يحول دون ذلك يا حبيبى..؟!

بهـــاء: تلك الدنيا..

رابعـــة: ما دمت معى لا أخشاها..

بهــــــــاء: لكنها قليلة الصدق يا رابعة.. والسوق هنالك علمتنى أن الشر بها غالب.. والخير ضعيف.. والإنسان بضجة هذه السوق.. لا يدرى ما تحمله الأقدار..

رابعـــــــة: لا يا حبيبى.. كيف يجىء الشر لمن لا يعرف إلا نور الخير.. لن ينتهى ما نحن فيه.. لسوف يدوم.. (تحتضنه بقوة).. لسوف يدوم..

(إظلام ويضاء حول سالم والزينى وابن حميد)

ســــــالم: أنطق بذلك هذا الكلب؟!

الـــزيـــنـــى: هل سبق وكذب الزينى..

ابن حـمـيـد: هذا ما قال بهاء الدين أمامى وأمام كثير من تجار البصرة..

ســــــالم: هو أنقذنى؟!.. سلمت البنت له صاغرًا؟! ليواجهنى إن كان رجلا..

الـــزيـــنـــى: لا.. هو ليس يواجه.. هو أكثر لؤمًا.. وانظر ما يجرى فى السوق..

ابن حـمـيـد: نعم.. يحاربنا سرًا.. كل التجار. ارتفعت أسعار غلال الدنيا.. ما ذنب التجار.. لكن هو يسعى لكى يضرب أسعار السوق..

الـــزيـــنـــى: بل أخطر من ذلك بكثير.. ووصل لسمع أمير البصرة أمره إذ يسعى وتقى الدين.. ليؤلبا كل السفلة ضد رجال السوق..

ســــــالم: لا يعنينى هذا كله.. لا يعنينى إلا أن بهاء الدين أصبح يترصد لى علنًا بالحق والباطل.. أنقذنى.. والجارية الملعونة.. ذهبت منى غصبًا.. ولا أحد يرد عليه..؟! تسمع بذلك يا ابن حميد وتسكت؟!.. لكنى لن أسكت.... (يقتحم البقعة حسن فى حالة رثة وذهول وبرقوق خلفه يجذبه وهو يقاوم)

برقـــــوق: لا يا حسن..

حـــــسن: دعنى.. هذى دار الشيطان..

الـــزيـــنـــى: ما هذا.. من أين أتى الكلبان؟!

ســــــالم: دخلا من أين؟!!

حـــــسن: أين الملعونة.. دفعتنى للحب المظلم.. ومضت ترقص لك.. ترقص للنار وبالنار.. تلك الماجوسية..

سـالـم: ما هذا يا زينى؟!

الـزينـى: (هامسًا).. بالقطع لصوص.. أو من غوغاء تقى الدين اهدأ لا تهتم الآن..

برقـوق: هو سيد مختلط النفس عفوًا.. حاولت أن أمنعه لكن (يجذب حسن).. هيا يا حسن.. هيا يا ابن الناس..

حـسـن: دعنى يا لص.. أنا لست بمختلط النفس ولا مجنون.. أنا حسن الطيب.. أنا حسن الهادى.. جئت لأنقذها من حضن الشيطان.. أنا حسن الحمال.. أكسب قوتى بالعرق وأحميها.. شهم طيب.. يغرقنى عجزى وشبابى التافه..
(يتسلل الزينى نحو حسن).. هذا ما قلت رفضتنى إذ أنى طيب.. رفضتنى إذ أنى عاقل..

الـزينـى: (وهو ينهال ضربا على حسن).. كفى تمثيلا يا محتال.. هذا أسلوب للسرقة أعرفه.. يا أولاد الأفاعى..
(ينفجر حسن فى بكاء طفولى).. كيف..؟!!

برقـوق: (يندفع نحو الزينى ويمسك بيده).. لا تضربه.. دعه وإلا مزقتك..
(يتراجع الزينى ليستل سيفه.. برقوق يستل سكينا يشهرها عليه)

برقـوق: دع سيفك.. أولا يكفى ما هو فيه.. حتى تنقض عليه كمثل الثور.. هو ليس بلص أو محتال.. لا يا كبير الناس.. يا محترم.. أنتم اللصوص.. أنتم من سرق فتاته.. حتى جن.. سرقتوها من عجوز يحتضر فى سكرات الموت الآن.. ينادى يا رابعة:

سـالـم: رابعة؟!!

برقـوق: نعم يا فحل التجار.. أو لم تشترها.. لكن هو دفع الثمن الغالى لا أنت.. أنت أيها الجالس كالقنديل المضىء.. ينز زيتًا نتنًا.. اتفوه عليكم جميعًا.. وتضربونه يا سادة.. يا قمامة.. قم يا حسن..

الـزينـى: أنت اسمك برقوق.. لص.. وأنا كبير الشرطة.. أعرفك..

برقـوق: طظ..

الــزيـــنـــى: ولن تفلت منى

بـرقـــــوق: وأنا إكرامًا لك.. سأكون جديرا بعدائك.. سترى منى من اليوم لصًا أكبر.. فى حجم كبار اللصوص.. لصوص البصرة.. هيا بنا يا ولد هيا..

حـــــسن: (باكيًا).. دعنى.. تناديني أن أنقذها.. ترفضنى وتحقر شأنى.. لكنى لن أتركها..

(يجذبه برقوق ويمضيان)

حـــــسن: أنا حسن الطيب.. أنا حسن الحمال.. (يختفيان)...

الــزيـــنـــى: هذا من فعل تقى الدين.. بدأ يؤلب غوغاء

ســـــالـم: لا.. بل من فعل بهاء الدين.. أرسل هذين الكلبين لقتلى

ابن حـمـيـد: أترى ذلك؟! آه...

الــزيـــنـــى: دعنى لأسوى الأمر..

ســـــالـم: لن أنتظرك.. أنا من يتكفل به.. (يتقدم وحده). وستأتى ساعتها تلك الجارية وتركع..

(إظلام وبضاء حول بهاء الدين والشيخ تقى الدين)

تـقـى الـديـن: أسعار غلال البصرة تتصاعد فى حمى وجنون ونحن هنا نتحدث.. لا شىء سوى كلمات..

بـهـــــــاء: هذا مخز حقًا لى.. هذا مخز يا مولاى.. لكن؟! إنى جد حزين..

تـقـى الـديـن: لا يكفى أن نتحدث فى هذا يا بهاء.. لا يكفى أن تنظر فى صمت والقلب حزين.. ماذا تجدى الفقراء بصمتك هذا حتى لو كان القلب حزينًا؟!.. الويل هنالك يقبل بهاء.. أرى كابوسًا يوشك أن يهبط ويغطى أكواخ البصرة وأرانى أشهد تجار البصرة فى وسط الكابوس.. يلغون فى دماء الفقراء ضاحكين..

بـهـــــــاء: ما أبشع هذا حقًا.. أن تتحول آلام الناس كنوزًا فى أيدى التجار.. لكن ويحى.. أنطقها وأنا تاجر.. أدركها وأنا تاجر..

تـقـى الـديـن: ولن تتحول آلام الناس وجوع الناس كنوزًا يا بهاء فحسب بل تتسع بها دائرة جنون البصرة وتفيض.. دائرة اللهو المجنون.. ودائرة

الآثام.. دائرة القــهــر لكلمــات تنذر.. دائرة الزهد الموغل فى اليأس.. وفى النكران.. تتسع بها دائرة العميان وتشملنا الظلمة يغرق فيها الصالح والطالح دون أى استثناء...

بـهــــــاء: رفقًا يا مولاى.. ما أبشع هذا.. لن أفلت ياربى من هذا الإثم لكن مـاذا يمكننى أن أصنع يا مـولاى؟! أخـرجت غـلالى كل غـلالى خـرجت للسوق وللباعـة.. وكذلك حدثت كبيـر التجار كى يجمع أمـر التـجـار عل خـوف الله بتلك الأيام الجهـمـة وكـذلك حـدثت التجـار وأغلظت لهم فى القـول حتى ثارت ثائـرة التجـار جميعًا ضدى.. وكأنى خائن.. ماذا يمكننى أن أصنع بعد؟!!

تـقـى الـديـن: لا تنتظر التـجـار.. افـعل شـيـئـا أنت.. فى وجـه الجشع الزاحف جوعًا نحو الفقراء.. أنا لست بتاجر.. أنا رجل يدعو للتقوى لا أكثر من ذلك.. أما أنت فتملك أن تصنع شيئًا..

بـهــــــاء: حقًا يا مولاى.. (صمت) فلأجمع كل نقودى وأسـافر للشام صباحًا وأعود بأكبر قدر من غـلال.. وأوزعها وبنفسى بين الباعـة حتى لو ضاعت كل نقودى بعد.. وسينكسر غلاء السوق بإذن الله..

تـقـى الـديـن: الآن بدأت تقاوم هـذا الشـر بيـدك وليس بأضـعـف آيات الإيمـان باركك الله وبارك فى عمرك..

(إظلام وبضاء حول رابعة وام علقم)

رابعــــــة: (تتحرك فى قلق).. تأخر محبوبى الليلة..

ام عـلـقـم: يالك من طفلة..

رابعــــــة: (تقبلها فجاة).. أوحشتنى مرآك.. ما أكرمه إذا أحضرك لى..

ام عـلـقـم: شاب طيب.. دون شبيه فى البصرة..

رابعــــــة: هو أكـبـر من أى كـلام.. (فى قلق).. لكن غـاب الليلة.. غـاب. لا أحتمل غيابه.. شوقى لا أحتمله.. الشوق قريب من لهب النار..

(يسمع ابتهال مشوق عن بعد ثم يقترب. تطل رابعة فى فضول..)

رابعــــــة: يا أم علقم.. أسرعى إلى هؤلاء بطعام ونقود..

أم علقم: ليسوا شحاذين..

رابعة: لكن تلك الأسمال..

أم علقم: هم مثلك مشتاقون..

رابعة: مشتاقون تقولين؟!

أم علقم: لكن لله.. تركوا الدنيا بكل مطامعها ومتاعبها.. لا يعنيهم شىء سوى شوقهم الدائم لله.

رابعة: حقًا..؟ (تشرد) ولكن ويلى.. جعلونى أتذكره.. لقد رأيته.. مررت به وفررت..

أم علقم: منْ يا بنية؟!!

رابعة: الرجل الطيب.. ويحى يا أبا نعيم.. لا.. لا يا أم.. يجب ألا أتكدر.. حتى لا أفسد فرح حبيبى.. فلأفرح حتى يفرح.. فلأتهيأ بالقلب صبيًا من أجله.. لا أملك إلا هذا.. لا أملك إلا أن يرضى..

أم علقم: هذا مولاى.. (تنسحب ويدخل دائرة الضوء بهاء الدين)

رابعة: لم أنت تأخرت..؟!

بهاء: أخرنى بعض الوقت ذهابى للشيخ تقى الدين..

رابعة: وإذًا فهو تقى الدين.. أغار كثيرا من هذا الشيخ..

بهاء: لو أنت تعرفت عليه لأحببتيه..

رابعة: ماذا يجذبك إليه؟!

بهاء: يجذبنى نحو الشيخ تقى الدين ما يؤلمنى من أحوال الناس يجذبنى نحو الشيخ ما يحزننى من أحوال البصرة يا رابعة ويشقينى.

رابعة: ولماذا تحمل همًا لكل شىء يا بهاء؟!
لماذا تتغصك نقائص أهل البصرة؟! مادمت حبيبى أنت بغير نقيصة.. مادمت الطيبة والنبل..

بهاء: لا يا رابعة.. لا.. ما خلق الله المرء ليتباهى بالطيبة أو بالنبل.. بل كى يطلبها فيما حوله وإلا.. كيف تطيب حياة المرء إن كان سويًا والعالم مختل حوله؟!! يموج بالضلال والجشع؟! يضج بالأكاذيب

والظلم والعذاب.. تحكمه أهواء دنية.. كيف تطيب حياة المرء إن كان سويًا فى دنيا لا تعرف الرحمة ولا للعدل ولا للحب سبيلا..

رابعـــــة: ياالعناء حبيبى من هذا العالم.. من لى بمن يرفع ذلك عنك يا بهاء؟!! آه لو أملك شيئًا أصنعه يريحك من هذا كله.. أترى الشيخ هنالك يملك؟!!

بهـــــاء: هو لايملك شيئًا لا يملكه أى منا.. فقط هو يملك أن يحتكم دواما إلى كلمات الله..

رابعـــــة: لكن.. ما شكله؟!! أهو كمثل الزهاد فى ثوب بال..؟!!

بهـــــاء: بل هذا ما يرفضه.. وكما يرفض كل مباذل أهل البصرة..

رابعـــــة: وإذًا ماذا يقبل؟!

بهـــــاء: ما يقبله العقل..

رابعـــــة: لكنى معك يا حبيبى.. لا أقبل إلا ما يقبله القلب.. هل يقبلنى فى تلك الحالة؟؟

بهـــــاء: يعرف عنك الآن الكثير.. وحين أعود سنذهب لنزوره..

رابعـــــة: تعود.؟!

بهـــــاء: سأسافر يا رابعة صباح الغد..

رابعـــــة: تسافر أنت.. لم؟!

بهـــــاء: أزمة أسعار القمح.. توشك أن تطحن أهل البصرة بسبب الطمع وجشع التجار.. أخذوا كل غلال البصرة تقريبًا.. ولذا سأسافر لأجيء بما يكفى حاجة كل الناس..

رابعـــــة: ولماذا أنت.. لماذا أنت؟!

بهـــــاء: قدرى أنى ذو عقلين.. عقل للتاجر.. والآخر يخشى الله... وذلك أمر فادح لرجل يحيا فى البصرة وكم راودنى الأمل كثيرًا أن أفلت من هذا المأزق.. أفلت من دائرة السوق الملعونة.. كى تنعم روحى بتوحدها وبمنأى عن هذا الهم.. ثم أعود لأدرك أن لا.. فذاك هو السبيل للاختيار.. كى يثبت أنى مع نفسى ما كنت بكاذب..

رابعـــــــة: ولكن إن لم تفعل ماذا يحدث؟!!

بهــــــاء: قد تدرك فقراء الناس مجاعة..

رابعـــــــة: قلت مجاعة؟!.. مجاعة يا بهاء؟!

(تستدير متجهة إلى العمق فى بطء ويرتفع صوتها بأصداء متكسرة)

رابعـــــــة: أقدام..أقدام.. أقدام.. تتلاطم.. ما هذا الهول..؟!.. حبات غلال تصرع جوع الجوعى كانت حبات غلال والطيب يسقط ويداس.

بهــــــاء: ماذا بك؟!

رابعـــــــة: (تعود مهرولة نحوه).. لا أحتمل فراقك لكن لتسافر.. لا أحتمل الفكرة.. لكن لتسافر.. من أجل الناس فلتسرع. وتعد.. عد لى وبأسرع ما تملك.. لن يطرف لى جفن.. حتى ألقاك

(ينحصر الضوء حول بهاء الدين.. ترتفع دفوف يستدير إلى الداخل ويصعد إلى العمق ليتحول إلى سلويت يمتطى فرسًا. يضاء حول الراوى وتزداد دقات الدفوف.. تمهيداً لإنشاد لم يتصاعد بعد..)

الــــــراوى: بهاء الدين المعشوق. التاجر والطيب.. يشرع فى الرحلة.. لكن.. داخل دائرة مرسومة ووسط الدائرة تمامًا قلب يتأجج...

(يضاء حول رابعة تجلس تجاه السلويت إلى الداخل)

الــــــراوى: تتهشه اللحظات بطيئة..

رابعـــــــة: عد لى..

الــــــراوى: وعلى طرف الدائرة هناك.. من ينتظر سوى رابعة ويترقب.. (يضاء حول برقوق والصدفى وشنن).. ينتظرون خلاصا من جوع قادم..

الصـــــدفى: عادت أيام المجاعة.. يا وجوه النحس.. وهاأنتم مابين محتضر ومجنون.. ولص عاطل..

برقـــــوق: عادت كى يرتع أمثالك آه.. لولا أن الكلب الزينى ذاك يحاصرنى ويطاردنى بكلابه.. كنت ملأت الحى غلالا من بيت أمير البصرة نفسه.

شـــــنن: يقال بأن هنالك تاجرًا سوف يوزع غلاله.. صدقات

أم هـــنـــد: (تأتى تتحسس طريقها).. كذب وهراء..

شــــــــن: قد يدركنا قلب طيب..

أم هـــنـــد: لا أحـد هنالك يدرك أحـد يا بلهـاء.. ولى نور العـينين ولى مع هند.. لكن بقى برأسى عـقل يدرك ألا شىء هناك.. مـا حـال الشيخ الآن؟!!

بـرقـــــوق: يموت ويطلبها مازال... اللعنة على هذا كله..

شــــــــن: فلتدركنا ألطاف الله.

رابعــــــة: (من مكانها).. عد لى.. عد للمنتظرين.. وعد لى

الـــــراوى: (من مكانه).. وعلى الطرف الآخــر للدائـرة هنـاك من ينتظر كذلك.. كى تكتمل الدائرة وتغلق..

(يضاء حول الزينى وسالم)..

الـــزيـــنـــى: وإذًا ذهب ليأتى بغلال كالجبال.. يضرب كل التجار.. ويطعم كل البصرة..؟!

ســــــالم: بل ذهب ليعلو كالنجم.. يصبح أسطورة أهل البصرة من جوعى ورعاع.. هو يمضى الآن ويسرع.. أسـرع أسرع يا صـاحب أسرع.. أسرع.. لكنك لن تصل ولن ترجع.. لن تعود..

رابعــــــة: عد لى. انس حبيبى يا قمر حتى يعود

شــــــــن: فلتدركنا ألطاف الله.

رابعــــــة: عد لى.. عد للمنتظرين.. وعد لى..

شــــــــن: فلتدركنا ألطاف الله.

رابعــــــة: عد لى..

ســــــالم: (يصيح بحدة).. هو لن يعـود.. (يرتفع الإنشاد بقـوة صـارخة.. وتنهال سيوف متلاحقة على بهاء الدين فى السلويت.. وخلال ذلك رابعة تنكمش وهى تلتف على نفسـها وبقـوة (ومع إظلام السلويت تندفع صـارخـة وهى تدور)

رابعــــــة: لا.. لا..

(أم علقم تتلقفها وهى ترتمى منهارة)

رابعـــــة: لا.. لا تمت .. لا يا حبيبي.. لا تمت.. وكيف تقبل أن تموت..؟!
آه.. أي جنـون آثـم.. لطـخ وجـه العـالم بدمـاك.. دمـاك دمى..
يا حبيبي يا أمي وأبي.. يا طفلي المعبود الأوحد..
يا حبيبي..

رابعـــــة: (تحتضنها بقوة).. يابنيتي.. يا حبيبتي..

أم علـقـم: آه يا أم.. هاقد أنكرني.. لم يا بهاء.. أعدت تنكرني يا حبيبي..

رابعـــــة: ما عدت تبغي رابعة.. لم؟! لماذا جفوتني.. ومالي غير بسمة العينين منك.. تدفئني وتحنو.. لم عدت تنكرني لم؟!!

أم علـقـم: أجرها يا إلهي..

رابعـــــة: (تندفع بعيداً).. ما من مجير.. ما من مجير..

أم علـقـم: (تلاحقها).. الصبر الصبـر.. تعالي إلى صدري.. أخلدي للنوم لحظة.. ذاك قضاء الله..

رابعـــــة: (تصرخ). أي قضاء..؟ أي قضاء.. أن أقتل لحظة ميلادي.. أن تفقأ عيناي وتحجب عني الرؤيا حين يحبيء شعاع... أن ينغرس السيف بقلبي لحظة أن يتعلم كيف يغني..؟؟.. أي قضاء يا كف الموت العمياء الشريرة.. تختطفين حلمي دون نذير.. من لا أملك في يتم سنيني الآه.. طفلي الأوحد.. بعد سني العقم.. زادي وملاذي.. مَنْ كان الزهرة في صحراء الجدب وكان الماء.. مَنْ كان سراجي والمرفأ والظل.. من كان الخل وفيا.. ورءوفًا.. من كان حنانًا لا يعرفه زمن القسوة.. من كان ندى وضياء.. صبحا وضاء ونقاء لا يعرفه زمن القوادين النخاسين.. آه يا ويلي الآن مضى.. والشمس سقطت عن سمائي والقمر.. حل الظلام.. الآن مضى وتحول هذا الكون ركامًا فوق ركام.. كي يطويني ليل الأهوال.. الان مضى وتحول هذا العالم ثانية للقبح وللأوحال.. والعود محال.. العود محال مات حبيبي.. والعود محال..

(ستار)

الفصل الثالث

الـــــــــراوى: خلف بهـاء الدين الحلم.. كـانت رابعـة العـدوية تمضى.. حتى
أدركت الحلم وأدركها..
لكن يا للحلم..
الحلم انكسر بلحظة.
الحلم تبدد..
فيالضياع الحلم هنالك فى ليل البصرة..
فالبصرة لا تعرف لغة الأحلام..
البصرة يقظة مميتة.. مروعة..
البصرة قاتلة الأحلام..
البصرة..
(يستدرك. صمت)
وقتل بهاء الدين..
لكن لم قتل بهاء الدين؟..
فلنسأل حتى نعرف...
(يضاء حول جمع فى سوق بينهم سالم وتجار وعامة)
ولذا.. فلنسأل.. فلنسأل لم قتل بهاء الدين؟!
هل قتل بهاء الدين الطيب من أجل العدوية؟!
أم قتل بهاء الدين الطيب من أجل غلال الناس بمعركة التجار..؟!!
أم قتل بهاء الدين ردعًا للشيخ تقى الدين وكلماته؟!!

أم هو حادث وكما نقرأ فى الصحف اليومية يد لص هى والصدقة؟!!
الشىء الثابت يا سادة فيما كان أن بهاء الدين التاجر والطيب.. كان نتوءًا شاذًا فى وجه البصرة والتجار.. نتوءًا لاتحتمله.. كان عليه أن يموت.. ولذا صدر الحكم كقانون كونى.. مبهم.. فليقتل تاجرها الطيب..
فهذا النبل غريب فى دنيا التجار ودنيا النخاسين..
لفظ لا تحتمل عقول البصرة معناه..

تاجـــــر: رحم الله بهاء الدين.. رحم الله بهاء الدين..

الـــــراوى: ووجوه الجوعى تتحسر..

أصـــوات: لم قتل بهاء الدين؟!

الـــــراوى: وجوه القتلة تترحم.. ووجوه الجوعى تتحسر.. ووجوه البصرة مازالت لم تكتشف كاملة للعدوية بعد..

(يضاء حول رابعة)

إذ هى تجلس فى قاع البئر.. بئر اليأس الغائر دون قرار.. واللعبة مازالت تجرى.. اللعبة مازالت أوسع..
لم تدرك رابعة العدوية بعد.. كل الأبعاد..

رجـــــل: ولماذا يقتل هو بالذات؟!

آخـــــر: خرج ليدرك جوع الناس..

آخـــــر: خرج ليدركنا من جشع السوق..

آخـــــر: لم قتل بهاء الدين؟!

ســـــالم: نعم لم قتل.. وكيف؟!!

ابن حـمـيـد: فعلة شنيعة...

ســـــالم: ألا من أحد يحمينا من اللصوص فى تلك البلدة؟!

تـاجـــــر ما كان يجب أن يخرج بهاء الدين وحده..

ســـــالم: هل يحتاج المرء لجيش بجانبه كى يمارس تجارته؟!

تـاجـــــر: ما عاد هناك أمان..

تاجـــــــر: رحم الله بهاء الدين..

الـــزيـــنـــى: تعازى يا تجار البصرة.. وسآتيكم بالقاتل..

ســــــالم: وماذا نفعل بتعازيك يا كبير الشرطة.. فقدنا أنبل شبان البصرة.. أكثر تجار البصرة شرفًا ونزاهة أعظم منْ كان.. (فى افتعال شديد)..

(يختفى الباقون.. ويكون سالم قد أصبح فى مواجهة رابعة..)

ســــــالم: (بعد صمت) رابعة.. جبت البصرة والكوفة بحثًا عنك..

رابعـــــــة: جئت لتشمت..؟!

ســــــالم: حاشاى أمام الموت تهون خلافات الرجال.. ففؤادى جد حزين لضياع بهاء

الــــــراوى: ووجوه القتلة تترحم..

تاجـــــــر: مات لكى يدركنا..

.. لكن الحزن عليك كذلك جد ثقيل..

رابعـــــــة: الحزن.. عقم هذا الحزن.. أنزف حزنًا.. أنهارًا وبحارًا من حزن.. لكن لا يرجع لى حزنى هذا محبوبى..

ســــــالم: وإلام؟!

رابعـــــــة: حتى أهلك..

ســــــالم: هلكت الدنيا دونك.. ما معنى هذا.. ما أقصى ما يمكن أن نفهم من ذلك؟!.. لا شىء سوى أن العالم هذا يتحدانا.. ما أن يعطيك رجاءك حتى يسلبه.. العالم هذا قاس ومخادع.. مثل السوق.. فلتتحديه.. والأبله من لا يفعل ذلك.. وأنت.. ما كنت بلهاء.. قنديل ذهبى من الجمال والذكاء أنت رابعة..

رابعـــــــة: بل كان القنديل.. بهاء.. حطم هذا العالم قنديلى.

(ترتمى بجسمها كله على جذع الشجرة فى وجد)

آه..

رابعـــــــة: كان نبيلا.. (تقف فى بطء).. ورءوف القلب وطبيب.. لكنى سوف أكون النار وحد السيف متحدية هذا القدر.. القاسى.. سكرًا

وجنونًا.. لهبًا فى الدم.. وسأقهر كل الذكر.. حتى ذكرى الموت..

(إظلام وترتفع موسيقى صاخبة.. وبضاء حول الراوى)

الـــــراوى: سكراً.. وجنوناً.. لهبًا فى الدم.. (إظلام وبضاء حول رابعة فى زى فاضح وبيدها كأس)

رابعـــــة: لا وقت بعد للانتظار..

(تطيح بكأسها فى الهواء..).. أسرع بالكأس الأخرى يا أبلد ساق.. هيا الموسيقى فلتصرخ أكثر.. (تعلو الموسيقى وأصوات رجال)

رابعـــــة: (تتحرك كأنما تخاطب الجميع وتداعبهم).. وليستيقظ هذا العجل هناك.. وذاك التيس الفاغر فاه.. هيا وأفيقوا مع رابعة الليلة.. فسنقهر جند النوم دوامًا فى ليل البصرة.. هيا وأفيقوا وأنت هنالك يا سالم هيا.. هيا يا فحل البصرة ستبارز رابعة الليلة بالأقداح.. من يصمد فى وجهى بعد..

(إظلام وبضاء حول الراوى ومازالت الموسيقى)

الـــــراوى: فى القاعات وفى الخلوات فوق السفن الملتهبة بالصخب.. والرغبة.. حتى فى أحقر حانات البصرة..

(إظلام وبضاء حول أبى الفضل راكعًا على ركبتيه)

أبو الفــضل: سيدة البصرة فى الحانة..

(تظهر رابعة فى بقعة الضوء ويتعالى صخب سوقى لجمع حاشد...)..

رابعـــــة: وهانحن نلتقى يا أبا الفضل الجميل..

أبو الفــضل: يالسعادة من أنجبنى..

رابعـــــة: تيس وكلبة.. يا أحقر نخاس فى البصرة.. هأنذا جئت لحانتك النتنة.. كى أرقص حتى الفجر

أبو الفــضل: ياللعيد.. ياللعيد المجنون..

رابعـــــة: (وهى تجذبه من ذقنه حتى يصبح على أربع)

لكنى لن أرقص إلا راكبة.. (تركب على ظهره).. فلأركب هذا الجحش العنابى يا أولاد.. وسأرقص من فوقه..

أبو الفضل: (يدور بها والصخب يتعالى).. عيدك يا سيدة نساء البصرة.. جحشك يا سيدة جميلات البصرة.. يا للبهجة.

رابعة: ابتهجوا مثله.. ابتهجوا يا أوغاد الحانة.. ياكل حثالات البصرة.. أنا ذى رابعة العدوية أجمل منّ فى البصرة.. أشجع من فى البصرة.. سوف أراقصكم وأغنى لكم حتى الصبح.. من فوق الجحش من فوق الجحش..

(إظلام مع استمرار الموسيقى حول الراوى)

الراوى: لكن أى تحد ذلك يا رابعة.. العدوية.؟!! (يضاء حول رابعة ترقص وحولها شعلات وبالخلف ما يوحى أنها على ظهر سفينة.. حولها تترنح من السكر مجموعة نشهد وسطها سالم والزينى وابن حميد ورابعة تجذب شعلة وتداعبهم بها فى قسوة وهى ترقص)

رجل: (يصيح من النشوة ويزحف عند قدميها)
.. أطرت عقلى يا رابعة.. والله قد طار عقلى.. هل شاهد أحد منكم عقلى؟!

رابعة: (تدفعه بقدمها ليبدو وقد سقط خارج السفينة)
ابحث عن عقلك فى القاع.. (ضحك وصخب والبعض يجذب الرجل ليصعد.. رابعة تجلس وبيدها الشعلة تضحك)

رابعة: لأول مرة تسكر يا تلميذ القاضى..

الرجل: معك وحسب.. معك وحسب..

رابعة: أضعت حياتك مع قاضيك بعيدًا عن متع الدنيا..

سالم: هو مشغول بالعدل..

رابعة: وما أسعار العدل الآن بحانوت القاضى فى تلك الأيام؟!

الرجل: العدل أم الجمال يا جميل؟!

رابعة: (تجذبه من لحيته).. كلاهما يا هدهد..

الرجل: الجمال لا يقدر.. أما العدل فحسب الطلب.. (ضحك)

رابعة: (تقوم فجاة وبيدها الشعلة).. وما رأيكم فى أن نشعل فى تلك المركب..

سـالم: تفعلها والله.. مجنونة.. هى مجنونة وأنا أعبد هذا الجنون..

رابعـة: ايه يا سالم أين جسارتك؟!!

ابن حميد: فقدها منذ عرفك..

رابعـة: إذاً دعنا نسأل رجل الشرطة

الزينى: (فى وله مخمور).. افعلى ما تشتهين يا رابعة.. ما تشتهين.

رابعـة: ألن تسجننى يا زينى؟!

الزينى: أقتل من يلمسك..

ابن حميد: (يصيح).. الشرطة تحب رابعة.. الشرطة تحب رابعة.. الشرطة والقضاء والقوافل كلها من عند البصرة حتى الشام..

رابعـة: إنه يكذب..

الزينى: أنا لا أكذب..

رابعـة: طيب.. هل حدث وإن قبلت يد سيدك أمير البصرة..

الزينى: لا...

رابعـة: هل ستقبل يد رابعة إذاً.. (تمد قدمها تجاهه)

الزينى: (يزحف ويقبل قدمها).. بل قدميك الرائعتين..

رابعـة: أرأيت يا سالم.. هنالك منْ يحبنى أكثر منك..

سـالم: لا أحد أكثر منى.. لا.. وأنا الجبار أمامك عبد..

رابعـة: لنر ما يحسم ذلك دون كلام..

الزينى: لنحتكم إلى السلاح..

سـالم: لنحتكم إلى السلاح..

(يقومان فى ترنح ويتبارزان فى ترنح أشد وسط تهليل الآخرين.. رابعة تجذب منهما السيفين وهى تندفع إلى الأمام صائحة..)

رابعـة: إيه أيتها البصرة.. رجالك تافهون..

(إظلام فيما عدا ما حولها حيث تجثو فى إعياء وسكر)

رابعـة: (ترفع رأسها منادية).. أم علقم.. أنت يا امرأة..؟!

(تدخل أم علقم دائرة الضوء..)..

رابعـــــــة: أين كنت؟! نمت.. أم مت يا امرأة..؟!

أم عـــلـــقـــم: لا أنام حتى أطمئن عليك..

رابعـــــــة: تملق رخيص. رخيصة.. أنت ولذا لا تستحقين الموت.. الموت الغالى..
(صمت).. أين المدعوة هند؟!
عدت لتلك الدار ولم أرها منذ عدت..

أم عـــلـــقـــم: مرضت..

رابعـــــــة: مــرضت هند؟!.. لكنهــا أيضًــا لن تموت.. الموت لا يقــتنى إلا الجواهر.. (تصيح) أغربى عن وجهى.. (تتحـرك ام علقم فتناديها رابعة ثانية فى همس).

رابعـــــــة: يا أم علقم.. إنهم تافــهـون.. وهـذا كله مــقــزز.. (تمسك ببطنهـا وتستدير إلى الداخل).. أحس بالغثيان..

أم عـــلـــقـــم: لماذا تفعلين هذا إذًا إن كان لا يرضيك..؟!

رابعـــــــة: ومـاذا أفعل؟!.. هذا مـا بقى.. حياة تافهة.. ومتع تافهة.. ورجـال تافهون.. وما عدا ذلك يفنى لا يدوم.. (تصرخ). وكلها قيود.

أم عـــلـــقـــم: رابعة..؟!

رابعـــــــة: قيود لم أبرحها.. قيـد تلو الآخـر.. (تتحـسس جسمهـا فى تقزز).. آخـرهـا هذا الجسـد المتمـرغ.. ويل لى منـه.. لزج وعـقـيم.. وكل شىء عقيم..

أم عـــلـــقـــم: اهدئى.. نامى وسيقضى الله بأمره.. (يقترب صوت الابتهال السابق ويختفى ترفع رأسها تجاه القمر بالعمق..)

رابعـــــــة: انظرى يا أم فى السماء.. هذا القمر هناك..

أم عـــلـــقـــم: مكتمل رغم السحب.. جميل.

رابعـــــــة: لا.. بل هذا القمر سعيد.. هادئ.. ونقى اذ هو بعيد عن الجحيم. لو هبط إلينا لاحترق.. بعيد.. بعيد.. يرفل فى بياضه الناصع.. كل شىء بعيـد عن دنيـا الناس.. يرفل فـى النعـيم.. الحـيـوان الأعجم.. الماء والشجر.. دوى الريح.. جميعها سعيدة.. ترفل فى

وحدتها بعيدا عن عالمنا المتسخ.. آه .. يا أيها القمر.. كم كنت أنيسى وصديقى.. والآن.. أدر وجهك عنى..

رابعة: فأنا قد بت نفاية.. (تصرخ).. إلىَّ بكأس..

(إظلام وبضاء حول أم هند والصدفى وشنن)

أم هند: رحم الله المسكين أبا نعيم

الصدفى: ارتاح..

شنن: لآخر لحظة كان يردد اسم البنت.. ويطلب غفران الرحمن إذ لم يملك هذا العجوز البائس أن يحميها..

الصدفى: ملعونة.. ما كانت تأتى لو علمت.

أم هند: حاول برقوق بآخر لحظة.. لكن مطاردة الشرطة له أفسدت الأمر.. ما أن مات الشيخ حتى قبض عليه..

شنن: آه.. منذ هرب من السجن.. ماعدنا نسمع غير حكايات عنه..

أم هند: وهداياه إليكم..؟! ألا تذكرها يا شنن.. لم ينس أهل الحى هذا الولد الطيب..

شنن: أذكر طبعًا أذكر.. لكن أعنى.. أف.. بالله أنا أخشى أن تدهمنا الشرطة ذات مساء خلف الرجل الآتى بهداياه المنهوبة..

أم هند: أتأكل أنت وحسب.. ولا تتحمل شيئًا قط.. وعلى كل ما عادت سرقاته فى نظرى سرقة..

الصدفى: لكن مَنْ كان يصدق أن اللص التافه هذا. يتحول شيئًا يرعب تجارة البصرة.. برقوق.. لص قوافل وله أعوان ورجال..؟!

أم هند: آه.. لو كانت لى قوة رجل مثلك يا برقوق لفعلت كما تفعل فى وجه البصرة.. من أخذت بنتى.. تلك البلد المتوحشة..

شنن: يبدو أن عداء.. رئيس الشرطة لبرقوق منذ اشتبكا وبسبب حسن كانت بداية ما حدث..

(يلوح حسن مقبلا فى عظمة جنونية)

الصدفى: (يشير إلى حسن) جاءت سيرته فأتى وبكل جنونه..

أم هـــنـــد: جاء حسن؟!.. يا للمسكين.. ألمى لجنونه يعدل ألمى لفراق البنت..

حـــســن: وصلتنى رسالته.. وصلت.. أرسل يخبرنى.. ستمطر ذهبا تلك القبة سوف تهيل عليكم أحجارا من ذهب وجواهر.. والأرض هنا ما عادت تنبت غير الشوك والحسك وشياطين النسوة..

(إظلام وبضاء حول رابعة تجلس فى هدوء تغطى جسمها بعباءة فى إحساس بالبرد.. سالم يدور حولها..)

ســـالـم: أجيبى ماذا فى الأمر؟! من حقى أن أفهم.. أيام تتوالى لا شئ سوى الصمت.. شرب وصمت ان كنت قد أسأت إليك فقولى..

رابعـــة: لا.. ما أسأت.. لكن بى مرضًا..

ســـالـم: أى مرض؟!.. آتيك بكل أطباء البصرة..

رابعـــة: مرض لا يدركه طبيب.. لا يشفيه دواء. مصدره شئ قد لا يصل إلى أنفك..

ســـالـم: أنفى؟!

رابعـــة: أشم رائحة عطن.. وهذا يهلكنى..

ســـالـم: أى عطن.. من أين..؟!

رابعـــة: فى كل شئ ها هنا عطن..

ســـالـم: رابعة كفى عبثا بى.. ماذا فى الأمر..؟!

رابعـــة: سئمت.. سئمت حياتى.. العفنة.. (صمت يدور حولها فى شك..)

ســـالـم: أهناك رجل آخر؟!

رابعـــة: رجل؟.. وأين.. أشر إلى ممن نعرفهم وقل بأنه رجل.. ضباع وذئاب.. وحين اللهو رمم..

ســـالـم: أأكون مثلهم.. (صمت).. لا.. لن أسمح أن تعبثى بى أكثر من هذا لا.. منذ عدت بك.. وأنت تعاملييننى كأننى صبى.. صبى أبله.. تطيحين بكل شئ.. تهتاجين.. وتهدئين وتتدللين وتتولهين وتأتين كل أنواع الجنون.. وأنا صاغر.. وما رددتك.. والآن أية لعبة هناك.. لن أقبل تلك المرة.. كدت بسببك أن أفقد اسمى

ومكانى.. ولأجلك سرت الأضحوكة بين صحابى.. صرت الأضحوكة فى كل البصرة.. وبسببك.. فأنا الطفل أمامك خاضع.. وأنا الولهان الراكع يبن يديك دوامًا.. وأمام الكل ما من شىء أرفض لك ما من شىء يقف أمامى دونك.. المال.. وشرف الرجال.. وحتى القتل (صمت)

رابعـــــة: (تدير راسها فى بطء).. ماذا تعنى بالقتل.؟؟

ســـالم: (وهو يدور حولها فى تحفز وعدوانية).. اعنى ما تفهمين..

رابعـــــة: ماذا أفهم..؟!

ســـالم: ألم تكونى تعرفين.. أو لا تعرفين حقيقة قاتل محبوب القلب بهاء الدين..

رابعـــــة: لا.. لست أنت.. لا تقلها..

ســـالم: (يصرخ).. بل تعرفين.. وإن كنت تريدين سماعها فاستمعى.. قتلت بهاء الدين أنا.. أهذا يوقد قلبك بالنار إذًا.. سأرددها فى النور.. حتى تشوى.. صباح مساء..

رابعـــــة: (فى همس مذعور). لا.. لا أصدق.. لا..

ســـالم: بل تعرفين..

رابعـــــة: (تنشب اظافرها فى صدره).. ويلك يا قاتل.. يا كاذب ويلك..

ســـالم: (يدفعها).. من أجلك دفع الثمن حياته.. من أجلك أنت.. فترى منْ علىَّ أن أقتل ثانية من أجلك؟! أى عشيق آخر سوف تبيعيننى الآن لأجله.. أى عشيق على أن أقتل تلك المرة يا عاهرة.. ان كان فليس سواك ليقتل هذى المرة..

(يندفع خارجًا ورابعة تدور حولها تتحسس الهواء كعمياء)

رابعـــــة: (تهمس).. لا.. (تصرخ).. لا.. أم علقم تسرع إليها..

أم علـقـم: ماذا فى الأمر؟!

رابعـــــة: لا.. لا أصدق

(تهتز أم علقم).. كنت أطعم من أشلائه وأشرب من دمه..

أم علقم: مَنْ يا رابعة؟!

رابعة: مَنْ تفننت فى نسيانه ولم أفلح.. بهاء.. كان سالم قاتله..

أم علقم: لا.. يا ربى..

رابعة: نطق بها.. (صمت تتابع دورانها). لكن الويل جميعه.. إنى كنت أحس.. كنت أحس ولا أجرؤ أن أتوقف عند الفكرة.. أتمرغ فى الأوحال ولا أجرؤ.. يالى من قاتلة..

أم علقم: هذا مخيف..

رابعة: أى دائرة من الجحيم تلك.. أى دائرة؟!!

أم علقم: تماسكى يا ابنتى..

رابعة: أى مطارد.. وأى حصار.. انظرى حولى يا أم.. (تحملق فى الأركان..) هاك الوجه المقتول يظل هناك يسائلنى.. من أجلك أنت اخترق السيف الآثم قلبى.. من أجل الناس خرجت من أجل غلال أيضًا لطخها دمى المسفوك.. وكما لطخها دم إسماعيل أبيك.. بماذا أجيبك يا حبيبى؟!.. وكل ما حولى مصبوغ بدمك (تجرى إلى العمق).. أجرنى يا إلهى.. أجرنى من ذلك كله..

(ترتمى فى تشنج ويرتفع ابتهال الصوفية عن بعد)

يا مجيرى يا محير القلب

فى الظلماء أدركنا بنورك

(يقترب الابتهال ويعلو.. ترفع وجهها فى غضب)

رابعة: كفوا يا زهاد البصرة.. مَنْ تدعون؟

كفوا يازهاد..

أم علقم: الله مجير مهما كان الخطب..

رابعة: تلك اللوعة لا.. تلك الخيبة لا..

أم علقم: لا.. لا تقوليها..

رابعة: إذ لا أشهد منفذًا.. لا أشهد غير حصار.. حصار الخيبة مجتمعة.. تطبق وتضيق أية يد يمكنها أن تصل إلى؟! أية مغفرة يمكنها أن تدركنى.. وأنا غارقة فى أشلاء حبيبى وقتيلى؟!!

أم علـقـم: مدى لله يدك..

رابعــة: يا حبيبى وقتيلى..

أم علـقـم: مدى لله يدك..

رابعــة: أو هل يمدد يده لى..؟!.. أنا أرفض رابعة الملعونة.. أو يقبلها هو يا أم؟!!.. هل تقبلنى..؟!

أى قبول.. أى عزاء تمنحى بعد؟!!!

(صمت تتابع دورانها فى إنهاك) لا الحب ولا النسيان.. لا الحزن ولا الجنون.. ذاك العالم دائرة من نار.. طبقات من نار.. مرت بى ومررت بها.. وها أنا الآن فى بؤرتها أحترق.. وما من عزاء.. (صمت).. كان عزائى الأوحد هذا الحب فأتى الفقدان المر.. بكف الموت المستترة دومًا.. وحين طلبت النسيان من الذكرى.. فإذا كل المتع عقيمة والعالم أجوف.. وإذا ذكر الموت هى الأبقى.. وإذا بى كنت الخنجر فى كف الموت السوداء.. قاتلة وقتيلة.. وما من عزاء ولا غفران عن إثم يتسرب فى الدم ولا ندريه.. هل تمنحنى أى عزاء بعد..؟!!! هل تقبلنى.. ماعاد هنالك منفذ....

أم علـقـم: أدرك تلك المسكينة يارب بلطفك..

رابعــة: (فى غضب).. خذنى من دائرة النار إليك إذًا.. خذنى ما عاد سواك...

(إظلام)

(يضاء حول الراوى بالمقدمة).

الـــراوى: السماء مغلقة الأبواب بدت..

حين صاحت رابعة..

صيحة قلب مازال مليئًا بالنقمة..

ما من رد يبدو مع تلك النقمة..

كيف تزول النقمة والخير بكل نواصى العالم يترنح..

مسفوك الدم.. الخير صريع.. كالحب الصريح.. والطيبة تدهس.. كما دهس الطيب إسماعيل..

وكما بيعت حرة..

وكما باتت قاتلة وقتيلة..

كيف تزول النقمة وها هو وجه القاتل.. والقاتل فى حلقة قتله..

وفوق حباب الكأس دماء

(يضاء حول رابعة.. جاثية)

رابعـــــــة: تقتلنى تلك النقمة.. فلتذهب عنى.. فلتتولى عنى تلك الظلمات..

بعض ضياء ياربى.. بعض حنان..

آه.. (يسقط راسها ثم ترفعه) يا صاحب هذا العالم.. يا مَنْ لاسيد إلاه..

لم يبق سواك..

لم يبق سواك.. فجئتك لا ترفضنى..

امنحنى ردًا منك.. ولا تردنى..

لا تدر وجهك عنى..

أدر سمعك لفؤادى

أدر لعذابى بعض حنانك يا حنان..

بعض حنان...

(يظلم حول رابعة.. ويضاء حول سالم مخمورًا يترنح بيده كأس وفى طرف الدائرة هند ترقبه..)

ســـــــالم: من يفضل سالم فى البصرة..؟!

من هذا الكلب.. ترفضنى تلك المرأة وتناجى آخر في الليل.. فيا للويل.. مَنْ يكون؟!!

(يضرب الكاس بالأرض)

فلتسجن فى قبو القصر..

حتى تفصح عن اسمه..

وسأذبحها إن لم تفصح..

سيلطخ دمها القذر الملعون حوائط هذا القصر..

شوارع كل البصرة..

(إظلام.. وبضاء حول رابعة جاثية)

رابعـــــة: والآن.. فلا مهرب.. لا رجعة بعد.. تقبلنى أو أهلك الآن أمامك أنت ولا شىء هناك.. تركت ورائى كل سنينى الممتدة فى الظلمات.. فمد يدك.. كل قيود العالم هذا القاسى فى أقدامى.. فانزعنى عنها.. وانزعها عنى.. أقف الآن ببابك كى ترفع عنى تلك الأغلال وما أفدحها من أغلال.. أغلال.. أغلال.. أغلال..

الـــــراوى: (ورابعة مستمرة)

أغلال القلب المقهور.. أغلال الأيام الممتدة بين الجوع وبين التخمة.. أغلال الدائرة المحكمة الإغلاق..

فى حارات البصرة..

فى أبهاء البصرة..

فى أسواق البصرة..

فى أفئدة الناس الممسوخين..

رابعـــــة: أغلال.. أغلال.. أغلال.. فلترفع عنى تلك الأغلال.. فلتأخذنى من دائرة النار إليك.. ولا تخذلنى.. لا تردنى عن بابك يا حنان.. ياودود.. ياذا الأيادى التى لا تحصى.. وياذا الجود..

لا تردنى.. فما عاد لى سواك..

(تدخل هند الدائرة بيدها سوط)

هـــنــد: ما أسعد محبوبك بالنجوى تناجين عشيقًا تافهًا وتبيعين السيد..؟! من دفع الآلاف وفضلك على..؟! فضلك على.. وأنا أصغر منك وأدفأ.. (تطرقع بالسوط).. هاقد فتح الباب أمامى الأن.. وجاء وقت الحساب يا بنت إسماعيل..

رابعـــــة: وإنه لحساب ثقيل.. بل هو فادح..

هـــنــد: (تهوى بالسوط عليها).. ويل لك منى بقدر ماتعذبت بسببك..

رابعـــــة: بل ويلى لى من نفسى..

هــــنـــد: ألهذا الحد يعذبك فراق المحبوب.. وهوى العشق النارى يفرى كبدك.. (تضربها..) مَنْ يكون؟! مَنْ يكون عشيقك.. الحمار.. أو القواد.. أو اللص.. أو أى كلب مَنْ طينتى وطينتك؟المَنْمن يكون؟!

رابعـــــة: ليته يكون لى.. يعطى وجها لى. ليته يرضى.. ليته يرضى..

هــــنـــد: (تتوقف فى ضربها فى دهشة).. أكذا..؟.. وأخيرًا وجدت رابعة المرغوبة مَنْ يرفضها..

رابعـــــة: ويلى ويلى لو يرفضنى هو ويلى..

هــــنـــد: ألهذا الحد؟!.. (تقهقه فى هستيريا).. إذًا فإنى أقسم لك أن أتيك به لو أفصحت عن اسمه..

رابعـــــة: ليتك تملكين.. لكن لا.. إنه بعيد عنى بعيد..

هــــنـــد: سيأتى مولاى به.. أفصحى وسوف ترين.. مولاك وهند مشوقان لرؤية هذا المعشوق الآسر.. من بعت الكل لأجله.. أود لو أراه.. لأعرف لم بعت سيدك لأجله.. أهو أكثر منه بهاء؟!!

رابعـــــة: بل هو البهاء كله..

هــــنـــد: كذا..؟! أترينه أيضا أكثر مالا..؟!

رابعـــــة: مقارنة مضحكة أيتها المسكينة..

هــــنـــد: أكثر فحولة..؟!

رابعـــــة: مقارنة مثيرة للغثيان.. أيتها البائسة

هــــنـــد: (تضربها) كفى.. وأفصحى مَنْ يكون هذا الدودة.. من يكون هذا الدودة..

رابعـــــة: أيتها التعسة.. تتحدثين عمن هو أعظم من كل الناس..

هــــنـــد: ما هو إلا حشرة مثلك..

رابعـــــة: كفى.. لا تتطاولى.. فما من أحد يطاوله..

هــــنـــد: (تضربها بجنون).. كفى يا بنت الكلب.. كفاك مناورة لى.. وسوف تفصحين.. سوف تفصحين..

(يدخل دائرة الضوء سالم والزينى وابن حميد، مخمورين إلى اقصى حد.. بأيديهم كئوس وبيد سالم سوط..)

سـالم: كفى..

هـنـد: (وهى تلهث).. امنحنى تلك الفرصة.. سوف تبوح باسمه.. وسأجعلها تفصح..

(يدفع هنداً).. قلت كفى وانصرفى أيتها النتنة.. (يدفع هنداً خارج دائرة الضوء.. ثم يتقدم مترنحاً ويمسك برابعة من يدها..)

سـالم: قومى.. (رابعة لا تتحرك)..

الزينى: عشر ليال لا تهبط للخمر ولا للرقص وتحملق فى لا شىء..

الزينى: وسالم عاجز.. عاجز..

سـالم: (يجذبها) قومى للرقص أمام صحابى..

ابن حميد: تهزأ بصاحبك يا سالم..؟!

الزينى: بل تهزأ به..

سـالم: (يصرخ).. قومى..

ابن حميد: هل جنت.. أم أتلفها الخمر..؟!

الزينى: بل ثمة آخر..

ابن حميد: آخ..؟!

الزينى: أغوت كلا منا ودعته..

ابن حميد: والآن تعود إلى واحد.. أكذا؟!

الزينى: وليت الواحد هذا سالم.. من دفع الآلاف.. المسكين.

سـالم: (يدفع الزينى).. ما عدت بمسكين.. (يستدير ليصفع رابعة وسأعرف مَنْ يكون..

ابن حميد: نعم.. نعم.. مَنْ يكون؟!

الزينى: (فى سعار).. مَنْ يكون أجيبى مَنْ يكون..؟!

سـالم: (يصفعها).. مَنْ يكون..؟!

الزينى: فلتعترف.. أو دعنى أجعلها تفصح

ابن حميد: لا تدعاها تفصح. من يكون هذا الأفضل منا.. من؟!

سـالم: بالسوط سوف تفصح.. بوحى السوط إذاً.. (يرفع سوطه بكل قوة..

إظلام وبضاء بالخلف سلويت يمثل الرجال الثلاثة حول رابعة ينهالون عليها بالسياط على جسدها.. فى الوقت نفسه)

(تتواجد رابعة بخلاف السلويت تحت الضوء فى نفس وضعها بالسلويت وهى تحس بألم، ظلها بالخلف، يستمر الضرب وتتعالى أصوات الرجال كحيوانات فى الوقت الذى نحس فيه.. أن رابعة المتواجدة تحت الضوء يزول إحساسها بالألم تدريجيًا ثم تشرئب فى دهشة.. ويسمع نشاط خافت..)

رابعـــــــة: ما أتعس هذا كله ما أتعسهم.. ياالعمياء القلب.. وتيه النفس.. ماذا تفعل يا سالم.. والجلاد الآخر ماذا يفعل؟!!

لهو أشد من كل آلام الجسد هذا العمياء.. ولكن أى ألم.. ما عاد هناك ألم.. جسدى فى القاع هنالك معهم.. لا أدريه.. هو من يلقى ضرب سياطهم العمياء.. لكنى أصعد عنه عبيدا ما عاد يقيدنى.. تلك علامة.. حررنى من جسدى المتمرغ والمتألم.. قد حررنى.. يالحرية ياالله.. يا لجلالك يا قادر.. يالحنانك يا حنان.. تلك علامة.. تلك علامة..

(إظلام وبضاء الراوى مع استمرار الإنشاد)

تلك علامة..

أن تقهر هذا الجسد القيد.. أن تتقطع بين النفس.. وبين العالم خارجها.. كل الأسباب..

أخيرها الإشفاق على العميان..

أخيرها الصمت..

أخيرها رياح بن عمرو حين أتت مجلسه ومريديه

(يتعالى الإنشاد وبضاء حول رابعة فى بقعة أخرى فى زيها الجديد..)

تلك بدايات الرحلة..

لا تأتى بجواب كامل..

ومض يتردد..

وجد فادح وصدود أفدح..

رابعـــــــة: يا من لا تدركه نهايات العجز البشرى المسكين..
هل تفـتح بـابًا لى.. لو يفـتح بابك لن يوصــد.. والحب بابك لن يدركـه عطب.. لن يعـرف مـر الفـقـدان المر.. لن يعـرف جسـدًا يبلى.. أو عاطفة تتـأرجح.. يا مَنْ لا تدركه نهايات العجـز البشرى المسكين.. هل تفتح لى بابك؟!
الـــــــراوى: والرحلة تقطعها رابعة العدوية.. وكما يقطعها بأظافر مَنْ يصعد جبلا من صخر فى قمة عالمنا الأرضى...
رابعـــــــة: هل تقبلنى؟!
الـــــــراوى: تحـملهـا آلاف الأميـال الليليـة.. تحـملهـا سنوات.. سنوات أمـواج عذاب تتابع دون نهاية فى بحر الوجد.. أفهل يأتيها الرد؟!!
رابعـــــــة: إلهى.. أرسف فى قـيـود الـرق كنت.. كل ألوان القـيـود تغللنى.. وهـأنذا أطرحـهــا عنى.. لـكن هـا هـى سنوات تمضـى.. وعــذاب أفـدح منهـا يؤلم روحى ويفكك أوصـال.. الصـبـر بنفـسى مـرده حيرتى ويالحيرتى.. أقبلتنى؟!
(إنشاد خافت)
الـــــــراوى: سؤال لا يهدأ.. والرد كومض متقطع تمضى نحوه يأتى ويغيب.. وعذاب بالحيرة فادح.. والشوق بها يشتد.. ويهدأ.. ثم يعود..
الـــــــراوى: والسنوات تتابع رحلتهـا.. فوق الوجه فيتغضن والجسـد يشيخ.. والبـصـرة.. تسـمع وتردد وتعـيش كـمـا كـانت فى ذات الوقت.. والبصرة تتوافد ما بين فضول لاه.. أو طمع فى البركة..
لكن هى فى رحلتها تمضى لا تدرى بأحد.
تحمل حيرتها المشبوبة تنتظر الرد..
والرد هناك أبدًا.. لا يأتى مكتملا بجواب..
فى العناد مـسيـرة هذا الوجـد.. هل فـرت من أهوال الدنـيـا.. كى يطويها هول أفدح.. عطش أبدى؟!
أى عناء هذا يا رابعة العدوية.. أى عناد؟!!!

لكأنى بك فى قيد آخر.. ككل قيود العالم تلك..

رابعـــــة: العالم لا.. لا أمل ولا خيبة.. لا جوع ولا رغبة.. لا هم لا أرق..
إلا قلق العشق النورانى ووجده..

الــــــراوى: أم خوف الحساب؟!

رابعـــــة: غادرت جحيم البيع والشراء أنا..
حساب المكسب والخسارة فى دنيا البصرة والناس..
مالذت بوجه الله أنا خوفًا أو طمعًا..
فليحرقنى بالنار إن كنت أنا أقصده خوف النار..
فليحرمنى الجنة إن كنت أقصده طمعًا فيها..
لا.. أنا بضع منه.. أسعى لأعود إليه.. أسعى كى يتحول منى طين الأرض لنقطة ضوء.. فى بحر النور الفياض..

الــــــراوى: سعى للنور.. لكن كلهيب النار.. قاس مضن وعسير.. بل بدون نهاية.. بل يبدو للرائى دون يقين.. ما أشقى مَنْ يختار خيارًا أكبر من دائرة العالم..
يبحر فى ملكوت دون حدود..
يبحث عن لفظ مفقود.. لا نعرف أين يكون..
هل كان اللفظ بدائرة العالم وتمزق ما بين جنون الليل وجحيم النهار..؟!
أم لفظ أكبر من دائرة العالم حقًا.. لا تعرفه أيام الإنسان؟!
ياللحيرة يا رابعة.. بداخلك؟ هل يكتمل اللفظ الضائع يومًا فى بحرك.. هذا اللامحدود؟!!
أم أن اللفظ الضائع مازال هنالك وسط الناس..
ما بين ظلام الأرض وضياء السما..؟!!! (يضاء حول برقوق باعلى المسرح يتحرك فى تعثر من دائرة ضوء إلى اخرى وقد تقدمت به السن.. يلهث ملتفتًا حوله ممسكًا بجرح فى رقبته..)

الــــــراوى: وها هو وجه البصرة يقتحم الخلوة.. فى هيئة لص.. لتواجه رابعة العدوية ما نسأل..

الــــــــراوى: وهنا..

قد تتحدد أحرف هذا اللفظ الضائع.. قد تكتمل الرؤيا داخلها وتصح.. وقد لا نصل لرد..

(برقوق يقتحم بقعة رابعة فى اضطراب.. ما أن يراها حتى يخرج سكيناً بيد واليد الأخرى على جرحه..)

رابعــــــــة: (تلتفت إليه فى شىء من الدهشة والإشفاق..)

ماذا بك؟!!

بـرقـــــــوق: (مقتربًا بكسينه).. إياك وصوت يصدر منك وإلا هلكت..

رابعــــــــة: أثمة مَنْ يطاردك؟!

بـرقـــــــوق: لا شأن لك بهذا. التزمى الصمت.. واهدئى حتى أمضى..

رابعــــــــة: (تقوم محملقة فيه).. بل اهدأ أنت.. هداك الله..

بـرقـــــــوق: (مهددًا بالسكين فى خوف).. حذار بالنيمة.

رابعــــــــة: (تتقدم نحوه فى دهشة)

صار الخوف بنفسك أكبر مما كان كثيرًا يا برقوق..

بـرقـــــــوق: (فى دهشة وبعد لحظة صمت) من أنت؟!!

رابعــــــــة: أتطاردك الشرطة..؟!

بـرقـــــــوق: من..؟!

رابعــــــــة: أم بت تطارد نفسك يا برقوق..؟!!

بـرقـــــــوق: رابعة..؟!!

رابعــــــــة: هى من كانت..

بـرقـــــــوق: وتلك من أسمع.. عنها إذًا!!

(يضحك فى لهاث واضطراب).. رابعــة.. أوليت ظهرك أخيرًا للبصرة..!.. صرت شهيرة ومباركة..

رابعــــــــة: (تنظر إلى جرحه).. أنت جريح يا برقوق..

بـرقـــــــوق: أنا أيضًا أصبحت شهيرًا مثلك.. لكن غير مبارك.. لص قوافل تهتز له البصرة..

رابعـــة: جرحك ينزف يا مسكين..

(تبحث حولها عن شيء)

بـرقــوق: ما عدت أنا برقوق المرعوب المسكين.. أسرق دينارًا وأنا مرتعد بالخوف.. أو أجرى هلعًا وكما وليت.. يوم تركتك بالسوق.. أتذكرين؟!!! ليلتها آلمنى ذلك وبكيت..

(يضحك فى ضعف ثم يطلق صيحة الم.. وتكون رابعة قد وجدت خرقة تجفف بها دمه النازف)

رابعـــة: جرحك بالرقبة غائر.. ونزفت كثيرا يا برقوق..

بـرقــوق: طعنة خنجر.. أدركنى بعض كلاب الزينى.. كبير الشرطة.. مضت أيام لم تتوقف المطاردة.. ولم أهتز ما عاد هناك شىء يعنينى.. حتى الموت بذاته..

رابعـــة: (تتوقف عن معالجة جرحه فى دهشة)

.. أكذا يالله.. وإذًا يا برقوق يالفظاعة هذا اليأس بنفسك..

بـرقــوق: أى يأس؟!.. لا يأس يا رابعة.. أصبحت سعيدًا..

رابعـــة: أى سعادة؟!!

بـرقــوق: صرت قويًا.. لا أشرب من خوف البصرة.. بل أسقيهم خوفى..

رابعـــة: بل صرت تهرول أكثر من التيه.. وبرعب أكبر.

بـرقــوق: (بعصبية وارتعاش).. أنا من يرعبهم.. هؤلاء المنتفخون البلداء.. اللصوص الضباع.. من اشتروك يومًا.. من جعلوا البصرة ماخورًا.. غابة فى السوق.. بوجوه ضاحكة.. كريهة أفضل ما فيها لص مثلى.. والآن أنا السيد.. أرعبهم.. بل بات أمير البصرة نفسه يخشانى وبسببى يلطم رأس الشرطة فوق قفاه.. الزينى.. هذا الجبار.. من كنت أبول على نفسى لمجرد مرآه على بعد.. أصبح يخشانى.. ويهرول كالمجنون بكل جنوده كي يقتلنى.. لكنى لا أخشاه (يصيح) أنا لا أخشاه.. وسوف أواصل إشعال النار والجنون.

رابعـــــــة: ويحك.. بل إن جنون العالم قد مسك أيضًا.. مرعوب أيضًا مثل الكل.. أشهد رعبك داخلك وألمسه..

برقـــــوق: الخوف لهم.. لا لى.. قررت أنا ذلك حين هوت كف الزينى فوق المسكين حسن.. حين رمونى فى السجن.. الخوف لهم.. لا لى...

رابعـــــــة: بل داخلك نفس الدائرة الملعونة أنت كذلك.. حيث تساوى القاتل والمقتول. الظالم والمظلوم.. حيث الأشياء جميعًا مختلطة.. ولهيب سياط الرعب المجنون.. برغبات ومخاوف.. يلتهم الكل بلا تمييز.. نفس الدائرة الملعونة داخلها أنت..

برقـــــوق: (يتأوه ألما وإعياء ويطرق ثم يرفع رأسه)..

أتراك إذًا أفلت يا رابعة..؟!

رابعـــــــة: (بعد صمت).. طرقت بابه.. حيث أغلقت الأبواب.. فلتطرق بابه.. أطرق باب الله فلا منجاة بغيره..

برقـــــوق: بل لن يلحقنى إلا بجهنم.. أعرف منذ الآن..

رابعـــــــة: بل لا تعرف..

برقـــــوق: (تعاوده العصبية).. ليكن.. أنا لا أعرف شيئًا حقًا.. وأنت تعرفين.. وأنا أسأل منذ زمن وبدون جواب.. فأجيبى أنت.. من كان هنالك كى ينجى أحدًا منهم منذ بنى البصرة أحدهم..؟! من أدرك كل البؤساء. من أدرك هذا الشيخ المتسول أبا نعيم حين تهاوى من فرط الحزن عليك وأعوام الشقاء.. من أدرك حسن الحمال البائس حين اختلطت رأسه من وطأة عجز ومذلة.. ومضى يرفل بجنون مرعب.. حتى مات (يصرخ).. حتى مات..؟!!

(يضاء بأعلى حول حسن ويخفت الضوء حول برقوق ورابعة)

حســـــن: (فى اسمال يصيح فى جنون بصوت ذى صدى)

أملك كل الأشياء.. آمر فأطاع.. قصر وجوار وقوافل ممتدة.. جند وكلاب.. ذهب وكلاب.. عرش وكلاب وأنا حسن الحمال على كل الأبواب.آمر فأطاع..آمر فأطاع.. ما عدت أنا حسن الحمال التافه

والطيب.. الطيب مات.. وأنا آمر فأطاع.. آمر فأطاع..

(يتحرك خارجاً فى الوقت الذى يضاء فيه حول أم هند فى بقعة وشنن فى بقعة مقابلة بشكل تحكمه إضاءة تجعلهم محاطين بالظلال غير واضحين تماما..)

شـــــنن: **(بصوت ذى صدى)**.. فليدركه الموت من هذا الجنون..

أم هـــنـــد: بل أتمنى مـثل جنونه.. هو أرحم من عـقل يرقـد فـى النقـمـة والأكفان.. فليدركنا الجنون..

شـــــنن: بل يدركنا الموت..

أم هـــنـــد: بل لن يدركنا شىء.. **(تضـحك)**.. لا شىء إلا النواح.. وأطيـاف سنين لا أعرف كيف أنجبها الزمن الوحش؟!!

شـــــنن: ثم حكاية تلك الأشباح تدور وتأتى.. أشباح المجاعة يا عجوز..

(تظهر هند فى دائرة ما بين أمها وشنن شاحبة رثة الثياب ترتعد..)

شـــــنن: **(يحملق فى هند)**.. لكن تلك الأشباح.. أتكون هى يالله.. ماذا حل بها؟!!

(هند تتقدم صوب أمها)..

أم هـــنـــد: ماذا فى الأمر.. من هى تلك؟!! **(صمت)**.. إنى عمياء.. أجب..

هـــنـــد: **(أمام أمها تهمس)**.. أمى..

أم هـــنـــد: من؟!.. من هذه يا شنن؟!!

هـــنـــد: خذينى للدار هناك فلا أقوى..

(أم هند تمد يدها فى ارتعاش تتحسس هنداً..)

أم هـــنـــد: **(بصوت متحشرج)**.. أأنت ابنتى؟!!

هـــنـــد: أعود إليك.. أعود إليك لألفظ أنفاسى بين يديك المرض القاسى يطحننى يا أمى.. لفظتنى البصرة..

أم هـــنـــد: لا.. لست هنداً..

هـــنـــد: أنا الملعونة.. هند.. لا ترديني فما لى إلا أنت يا أماه!!!

أم هـــنـــد: **(تحتضن هنداً بشكل محموم وهى تنفجر باكية)**

يا حبيبتى.. يا حبيبتى...

(يظلم حولهم ويرتفع صوت برقوق صائحًا مع ارتفاع الإضاءة حوله وحول رابعة...)

برقـــــوق: من أدرك هذا ... من أدرك آلاف الآلاف كهند.. من كان هنالك ينجى من قالوا للظالم: لا..!؟ الشيخ تقى الدين حين بدا مشنوقا وسط السوق أمامى ذات صباح.. من ينجى أهل الحى هناك؟! من ينجى البصرة مما يطحنها من رعب وجنون؟

رابعـــــة: يا للدائرة التعسة.. تطبق وتضيق.. تضاعف العذاب والكيد.. تضخم السعير.. والكل يستجير فى عماء.. ولكن ما من مجير يا برقوق.. إذ لا أحد منهم حاول أن يطرق باب الله بقوة.. ما من أحد يسعى لبديل محسوم لا يملكه سواه.. ياللّه.. الكل بعيد.. فى تيه دوار.. جحيم الدنيا يتصاعد والكل بعيد عن بابك.. ولا منجاة بغيرك.. لا منجاة..

(تتجه إلى برقوق فى رجاء)..

رابعـــــة: يا برقوق.. اقفز من دائرة النار الملعونة تلك.. هرول وبكل عذابك نحوه.. اطرق بابه اطرقه بكل قوة..

برقـــــوق: (يحاول القيام).. لا احتياج لشىء بعد.. لا حاجة لكلامك.. إنى أمضى..

رابعـــــة: (تمسك به).. بل إن الرعب يغطيك.. واليأس بداخل روحك كجبال من صخر.. لا أملك أن أدعك..

برقـــــوق: (يتهاوى ثانية فى تهالك).. مرعوب وشقى (صمت).. آه.. آه يا رابعة.. فى الزمن الأول وأنا لص دجاج شاب، كنت سعيدًا لا أهتم.. لكن البصرة والأيام زرعت فى قلبى النقمة والهم.. والآن لا مفر.. الآن لامفر.. حتى أختم ذاك الكابوس..

(الزينى يظهر فى دائرة الضوء أمامهما شاهرًا سيفه وقد تقدمت به السن.. لكن مظهره ازداد شراسة..)

الـــزينـــى: نعم.. الآن لا مفر..

برقـــــوق: (يستدير إليه كمن كان يتوقع).. الزينى؟!

رابعــــــة: (تتقدم نحو الزينى فى ضعف ولكن بتصميم)..

ماذا تريد يا رجل؟!!

الـــزيـــنــى: أى زهد هذا الذى يدعوك إلى أن تؤوى لصًا..؟!

رابعــــــة: لا شأن لك بزهدى.. أترك هذا الرجل بدارى وامض..

الـــزيـــنــى: حذار يا امرأة.. ستجدين نفسك فى الشرك..

برقـــــوق: (مقتربًا).. دعك منها وها أنا فخذنى..

رابعــــــة: لا.. إلى أن يأخذك؟!

الـــزيـــنــى: إلى كرسى الخلافة أيتها المذوبة..

رابعــــــة: ويحك أيها الرجل الضائع.. أتبدد عمرك فى هذا كله فى تيه عمائك وغرورك.. أو لم تشعر داخلك بصوت الله ولو لحظة.. بصوت آخر غير سعار السطوة والحمق.. كفاك..

الـــزيـــنــى: أى صوت..؟!.. لو أنى أعرف تلك الأوهام البلهاء لعمت الفوضى فى أرجاء البصرة.. وضاع سادتها وضعت.. وساد اللصوص والمجاذيب...

رابعــــــة: أولا تعمها الفوضى؟! أو لا يعمها الجنون؟!.. أو ليس يسودها اللصوص والمجاذيب حقا يا زينى..؟!!

الـــزيـــنــى: كلام غريب على الزهد والزهاد يا امرأة.. تشبه كلمات رددها شيخ منذ سنين وشنقناه..

رابعــــــة: بل هو الحقيقة فاشنقنى مثله.. لصوص كبار وجنون متسع مدجج بالبؤس والحمق والسفه لا يعرف العقل ولا الرحمة.. والويل كالبحر الهائج يطيح بمن لا يملك الأثقال والأوباء.. فليكن هذا كله.. فقد وليت عنه.. لكنى فى تلك اللحظة لن أدعك تأخذه..

الـــزيـــنــى: كفى أيتها المرأة.. لوذى بالهذيان بعيدًا عنى.. أما هذا الكلب.. من بدد هيبة أعوامى وسط البصرة فسوف أسكته إلى الأبد بوسط السوق..

(يتقدم بسيفه نحو برقوق فتعترض رابعة طريقه)

رابعــــــــة: لا.. لن أدعك تخرج به..

الــزيــنــى: (يحاول ان ينحيها بقوة).. قلت ابتعدى..

بـرقـــــوق: (يشهر بسكينه بسرعة).. دعها يا كلب..

(برقوق والزينى يتبادلان الطعن فى سرعة بالغة)

رابعــــــــة: (تصرخ).. يا إلهى.....

(الزينى يسقط.. برقوق يتماسك فى صعوبة.. رابعة تسرع إليه..)

رابعــــــــة: (تمسك به).. برقوق..؟! (برقوق يتهاوى على الأرض ببطء وهى تحاول ان تمسك به فى ضعف..)

رابعــــــــة: ماذا أصنع لك يا برقوق ماذا أصنع؟!!

بـرقـــــوق: لا شىء.. يكفى الآن.. أنى قد أرحت البصرة من هذا الكلب الكبير المسعور ..

رابعــــــــة: ولكن.. هاأنت تموت..

بـرقـــــوق: نعم..

رابعــــــــة: تموت ولم تبرأ.. سل الله الرحمة والنور لروحك فى تلك اللحظة.. سله الرحمة يا برقوق..

بـرقـــــوق: لا متسع لدى.. سليه أنت يا رابعة.. فأنت لديك الوقت.. وعندك كل الأسباب.. هبط الستار السعيد على كل الأشياء أمامك.. والبصرة تأتى تتبرك فى أعتابك وأنت بخلوتك سعيدة.. لكنى الان سأمضى.. وسيهبط بعد قليل ليل الموت كى أغمض عينى عن تلك البصرة.. وهى هنالك مازالت تتفجر بالظلمات.. وأنت بخلوتك سعيدة.. الآن سأمضى..

(يموت).. رابعة تنظر إليه فى دهشة.. ثم تقوم فى بطء متجهة إلى منطقة بوسط المقدمة.. حيث تبقى منكمشة)..

رابعــــــــة: ويل لى من هذا.. امرأة أخرى دماء؟!.. دماء؟! والآن دماؤك يا برقوق.. الآن وأنت بيأسك تصرخ فى وجه البصرة.. ترمى فى

وجهى بالحيرة والرعب!! ترى ماذا أفهم من ذلك ياربى؟!
ماذا أفهم..؟!!

ها قد عاد العالم ثانية يقتحم العدوية.. ومخضبًا بالدم..
أفهل تلك إرادتك القدسية يا الله أن يختلط الوجد المشبوب إليك بمر القهر ولون الدم؟!. ماذا فى الأمر..؟! أدركنى كي أفهم.. لذت بدربك من كل جحيم البصرة.. لكنى فوق الدرب تعثرت طويلا من دون يقين.. ثم أخيرًا.. إذا.. بجحيم البصرة مازال يطاردنى.. وإذا النار بثوبى الأبيض ترعى.. فترى ماذا أفهم؟!..
ماذا أفهم؟!

(يضاء تدريجيًا حول شخصيات الحى تحملق نحو رابعة فى ثبات ووجوم)

أترانى منذ خطوى فوق دروبك أخطأت الفهم؟! أترانى أخطأت الفهم؟ بل.. أخطأت الفهم.. وحقًا كيف نسيت؟!! كيف أدرت وجهى أنا عنهم..؟ يا عارى.. كيف حقًا كيف..؟!
إن كنت نسيت.. فهاهم فى وجهك يا برقوق أطلوا ثانية هاهم فى صرخة يأسك ملتاعون بدون مجير.. هاهم مازالوا فى دائرة الهول وما ابتعدوا عنى.. هاهم وأنا مازلت هناك.. مازال عذابى وعذاب الكل هناك.. حتما مازال هناك..

(يضاء حول فتاة كرابعة تجلس عند الشجرة وقرص القمر)

حتمًا مازالت رابعة الطفلة تولد كل صباح تحمل رأس الطيب إسماعيل يموت.. وتهرول وهى تشب وتنمو حاملة رعب البصرة.. والجوع ولغز الموت..

(يضاء حول السوق.. وحلقة لهو.. فى أصوات تتصاعد)

حتمًا مازال جحيم البصرة يولد كل صباح يتجدد فى حلقات لا تنقضى..
ويل لجحودى ويلى..
أجرى.. وأفر.. والليل هنالك مازال جحيمًا لا يهدأ..

(رابعة تتحرك صاعدة وسط المجموعات)

آه لجحيم فلا مهرب.. لا مهرب من تلك الحلقات النارية تتأجج بالآلام.. بمظالم وعناء وكيد.. ويصرخ فيها الإنسان بغير لسان

يا من أنت هناك أجرنى دون مجير..

فهلا أنت تجير..؟!

يا ألله أجره.

أجـر إنسان العالم هذا فى زمن قاس يطبق ويضيق ظلمًا وجنونًا.. وشقاء.. فأجره أجره.. ملكوت الرعب وملكوت الأوهام

هنالك منه أجره!!

الويل الهائل منه أجره..

يا من لا تدركه نهايات العجز البشرى..

يا من لا تدركه نهايات الوهم البشرى..

يا من لا تدركه نهايات القدر المحتوم..

لا تجعل بؤس العالم قدرًا محتومًا

افتح بابًا للنور يا إلهى..

بابا للعون..

الـــــــراوى: والمنشأ فى قصة رابعة العدوية غير مؤكد..

منشأ غير مؤكد.. تاريخ غير مؤكد..أقوال غير أكيدة..

لكنها أسطورة أكيدة أنجبها تاريخ البصرة.

(ستار بطىء مع الأصوات)

تمت

قدمت مسرحية رابعة العدوية على المسرح القومى فى نهاية موسم ٧٩/ ١٩٨٠ ثم أعيد عرضها فى بداية موسم ١٩٨١ من إخراج شاكر عبد اللطيف.

وقام بالأدوار حسب الظهور على المسرح

١ ـ الراوى: خالد الذهبى

٢ ـ خريجو وطلبة المعهد العالى للفنون المسرحية

٣ ـ رابعة: سميحة أيوب

٤ ـ شنن: محمود الزهيرى

٥ ـ حسن: حمزة الشيمى

٦ ـ أم هند: ناهد سمير

٧ ـ برقوق: وحيد عزت

٨ ـ الصدفى: محمد جبريل

٩ ـ أبو نعيم: نبيل دسوقى

١٠ ـ هند: فريدة مرسى

١١ ـ بهاء: رشوان توفيق

١٢ ـ الدلال: مسعد شفيق

١٣ ـ سالم: يوسف شعبان

١٤ ـ صلاح عبد اللّه

١٥ ـ أبو الفضل: رشدي المهدى

١٦ ـ الزينى: مراد سليمان

١٧ ـ ابن حميد: محمود حلمى

١٨ ـ تقى الدين: عبد الغفار عودة

١٩ ـ أم علقم: إحسان شريف

موسيقى وألحان: عمار الشريعى

غناء: على الحجار

المؤلف فى سطور:

من أعماله التى عرضت

- «عنترة» التى حصل بها على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨١.
- (على الزيبق)، (اليهودى التائه)
- (حكاوى الزمان)، (المحاكمة)، (عنتر زمانه)
- (الهلالية)، (عاشق المداحين)، (حكاية جحا والولد قلة).
- (بغل البلدية)، (هنا القاهرة)، (حدث فى وادى الجن)، (عنترة)
- وله مقالات وأبحاث نشرت بمجلات المسرح ـ الآداب البيروتية ـ الطليعة.
- كما حصل على جائزة النقد عام ٦٩ عن كتابه (ملاحظات نحو تراجيديا معاصرة) وجائزة التأليف المسرحى عن مسرحية (الشمس وصحراء الجليد)

ـ وقد عرضت مسرحية (رابعة) فى المسرح القومى.

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

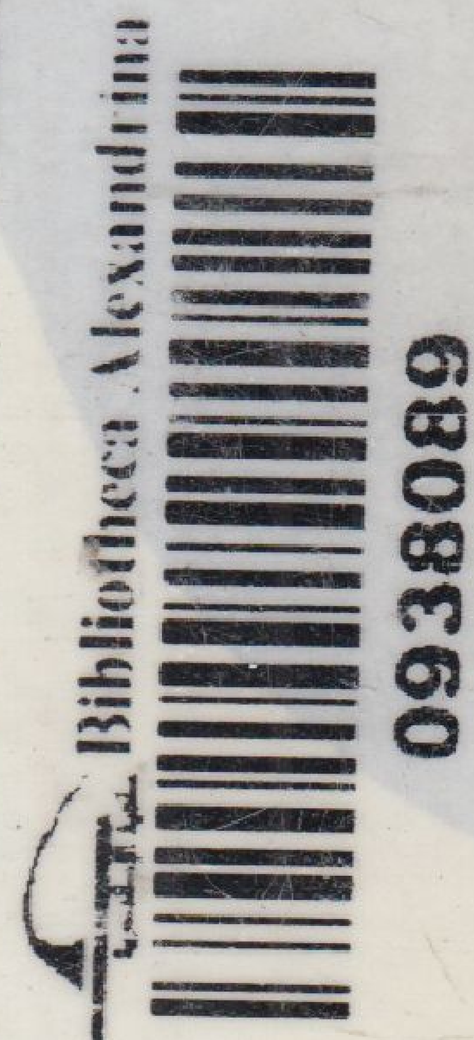
هذا الكتاب يضم مجموعة من المسرحيات للمؤلف يسرى الجندى، ومن هذه المسرحيات (المحاكمة) التى يتعامل فيها مع التراث والتاريخ برؤية عصرية واجتهاد متميز فى الشكل، ويتناول فيها حادثة دنشواى من منظور جديد وفى إطار خيالى، مستلهماً روح الشعب.

ومن أعمال يسرى الجندى التى عرضت على المسرح المصرى والعربى وقد ضمها هذا الكتاب:

(اليهودى التائه)، (على الزيبق)، (الهلالية)، (عنتر زمانه)، (رابعة العدوية)، (عاشق المداحين)، (حدث فى وادى الجن)، (حكاية جحا والولد قلة)، (بغل البلدية)، (هنا القاهرة)، (دكتور زعتر)، (وا قدساه).

وقد حصل المؤلف على جائزة الدولة التشجيعية ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٨١ م، عن مسرحية (عنترة). ومثلت مسرحياته فى مصر، وفى العديد من المهرجانات الدولية وحصل المؤلف أيضاً على جائزة الدولة للتفوق عام ٢٠٠٥ م.

وكانت آخر أعماله على المسرح القومى (الإسكافى ملكاً).



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٠ جنيهات


ISBN# 9789774216522
6 221149 018907